البداية والنهاية

الإمام الحافظ

المفسر المحدث الفقيه المؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي

الشهير بابن كثير

(701 - 774) هـ

طبعة مضبوطة، موزعة الفقرات، مخرجة الأحاديث والنصوص، مصنوعة وموضوعة بأشياء لم تذكر في السابق مقابلة على عدة من النسخ المطبوعة، مفهرسة الآيات والأحاديث والتراجم والموضوعات.

اعتنى به

حسان عبد المنان

بيت الأفكار الدولية

المسلمين فحل من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله ﷺ [تاريخ الطبري: ٤٦٣/٢، الدلائل للبيهقي: ١٤١/٣ عن ابن إسحاق، بنحوه].

ثم أسلم عام الفتح، وتلقى رسول الله ﷺ إلى الجحفة فرجع معه، وشهد الفتح، ويقال: إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بإذن النبي ﷺ له في ذلك، كما ورد به الحديث [الدلائل للبيهقي: ١٤٢/٣، ١٤٣] فالله أعلم.

وقد كان رسول الله ﷺ يجله ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد، ويقول: «هذا بقية آبائي» [الطبراني في «الأوسط» (٤٢٢١) و«الصغير» ٢٠٧/١].

وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم، وكان ذا رأي وعقل تام واف، وكان طويلا جميلا أبيض بَضّاً ذا ضفيرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الإناث، وهم تمام - وكان أصغرهم - والحارث، وعبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، وعون، والفضل، وقثم، وكثير، ومعبد، وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانه.

وقال الإمام أحمد [١٨٥/١]: حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثني محمد بن طلحة التيمي، من أهل المدينة حدثني أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: رسول الله ﷺ للعباس: «هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفّاً وأوصلها».

تفرد به.

وثبت في الصحيحين [خ(١٤٦٨)، م(٩٨٣)] أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي عليّ ومثلُها» ثم قال: «يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟»

وثبت في صحيح البخاري [١٠١٠] عن أنس أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي به، وقال: اللّهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، قال: فيسقون.

ويقال: إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجّلا إكراماً له.

قال الواقدي وغير واحد: توفي العباس في يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان، ودفن بالبقيع وقيل: توفي سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: سنة أربع وثلاثين، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً.

■ **عبد الله بن مسعود** بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة.

أسلم قديماً قبل عمر، وكان سبب إسلامه حين مر به رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، وهو يرعى غنما فسألاه لبنا فقال: إني مؤتمن، قال: فأخذ رسول الله ﷺ عناقاً لم ينز عليها الفحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «اقلِصْ» فقلص، فقلت: علّمني من هذا الدعاء فقال: «إنك غُلَيِّمٌ معلَّم» [الدلائل للبيهقي: ٨٤/٦، ومسنده احمد: ٤٦٢/١، بلفظ «غلام»] الحديث.

وروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه ابن مسعود: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ عند البيت، وقريش في أنديتها قرأ سورة ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ فقاموا إليه فضربوه.

ولزم رسول الله ﷺ حين أسلم، وكان يحمل نعليه وسواكه، وقال له: «إذنك عليّ أن تسمع سوادي» [م(٢١٦٩)، ج(١٣٩)] ولهذا كان يقال له صاحب السواك والسواد.

وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدراً، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبته ابنا عفراء، وشهد بقية المشاهد.

وقال له رسول الله ﷺ يوماً: «اقرأ عليّ» فقلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [٤١] فبكى رسول الله ﷺ وقال: «حسبك» [خ(٥٠٤٩)، م(٨٠٠)].

وقال أبو موسى: قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ، لكثرة دخولهم بيت النبي ﷺ. [خ(٣٧٦٣)، م(٢٤٦٠)]

وقال حذيفة: ما رأيت أحداً أشبه برسول الله ﷺ في هديه ودَلّه وسَمْته من ابن مسعود، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى [خ(٣٧٦٢)].

وفي الحديث: «وتمسكوا بعهد ابن أم عبد» [ت(٣٨٠٥) بنحوه].

وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد [١١٤/١] عن محمد بن فضيل عن مغيرة عن أم موسى عن علي أن ابن مسعود صعد شجرة يجتني الكباث فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله - عنه وقد نظر إلى قصره وكان يوازي بقامته الجُلُوسَ - فجعل يتبعه بصره قم قال: هو كُنيف ملئ علماً [طبقات ابن سعد: ١٥٦/٣، الحلية لأبي نعيم: ١٢٩/١].

وقد شهد ابن مسعود بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة، منها اليرموك وغيرها، وكان قد قدم من العراق حاجاً فمر بالربذة فشهد وفاة أبي ذر ودفنه، ثم قدم إلى المدينة فمرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً، فيروى أنه قال له: ماتشتكي؟ قال: ذنوبي قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ فقال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطائك؟ - وكان قد تركه سنتين - فقال: لا حاجة لي فيه. فقال: يكون لبناتك من بعدك، فقال: أتخشى علي بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» [شعب الإيمان(٢٤٩٧) بنحوه].

وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام، فيقال: إنه هو الذي صلى عليه ليلا، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك، وقيل: بل صلى عليه عثمان، وقيل: عمار، فالله أعلم. ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة.

■ **عبد الرحمن بن عوف** بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أبو محمد القرشي الزهري، أسلم قديماً على يدي أبي بكر، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدراً وما بعدها، وأمّره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب وأرخى له عَذَبة بين كتفيه، لتكون أمارة عليه للإمارة وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم، كما ذكرنا.

ثم كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه، وقد تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال، فلما بلغ

ذلك رسول اللّه ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٌ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وهو في الصحيح [خ(٣٦٧٣)، م(٢٥٤١)].

وقال معمر عن الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل اللّه، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل اللّه، وكان عامة ماله من التجارة [الزهد لابن المبارك(٥٢٠)].

فأما الحديث الذي قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر آخى رسول اللّه ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان فقال له: إن لي حائطين فاختر أيهما شئت، فقال: بارك اللّه لك في حائطيك، ماهذا أسلمت، دلني على السوق، قال: فدله فكان يشتري السُّمينة والأقيطة والإهاب، فجمع فتزوج فأتى النبي ﷺ فقال: «بارك اللّه لك أولم ولو بشاة» قال: فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام، قال: فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجة، فقالت عائشة: ما هذه الرجة؟ فقيل لها: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام. فقالت عائشة: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول «يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً» فلما بلغ ذلك عبد الرحمن قال: أشهدك يا أمه أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل اللّه.

وقال الإمام أحمد [١١٥/٦]: حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا عمارة - هو ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال: بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء - قال: وكانت سبعمائة بعير - قال: فارتجت المدينة من الصوت، فقالت: عائشة سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: لئن استطعت لأدخلنّها قائما، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل اللّه.

فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف.

وقوله في سياق عبد بن حميد: إنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان، فغلط محض مخالف لما في صحيح البخاري [٣٩٣٧] من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي اللّه عنهما. وثبت في الصحيح [م(٢٧٤)(٨١)] أن رسول اللّه ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار. وهذه منقبة عظيمة لا تبارى.

ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار-وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلي، وقال علي: اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها، وسبقت زُنّقها [طبقات ابن سعد: ١٣٥/٣، ١٣٦].

وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه اللّه من السلسبيل [مسند أحمد: ١٠٤/٦، ١٣٥].

وأعتق خلقا من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلا، من ذلك ذهبٌ قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال، وترك ألف بعير ومائة فرس، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكان نساؤه أربعاً فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة. وكان أبيض مشرباً حمرة حسن الوجه، دقيق البشرة، أعين أهدب الأشفار، أقنى، له جمة، ضخم الكفين، غليظ الأصابع، لا يغير شيبه رضي اللّه عنه.

■ أبو ذرّ الغفاري واسمه جندب بن جنادة على المشهور، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة.

وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة، وهو أول من حيا رسول اللّه ﷺ بتحية الإسلام، ثم رجع إلى بلاده وقومه، فكان هناك حتى هاجر رسول اللّه ﷺ إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول اللّه ﷺ حضراً وسفراً، وروى عنه أحاديث كثيرة. وجاء في فضله أحاديث كثيرة، من أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أبي حرب بن أبي الأسود عن عبد اللّه بن عمرو أن رسول اللّه ﷺ قال: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر» [ت(٣٨٠١)، م(١٥٦)] وفيه ضعف.

ثم لما مات رسول اللّه ﷺ ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة، ثم نزل بالربذة فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة، وليس عنده سوى امرأته وأولاده، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد اللّه بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه، فحضروا موته، وأوصاهم كيف يفعلون به.

وقيل: قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوها بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم إلى أهله.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتح قبرس في قول أبي معشر، وخالفه الجمهور فذكروها قبل ذلك كما تقدم.

وفيها غزا عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانية، حين نقض أهلها العهد.

وفيها سير أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر، فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد خرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم.

فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة، فاحتملهم معاوية لحلمه، وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول اللّه ﷺ، والثناء عليه، والصلاة والتسليم. وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه، وقال فيما قال: وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً، فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه اللّه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر، والأحمق والكيس.

ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فإذا هم يمتادون في غيهم، ويستمرون على جهالتهم وحماقتهم، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام، لئلا يشوشوا عقول الطغام، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على

القدح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه، من نصرة الدين وقمع المفسدين. وإنما يريدون بهذا التنقيص والعيب ورجم الغيب، وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص، وكانوا عشرة، وقيل: تسعة وهو الأشبه، منهم كميل بن زياد، والأشتر النخعي - واسمه مالك بن الحارث - وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ومالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس النخعي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد وعمرو بن الحَمِق الخزاعي.

فلما خرجوا من دمشق أووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة. ثم ولي حمص بعد ذلك - فهددهم وتوعدهم، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عما كانوا عليه، فدعا لهم وسير مالكا الأشتر النخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقلعوا عليه حمص، فأمرهم بالمقام بالساحل، وأجرى عليهم الرزق.

ويقال: بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلما رجعوا كانوا أزلق السنة، وأكثر شراً، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان، فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص، وأن يلزموا الدروب.

وفي هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام، وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضي الله عنه، فكان هؤلاء ممن يؤلب عليه ويمالئ الأعداء في الحط والكلام فيه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البار الراشد رضي الله عنه.

وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتقبل الله منه.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر: فيها كانت غزوة الصواري، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم.

وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان رضي الله عنه وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألبوا عليه ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل بهم غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شق ذلك عليه جداً، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمرو بن العاص أمير مصر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب، وسعيد بن العاص أمير الكوفة، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر وافتراق الكلمة.

فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من تَبَرّة دابته وقمل فروته فإن غوغاء الناس إذا تفرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يغني وتكلموا بما لا يرضي وإذا تفرقوا نفعوا أنفسهم وغيرهم.

وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم.

وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر، فانهم أقل وأضعف جنداً.

وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيهم منه ما يكف به شرهم. ويأمن غائلتهم، ويعطف به قلوبهم إليه.

وأما عمرو بن العاص فقام فقال: أما بعد يا عثمان فإنك قد ركبت الناس ما يكرهون فإما أن تعزل عنهم ما يكرهون، وإما أن تقدم فتنزل عمالك عمّا هم عليه، وقال له كلاماً فيه غلظة، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبلغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا.

فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه، وتألف قلوب أولئك بالمال، وأمر بأن يبعثوا في الغزو إلى الثغور، فجمع بين المصالح كلها، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول عليهم حتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجَرَعة، وقد قال يومئذ الأشتر النخعي: والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا، وتواقف الناس بالجرعة وأحجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو، فجعل أبو مسعود يقول: والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء. فجعل حذيفة يقول: والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد ﷺ حي.

والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة، فأعجب ذلك أهل الكوفة، وكتبوا إلى عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري بذلك فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعذرهم، وإزالة لشبههم، وقطعاً لعللهم.

وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلا يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بلى! فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام؟

ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ماليس له.

فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالؤوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة. فدخل هذا في قلوب كثير من الناس، فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فالله أعلم.

وقال الواقدي فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال: لما كانت سنة أربع وثلاثين كثر الناس على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، فكلم الناس علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان، فدخل عليه فقال له: إن الناس ورائي وقد كلموني فيك، وو الله ما أدري ما

أقول لك، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه وما خُصِصْنا بأمور عنك، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا، ولا سبقناك إلى شيء، فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمىً، ولا تعلَّم من جهل. وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، مُدِيَ وهدى، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة معلومة، فوالله إن كلاً لبين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وَضُلَّ به فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم» وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته، فإن عذابه شديد أليم، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتُلبس أمورها عليها، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويَمْرَجون فيها مَرْجاً.

فقال عثمان: قد والله علمتُ لتقولن الذي قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك، ولا عبت عليك ولا جئت منكراً، أنْ وصلت رحماً، وسددت خلّة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيها بمن كان عمر يولي، أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم! قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم! قال: فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟

فقال علي: سأخبرك: إن عمر كان كلما ولى أميراً فإنما يطأ على صماخيه، إن بلغه عنه حرف جاء به، ثم بلغ به أقصى الغاية في العقوبة وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقربائك.

فقال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً، فقال علي: لعمري إن رحمهم مني لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها، فقد وليته، فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه؟ قال: نعم! قال علي: فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك فلا تنكر ولا تغير على معاوية.

ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فخطب الناس، فوعظ وحذر وأنذر، وتهدد وتوعد، وأبرق وأرعد، فكان فيما قال: ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم به لابن الخطاب، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي، أما والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأقمن، إن قلت: هلُم أُتيَ إلي، ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولا، وكشرت لكم عن نابي، فأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه، ومنطقا لم أنطق به، فكففوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا، ألا فما تفقدون من حقكم؟ فوالله ماقصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي. ثم اعتذر عما كان يعطي أقاربه بأنه من فضل ماله. فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم والله حكمنا بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكمْ معارسكمْ تبنونَ في دِمَنِ الثرى

فقال عثمان: اسكت لا سكتّ، دعني وأصحابي، ما منطقك في هذا، ألم أتقدم إليك أن لا تنطق. فسكت مروان ونزل عثمان رضي الله عنه (تاريخ الطبري: ٤/٢٣٦-٢٣٩).

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودّع عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فإنهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء. فقال: لا أختار بجوار رسول الله ﷺ سواه. فقال: أجهز لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك؟ فقال: إني أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله ﷺ على أصحابه من المهاجرين والأنصار. قال معاوية: فوالله يا أمير المؤمنين لتغتالن - أو قال: لتغزين - فقال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل.

ثم خرج معاوية من عنده وهو متقلد السيف وقوسه في يده، فمر على ملأ من المهاجرين والأنصار، فيهم علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلم بكلام بليغ يشتمل على الوصاة بعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه، ثم انصرف ذاهباً. فقال الزبير: ما رأيته أهيب في عيني من يومه هذا (تاريخ الطبري: ٤/٣٤٥، الكامل: ٣/١٥٧).

وذكر ابن جرير (تاريخه: ٤/٣٤٣) أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من قدمته هذه إلى المدينة، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز في أيام الموسم في هذا العام وهو يقول:

قد علمت ضوامر المطي وضُمَّراتُ عُوَّجِ القُسِّي
أن الأمير بعده عليُّ وفي الزبير خلف رضي
وطلحة الحافي لها وليُّ

فقال كعب الأحبار وهو يسير خلف عثمان: والله إن الأمير بعده صاحب البغلة الشهباء وأشار الى معاوية.

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك في نفسه حتى كان ما كان على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله وبه الثقة.

قال ابن جرير (تاريخه: ٤/٣٣٩): وفي هذه السنة مات

- أبو عيس بن جبر بالمدينة وهو بدري. ومات أيضاً
- مسطح بن أثاثة.
- وعاقل بن البكير.

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ففيها مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص، مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير، فما زالوا يعملون عليه حتى شكوه إلى عثمان ليتزعه عنهم ويولي عليهم من هو ألين منه.

فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة،

وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح. ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما، حتى كان بينهما كلام قبيح.

فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر، خراجها وحربها وصلاتها، وبعث إلى عمرو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك، فأقدم إلي. فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير فكلمه فيما كان من أمره بنفس، وتقاولا في ذلك، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على أبي عثمان، وأنه كان أعز منه. فقال له عثمان: دع هذا فإنه من أمر الجاهلية.

وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان. وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا، ويتقمون عليه في عزله جماعة من علية الصحابة وتوليته من دونهم، أو من لا يصلح عندهم للولاية. وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، بعد عمرو بن العاص، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب، وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقية. ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مستنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، حتى استنفرا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق، وأمر الجميع إلى أبي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران السكوني. وأقبل معهم محمد بن أبي بكر، وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء.

وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه في صفة معتمرين فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة. ويقال: بل ندب الناس إليهم، فانتدب علي رضي الله عنه لذلك فبعثه وخرج معه جماعة الأشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر. فقال علي لعمار فأبى عمار أن يخرج معه. فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع علي إليهم، فأبى عمار كل الإباء، وامتنع أشد الامتناع، وكان متغضباً على عثمان بسبب تأديبه له على أمر وضربه إياه في ذلك، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب، فأدبهما عثمان، فتآمر عمار عليه لذلك، وجعل يحرض الناس عليه، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه، فلم يقلع عنه ولم يرجع ولم ينزع.

فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة، وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره فردهم وأنبهم وشتمهم، فرجعوا على أنفسهم باللامة، وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمير بسببه، وتحتجون عليهم به. ويقال: إنه ناظرهم في عثمان، وسألهم: ماذا ينقمون عليه؟ فذكروا أشياء منها أنه حمى الحمى، وأنه حرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة وأنه ولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من الناس. فأجاب علي عن ذلك: أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه وقد حماه عمر من قبله. وأما المصاحف فإنما حرق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه، كما ثبت في العرضة الأخيرة، وأما إتمامه الصلاة بمكة، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها، وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلا سوياً عدلا، وقد ولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة وولى أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته فقال: «إنه لخليق بالأمارة» وأما إيثاره قومه بني أمية فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشا على الناس، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها.

ويقال: إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر، فذكر عثمان عذره في ذلك وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهما. وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص، وقد نفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف، فذكر أن رسول الله ﷺ كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ثم نفاه إليها، قال: فقد نفاه رسول الله ﷺ ثم رده.

وروي أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من الصحابة، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له.

ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عللهم ولم يبق لهم شبهة، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصفح عنهم وتركهم، رضي الله عنه. وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا، ولم ينالوا شيئا مما كانوا أملوا ورأموا، ورجع علي إلى عثمان، فأخبره برجوعهم عنه، وسماعهم منه، وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقاربه، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله، وأنه لا يحيد عنها، كما كان الأمر أولا في مدة ست سنين الأول، فاستمع عثمان هذه النصيحة، وقابلها بالسمع والطاعة.

ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس، رفع يديه في أثناء الخطبة، وقال: اللّهم إني أستغفرك وأتوب إليك، اللّهم إني أول تائب مما كان مني، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنه قد سُبِّل بابه لمن أراد الدخول عليه، لا يمنع أحد من ذلك، ونزل فصلى بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال لا يمنع أحد من ذلك مدة.

قال الواقدي: فحدثني علي بن عمر عن أبيه قال: ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإن البلاد قد تمخضت عليك، ولا آمن ركباً آخرين يقدمون من قبل الكوفة، فتقول: يا علي اركب إليهم. ويقدم آخرون من البصرة فتقول: يا علي اركب إليهم. فإن لم أفعل قطعت رحمك واستخففت بحقك.

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعلم الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فو الله ما عاب من عاب شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكن ضل رشدي ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فليتب، ومن أخطأ فليتب ولا يتمادى في الهلكة، إن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق» فأنا أول من اتعظ، أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم، فوالله لأكونن كالمرقوق إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه.

قال: فرق الناس له وبكى من بكى، وقام إليه سعيد بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين! الله الله في نفسك! فأنتم على ما قلت.

فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس، وجاءه

مروان بن الحكم فقال: أتكلم يا أمير المؤمنين أم أصمت؟ فقالت امرأة عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية من وراء الحجاب: بل اصمت، فوالله إنهم لقاتلوه، ولقد قال مقالة لا ينبغي له النزوع عنها. فقال لها: وما أنت وذاك؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ. فقالت له: دع ذكر الآباء. ونالت من أبيه الحكم، فأعرض عنها مروان، وقال لعثمان: يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت؟ فقال له عثمان: بل تكلم، فقال مروان: بأبي أنت وأمي، لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطُّبيين، وخلّف السيل الزبى، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة يستغفر منها، خير من توبة تُخوَّف عليها، وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلمهم، فإني أستحي أن أكلمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً. فقال: ما شأنكم كأنكم قد جئتم لنهب، شاهت، الوجوه كل إنسان آخذ بأذن صاحبه الا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم أمر يسوؤكم ولا تحمدوا غِبَّه، ارجعوا إلى منازلكم، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا.

قال: فرجع الناس، وخرج بعضهم حتى اتى عليا فأخبره الخبر، فجاء علي مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك؟! وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه، وايم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغلبت على أمرك.

فلما خرج علي دخلت نائلة على عثمان فقالت: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلمي، فقالت: سمعت قول علي أنه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان حيث شاء قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الله قدر ولاهية ولا محبة، فأرسل إلى علي فاستصلحه فإن له قرابة منك وهو لا يعصى.

قال: فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه، وقال: لقد أعلمته أني لست بعائد. قال: وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء إلى عثمان فقال: أتكلم أو سكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن نائلة بنت الفرافصة، فقال عثمان: لا تذكرها بحرف فأسوء لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك. قال: فكف مروان.

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر وغيرها في شوال من هذه السنه

وسبب ذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان، وغضب علي على عثمان بسببه، ووجدوا الأمر على ماكان عليه لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبيه فكاتب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان علي وطلحة والزبير، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم.

وقال سيف بن عمر التميمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، غيرهم أيضاً، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل لهم يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التُّجيبي، وعروة بن شِيَم الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة السكوني وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً، ومعهم ابن السوداء وكان أصله ذميا فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية - قبحه الله -.

وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق أيضاً، وأمراؤهم: زيد بن صوحان، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر بن الحارث، وعبد الله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأهيم.

وخرج أهل البصرة أيضاً في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي، وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي، وفريح بن عباد العبدي وابن محرِّش الحنفي، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي.

وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة. لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة، كما تواعدوا في كتبهم، في شهر شوال فنزل طائفة منهم بذي خشب، وطائفة بالأعوص، والجمهور بذي المروة، وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليختبروا الناس ويخبروهم أنهم جاؤوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله، ما جئنا إلا لذلك، واستأذنوا في الدخول، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه فتجاسروا واقتربوا من المدينة، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت، عليه حلة أفواف، معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف وليس عليه قميص، وقد سرح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه فسلم عليه المصريون فصاح بهم وأطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صبحكم الله، قالوا: نعم! وانصرفوا من عنده على ذلك، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي - وقد أرسل ابنيه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم وأطردهم وقال لهم كما قال علي لأهل مصر، وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة، فرجع كل فريق منهم إلى قومهم، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياماً راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن. فكف الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أياماً. هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس، فيصلي وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم، حتى قال علي لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا وكذلك قال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير. وقال أهل كل مصر: إنما جئنا لننتصر أصحابنا. فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعوه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا ونحن نعتزله - يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا -.

وكان المصريون فيما ذكر [تاريخ الطبري: ٣٥٥/٤]، لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا في الطريق بريداً يسير، فأخذوه ففتشوه، فإذا معه في إداوة كتاباً على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم، ويصلب آخرين، ويقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جمله، فلما رجعوا جاؤوا بالكتاب وداروا به على الناس فكلم الناس امير المؤمنين في ذلك، فقال: بيِّنة عليَّ بذلك وإلا فوالله لا كتبت ولا أمليت، ولادريت بشيء من ذلك، والخاتم قد يزور على الخاتم، فصدقه الصادقون في ذلك، وكذبه الكاذبون.

ويقال: إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح، ويولي محمد بن أبي بكر، فأجابهم إلى ذلك، فلما رجعوا وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر وآخرين معه، فرجعوا، وقد حنقوا عليه حنقاً شديداً، وطافوا بالكتاب على الناس، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس.

وروى ابن جرير [تاريخه: ٣٦٧/٤] من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي على جمل لعثمان.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٣٦٧/٤] من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه. وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتبا مزورة عليهم أنكروها، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فانه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً.

واستمر عثمان يصلي بالناس في تلك الأيام كلها، وهم أحقر في عينه من التراب، فلما كان في بعض الجمعات وقام على المنبر، وفي يده العصا التي كان يعتمد عليها رسول الله ﷺ في خطبته، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه، وأنزله عن المنبر، فطمع الناس فيه من يومئذ.

كما قال الواقدي [تاريخ الطبري: ٣٦٦/٤، ٣٦٧]: حدثني أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: بينا أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي ﷺ التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر، فقال له جهجاه: قم يا نَعْثَل فانزل عن هذا المنبر. وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فبقي الجرح حتى أصابته الأكِلَة فرأيتها تَدود، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها، فكانت مضيبة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل.

قال ابن جرير [تاريخه: ٣٦٧/٤]: حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن جَهْجاهاً الغفاري أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته، فرُمي في ذلك المكان بأُكْلة.

وقال الواقدي: وحدثني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة قال: خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين: إنك ركبت نهابير وركبناها معك، فتب نتب معك. فاستقبل عثمان القبله وشهَرَ يديه، قال أبو حبيبة: فلم أر يوماً أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ.

ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح: يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة وجامعة، فانزل فلندرجك في العباءة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم نزل عثمان. قال أبو حبيبة: فكان آخر يوم رأيته فيه.

وقال الواقدي حدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد. قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جبلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو في نادي قومه، وفي يد جبلة جامعة، فلما مر عثمان سلم فرد القوم، فقال جبلة: لم تردون عليه؟ رجل قال كذا وكذا، ثم أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه، فقال عثمان: أي بطانة؟ فوالله إني لأتخير الناس، فقال: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته! وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته! منهم من نزل القرآن بدمه، وأباح رسول الله ﷺ دمه، قال: فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم.

قال الواقدي: وحدثني محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن نقاخة عن عثمان بن الشريد. قال: مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره، ومعه جامعة، فقال: يانعثل! والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء، ولأخرجنك إلى حرة النار. ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فانزله عنه.

وذكر سيف بن عمر: أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته: ياهؤلاء العِدا! الله الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يمحو السيئ إلا بالحسن، فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: إنه في الكتاب. فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قُتيرة فأقعده وقال فافظع، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه، فاحتُمل وأُدخل داره، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر. وأقبل علي وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بَثَّهم وما حلَّ بالناس، ثم رجعوا إلى منازلهم، واستقتِل جماعة من الصحابة، منهم أبو هريرة وابن عمر، وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضي الله ما يشاء.

صفة حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما وقع ما وقع يوم الجمعة، وشج أمير المؤمنين عثمان، وهو في رأس المنبر، وسقط مغشيا عليه، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس، والجؤوه إلى داره وضيقوا عليه، وأحاطوا بها محاصرين له، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين، وعبد الله بن الزبير - وكان أمير الدار - وعبد الله بن عمر، وصاروا، يُجاحفون عنه، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم، وأسلمه بعض الناس رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا، فإنهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، ولم يقع في خلد أحد أنه يُقتل، إلاّ ما كان في نفس أولئك الخارجين عليه. وانقطع عثمان عن المسجد فكان لايخرج إليه إلا قليلا في أوائل الأمر، ثم انقطع بالكلية في آخره، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب. وقد استمر الحصر أكثر من شهر. وقيل:

أربعين يوما، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضي الله عنه، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى.

والذي ذكره ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٢٣] أن الذي كان يصلي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور، طلحة بن عبيد الله.

وروى الواقدي أن علياً صلى بالناس أيضا، وصلى أبو أيوب، وصلى بهم سهل بن حنيف، وكان يجمّع بهم علي، وهو الذي صلى بهم بعد، وقد خاطب الناس في غبون ذلك بأشياء، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان.

قال الامام أحمد [١/٧٠]: حدثنا بهز حدثنا أبو عوانه حدثنا حصين عن عمرو بن جاوان قال الأحنف: انطلقنا حجاجا فمررنا بالمدينة،فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال: فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي، فقال: ههنا علي؟ قالوا: نعم! قال: ههنا الزبير؟ قالوا: نعم! قال: ههنا طلحة؟ قالوا: نعم! قال: ههنا سعد؟ قالوا: نعم! قال: أنشدكم باللّه الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول اللّه ﷺ قال: «من يبتاع مربد بني فلان غفر اللّه له» فابتعته فأتيت رسول اللّه ﷺ فقلت: إني قد ابتعته فقال: «اجعله في مسجدنا وأجره لك» قالوا نعم قال: أنشدكم باللّه الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول اللّه ﷺ قال: «من يبتاع بئر رومة؟» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول اللّه ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال: «اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها»؟ قالوا: نعم! قال: أنشدكم باللّه الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول اللّه ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: «من يجهز هؤلاء غفر اللّه له» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالا؟ قالوا: اللّهم نعم! فقال: اللّهم اشهد، اللّهم اشهد، اللّهم اشهد. ثم انصرف.

ورواه النسائي [٣٦٠٨، ٣٦٠٩] من حديث حصين وعنده: إذ جاء عثمان وعليه ملاءة صفراء.

طريق أخرى:

قال عبد اللّه بن أحمد [المسند: ١/٧٤]: حدثني عبيد اللّه بن عمر القواريري حدثني القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عبادة الزرقي الأنصاري، من أهل المدينة عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال: شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز،، ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل، فقال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد اللّه، فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع فدائي آخر ثلاث مرات، ثم لا تجيبني أنشد اللّه يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول اللّه ﷺ في موضع كذا وكذا، ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم! قال: فقال لك رسول اللّه ﷺ: «ياطلحة إنه ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة، وإن عثمان بن عفان هذا - يعنيني - رفيقي في الجنة»؟ فقال طلحة: اللّهم نعم! ثم انصرف.

لم يخرجوه.

طريق أخرى:

قال عبد اللّه بن أحمد [١/٧٤، ٧٥]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدّمي حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصاري حدثنا هلال بن حقّ عن الجريري عن ثمامة بن حَزْن القشيري. قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليهم اطلاعة، فقال: ادعو لي صاحبيكم اللذين الباكم علي، فدعيا له، فقال: أنشدكما اللّه أتعلمان أن رسول اللّه ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: «من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين، وله خير منها في الجنة»؟ فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين! ثم قال: أنشدكم اللّه تعلمون أن رسول اللّه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا رومة فقال رسول اللّه ﷺ: «من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين، وله خير منها في الجنة»؟ فاشتريتها من خالص مالي وأنتم تمنعوني أن أشرب مهنأ! ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللّهم نعم!

وقد رواه الترمذي [٣٧٠٣] عن عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمي، وعباس الدروي وغير واحد.

وأخرجه النسائي [٣٦١٠] عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر عن يحيى بن أبي الحجاج المنقري عن أبي سعيد الجريري به وقال الترمذي: حسن صحيح.

طريق أخرى

قال الإمام أحمد [١/٦٢]: حدثنا عبد الصمد ثنا القاسم - يعني ابن الفضل - ثنا عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان رجالاً من أصحاب رسول اللّه ﷺ،فيهم عمار بن ياسر، فقال: إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني، نشدتكم اللّه أتعلمون أن رسول اللّه ﷺ كان يؤثر قريشا على الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم. فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم، فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان: ألا أحدثكما عنه - يعني عماراً - أقبلت مع رسول اللّه ﷺ آخذاً بيدي نتمشي في البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وهم يعذبون» فقال أبو عمار: يارسول اللّه، الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: «اصبر»، ثم قال: «اللّهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت»

تفرد به أحمد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب.

طريق أخرى

قال الإمام أحمد [١/٦٣]: حدثنا إسحاق بن سليمان سمعت مغيرة بن مسلم أبا سلمة يذكر عن مطر عن نافع عن ابن عمر: أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور، فقال: علام تقتلوني؟ فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمداً فعليه القَوَدُ، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل» فواللّه ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت أحداً فأقيد نفسي منه، ولا ارتددت منذ أسلمت، إني أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله.

ورواه النسائي [٤٠٦٨] عن أحمد بن الأزهر عن إسحاق بن سليمان به.

طريق أخرى

قال الإمام أحمد [١/٦٥]: حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: كنت مع عثمان في الدار وهو محصور، قال: وكنا ندخل مدخلاً إذا دخلناه سمعنا كلام مَنْ على

البلاط، قال: فدخل عثمان يوماً لحاجةٍ فخرج إلينا متقعاً لونه، فقال: إنهم ليتوعّدوني بالقتل آنفاً. قال: قلنا: يكفيكهم الله ياأمير المؤمنين، قال: فقال: ومَ يقتلوني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلوني؟.

وقد رواه أهل السنن الأربعة [د(٤٥٠٢)، ت(٢١٥٨)، س(٤٠٣١)، ج(٢٥٢٣)] من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي أمامة ـ زاد النسائي: وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا: كنا مع عثمان فذكره. وقال الترمذي: حسن وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه.

طريق أخرى:

قال الإمام أحمد [٥٩/١]: حدثنا قطن ثنا يونس ـ يعني ابن ابي إسحاق ـ عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وأنا معه، فانتشد له رجال قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال: «هذه يدي وهذه يد عثمان». ووضع يديه إحداهما على الأخرى فبايع لي؟ فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ قال: «من يوسّع لنا بهذا البيت في المسجد ببيتٍ في الجنة؟» فابتعته من مالي فوسعت به المسجد. فانتشد له رجال. ثم قال: وأنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال: «مَنْ ينفق اليوم نفقة متقبلة»؟ فجهزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال. ثم قال: وأنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل؟ قال: فانتشد له رجال.

ورواه النسائي [٣٦١١] عن عمران بن بكار عن خطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن جده أبي إسحاق السبيعي به.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٣٦٨/٤] أن عثمان رضي الله عنه لما رأى ما فعله هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار من محاصرته في داره، ومنعه الخروج إلى المسجد، كتب إلى معاوية بالشام وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة، يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة، وانتدب يزيد بن أسد القَسْري في جيش، وبعث أهل الكوفة جيشا، وأهل البصرة جيشا، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا في الحصار، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضي الله عنه كما سنذكره.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٣٧١/٤، ٣٧٢] أن عثمان استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان وسادة في كوة من داره، فأشرف على الناس، فقال له عثمان: يا أشتر ماذا يريدون؟ فقال: إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الإمرة، وإما أن تُقيد من نفسك من قد ضربته، أو جلدته، أو حبسته، وإما أن يقتلوك.

وفي رواية [تاريخ الطبري: ٣٧١/٤] أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولي عليها من يريدون هم، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر، فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه فيكون سبباً في قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن. وأما ماسألوه من خلعه نفسه فإنه لا يفعل ولا ينزع قميصا قمصه الله أياه، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض، وقال لهم فيما قال: وأي شيء إلي من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميراً عزلته، وكلما رضيتم عنه وليته؟ وقال لهم فيما قال: والله لئن قتلتموني لا تتحابوا بعدي أبداً ولا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تقاتلوا بعدي عدواً جميعاً أبداً. وقد صدق رضي الله عنه فيما قال..

وقال الإمام أحمد [١٤٩/٦]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبي قيس حدثني النعمان بن بشير قال: كتب معي معاوية إلى عائشة كتابا فدفعت إليها كتابه فحدثتني أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان: «إن الله لعله يقمّصك قميصا. فإن أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه» ثلاث مرات. قال النعمان: فقلت: ياأم المؤمنين! فأين كنت عن هذا الحديث؟ فقالت: يابني والله أنسيته.

وقد رواه الترمذي [٣٧٠٥] من حديث الليث عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة به.

ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

ورواه ابن ماجه [١١٢] من حديث الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان فأسقط عبد الله بن عامر.

قال الإمام أحمد [٥١/٦، ٥٢]: حدثنا يحيى، عن اسماعيل حدثنا قيس عن أبي سهلة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي» قلت أبو بكر؟ قال: لا، قلت: عمر؟ قال: «لا» قلت: ابن عمك علي؟ قال: لا قالت: قلت: عثمان؟ قال: "نعم" فلما جاء قال: "تنحى" فجعل يساره ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا: ياأمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا! إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وإني صابر نفسي عليه».

تفرد به أحمد.

وقال محمد بن عائذ الدمشقي. حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفَهْمي يقول: قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم؟ فقلت: رأيت في وجوههم الشر، وعليهم ابن عديس البلوي، فصعد ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتنقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قام فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكرتُ ذلك، إني لرابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى، والله لا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت علي جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية.

ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لهيعة، قال: لقد اختبأت عند ربي عشراً. فذكرهن.

حصارُ عثمان ﷺ

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر

من ذي الحجة، فلما كان قبل ذلك بيوم، قال عثمان للذين عنده في الدار من أبناء المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبا من سبعمائه، فيهم عبد اللّه بن عمر وعبداللّه بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر فبرد القتال من داخل الدار، وحمي من خارج، واشتد الأمر، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر اللّه رجاء موعوده، وشوقا إلى رسول اللّه ﷺ، وليكون خير ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

وروي أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار، بعد أن عزم عليهم في الخروج، الحسن بن علي وقد جُرح، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبداللّه بن الزبير رضي اللّه عنهم [تاريخ خليفة: ١٨٨/١].

وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول اللّه ﷺ إلا يوم الدار ويوم نجدة الحروري.

قال أبو جعفر الرازي عن أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر: إن عثمان يرضي اللّه عنه أصبح يحدث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «يا عثمان افطر عندنا» فأصبح صائما وقتل من يومه.

وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال: دخل عليه كثير بن الصلت فقال: يا أمير المؤمنين اخرج فاجلس بالفناء فيُرى وجهك فإنك إن فعلت ارتدعوا. فضحك وقال: يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي اللّه ﷺ وعنده أبو بكر وعمر، فقال. «ارجع فإنك مفطر عندي غدا» ثم قال عثمان: ولن تغيب الشمس واللّه غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة،قال: فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبلا حتى دخلا على عثمان.

وقال موسى بن عقبة: حدثني أبو علقمة - مولى لعبد الرحمن بن عوف حدثني ابن الصلت قال: أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس: تمنى عثمان أمنية لحدثتكم. قال: قلنا: أصلحك اللّه، حدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيت رسول اللّه ﷺ في منامي هذا، «فقال: إنك شاهد معنا الجمعة».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، ثنا خلف بن تميم حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي، حدثنا عبد الملك بن عمير حدثني كثير بن الصلت قال: دخلت على عثمان وهو محصور، فقال لي: يا كثير ما أراني إلا مقتولا يومي هذا. قال: قلت: ينصرك اللّه على عدوك يا أمير المؤمنين، قال: ثم أعاد علي فقلت: وقّت لك في هذا اليوم شيء؟ أو قيل لك شيء؟قال: لا! ولكني سهرت في ليلتي هذه الماضية، فلما كان عند السَحَر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول اللّه ﷺ، وأبا بكر وعمر، ورسول اللّه ﷺ يقول لي: «يا عثمان الحقنا لا تحبسنا، فإنا نتنظرك» قال: فقتل من يومه ذلك.

وقال ابن ابي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا يزيد بن هارون، عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبي أمية عن عبد اللّه بن سلام.قال: أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور، فدخلت عليه فقال: مرحبا بأخي رأيت رسول اللّه ﷺ الليلة في هذه الخوخة - قال: وخوخة في البيت - فقال: «يا عثمان حصروك؟» قلت: نعم قال: «عطشوك؟» قلت: نعم! فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، وقال: «إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده». فقتل ذلك اليوم.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٧٥/٣]: حدثنا محمد بن عمر، أنا عفان بن مسلم حدثنا وهيب حدثنا داود عن زياد بن عبد اللّه عن أم هلال بنت وكيع عن امرأة عثمان - قال: وأحسبها بنت الفرافصة - قالت: أغفى عثمان فلما استيقظ قال: إن القوم يقتلونني، قلت: كلا يا أمير المؤمنين. قال: إني رأيت رسول اللّه ﷺ وأبا بكر وعمر، فقالوا: افطر عندنا الليلة، أو إنك تفطر عندنا الليلة.

وقال الهيثم بن كليب: حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ثنا شبابة ثنا يحيى بن أبي راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي. وعقبة بن أسيد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية - امرأة عثمان - قالت: لما حصر عثمان ظل اليوم الذي كان قبل قتله بيوم صائماً، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه، وقالوا: دونك ذلك الركي. وركيّ في الدار الذي يلقى فيه التبن - قالت: فلم يفطر فأتيت جارات لنا على أحاجير متواصلة وذلك في السحر - فسألتهم الماء العذب، فأعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت: هذا ماء عذب أتيتك به، قالت: فنظر فإذا الفجر قد طلع فقال: إني أصبحت صائما، قالت: فقلت: ومن اين ولم أر أحداً أتاك بطعام ولا شراب؟ فقال: إني رأيت رسول اللّه ﷺ اطلع علي من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثم قال: ازدد فشربت حتى نهلت، ثم قال: أما إن القوم سيكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا، قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه.

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد اللّه بن الإمام أحمد [٧٢/١]: حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدي عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسراويل فشدها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول اللّه ﷺ في المنام وأبا بكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه. قلت: إنما لبس السروايل رضي الله عنه في هذا اليوم لئلا تبدو عورته إذا قتل فانه كان شديد الحياء، كانت تستحي منه الملائكة، كما نطق بذلك النبي ﷺ. ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء اللّه عز وجل، وكف يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر اللّه قدرا مقدورا.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: إن عثمان رضي الله عنه أوصى إلى الزبير.

وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل عن أبيه. قال: لما قتل عثمان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان. بسم اللّه الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن اللّه يبعث من في القبور، ليوم لا ريب فيه إن اللّه لا يخلف الميعاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء اللّه تعالى.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ص٤٠٧] أن عثمان رضي الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه:

أرى الموت لا يبقي عزيزاً ولم يدع　　لعاد ملاذاً في البلاد ومُرْتَقى

وقال أيضاً:

بيت أهل الحصن والحصن مغلق　　ويأتي الجبال في شماريخها العلا

صفة قتله ﷺ

قال خليفة بن خياط [تاريخه: ١٨٣/١]: حدثنا ابن علية حدثنا ابن عون عن الحسن قال أتاني وثاب. قال: بعثني عثمان فدعوت له الأشتر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بد، قال: ما هن؟ قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختاروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فإن القوم قاتلوك. فقال: أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، وأما أن أُقِصَّ لهم من نفسي، فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان وما يقوم بَدَني بالقصاص وأما أن يقتلوني فو الله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي أبداً، ولا تصلون بعدي جميعاً أبداً، ولا تقاتلون بعدي جميعا عدواً أبداً. قال: وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً، فأخذ بلحيته وقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك، قال: أرسل لحيتي يا ابن أخي، قال: فأنا رأيته استعدى رجلا من القوم بعينه - يعني أشار إليه - فقام إليه بمشقص فوجأ به رأسه. قلت: ثم مه؟ قال: ثم تعاوروا عليه والله حتى قتلوه.

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله عن الغُصْن بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان - أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه ليجأ بها في حلقه، فقال مهلاً يا ابن أخي، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به، فتركه وانصرف مستحيياً نادماً فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلاً حتى غلبوه، فدخلوا وخرج محمد راجعاً. فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه، ثم تغاوَوْا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدي بالسيف، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه، وقالت: يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين! وأخذت السيف، فقطع الرجل يدها، وانتهبوا متاع الدار ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال: ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم. قال: والله ماتركوا في داره شيئاً حتى الأقداح إلا ذهبوا به.

وروى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، ص٤٠٨، ٤١٢] أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبنائهم، إلا محمد بن أبي بكر، وسبقه بعضهم، فضربوه حتى غشي عليه وصاح النسوة فانذعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل، فلما رآه قد أفاق قال: على أي دين أنت يا نعثل؟ قال: على دين الإسلام، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين، فقال: غيَّرت كتاب الله، فقال: كتاب الله بيني وبينكم، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال: إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ [الأحزاب: ٦٧] وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار، وهو يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي. وجاء رجل من كندة من أهل مصر، يلقب حماراً، ويكنى بأبي رومان. وقال قتادة: اسمه رومان، وقال غيره: كان أزرق أشقر، وقيل: كان اسمه سودان بن رومان المرادي. وعن ابن عمر قال: كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتاً، فقال: أفرجوا. ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه، ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكأ عليه وتحامل حتى قتله، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها [تاريخ خليفة: ١٩٠/١].

ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه [طبقات ابن سعد: ٧٣/٣].

والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها. فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وجاحف دونه فلم يُفِد وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٤١٤] عن ابن أبي عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه، وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خرّ لجنبه فقتله، وأما عمرو بن الحَمِق فوثب على عثمان فجلس على صدره، وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن فلله، وست لما كان في صدري عليه.

وقال الطبراني [المعجم الكبير: ٣٩/١]: حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، وإسحاق بن داود الصواف التستري قالا: حدثنا محمد بن خالد بن خداش حدثنا سَلْم بن قتيبة حدثنا مبارك عن الحسن. قال: "حدثني سياف عثمان أن رجلا من الأنصار دخل على عثمان فقال: ارجع يا ابن أخي فلست بقاتلي، قال: وكيف علمت ذلك؟ قال: لأنه أتى بك النبي ﷺ يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة. ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء. ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال: أنت قاتلي. قال: وما يدريك يا نعثل؟ قال: لأنه أتي بك رسول الله ﷺ يوم سابعك ليحنكك ويدعو لك بالبركة، فخريت على رسول الله ﷺ، قال: فوثب على صدره وقبض على لحيته، ووجأه بمشاقص كانت في يده".

هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة.

وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه، وليس ببعيد فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ٤١٨، ٤١٩] أنه لما طعن قال: بسم الله توكلت على الله، فلما قطر الدم قال: سبحان الله العظيم.

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه [٣٥٥/٤، ٣٥٦، ٣٧٣، ٣٧٧] بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر، فيه الأمر بقتل بعضهم، وصلب بعضهم، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان، متأولاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] وعنده أن

هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين في الأرض، ولا شك أنهم كذلك، لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه، ويزور على خطّه وخاتمه، ويبعث غلامه على بعيره، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر، بخلاف ذلك كله، ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه، وظنوا أنه من عثمان، أعظموا ذلك، مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤوس الصحابة، وأعانهم على ذلك قوم آخرون، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين، حلف بالله العظيم، وهو الصادق البار الراشد، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه، ولا علم به، فقالوا له: فإن عليه خاتمك. فقال: إن الرجل قد يزوِّر على خطه وخاتمه قالوا: فإنه مع غلامك وعلى جملك. فقال: والله لم أشعر بشيء من ذلك. فقالوا له ـ بعد كل مقالة ـ إن كنت قد كتبته فقد خنت، وإن لم تكن قد كتبته بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت، ومثلك لا يصلح للخلافة، إما لخيانتك، وإما لعجزك.

وهذا الذي قالوا باطل على كل تقدير فإنه لو فرض أنه كتب الكتاب، وهو لم يكتبه في نفس الأمر، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الإمام، وأما إذا لم يكن قد علم به فأي عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد اطلع عليه وزوِّر على لسانه؟! وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جائزان عليه رضي الله عنه، وإنما هؤلاء الجهلة البغاة متعنتون خونة، ظلمة مفترون، ولهذا صمموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه، حتى منعوه الميرة والماء والخروج إلى المسجد، وتهددوه بالقتل، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها، ومن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله بإحدى ثلاث، النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة» [د(٤٥٠٢)، ت(٢١٥٨)] وذكر أنه لم يقتل نفسا، ولا ارتد بعد إيمانه، ولا زنى في جاهلية ولا إسلام، بل ولا مس فرجه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله ﷺ.

وفي رواية [د(٣٧٧٨)، ج(٢٥٣٣)]: بعد أن كتب بها المفصل.

ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منهم، فأبوا إلا الاستمرار على ماهم عليه من البغي والعدوان. ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده، حتى اشتد عليه الحال، وضاق المجال، ونفد ما عنده من الماء، فاستغاث بالمسلمين في ذلك فركب علي بنفسه وحمل معه قربا من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعدما ناله من جهلة أولئك كلام غليظ، وتنفير لدابته، وإخراق عظيم بليغ، وكان قد زجرهم أتم الزجر، حتى قال لهم فيما قال: والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا لهذا الرجل، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون. فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامته في وسط الدار. وجاءت أم حبيبة راكبة بغلة وحولها حشمها وخدمها، فقالوا: ما جاء بك؟ فقالت: إن عنده وصايا بني أمية، لأيتام وأرامل، فأحببت أن أذكره بها، فكذبوها في ذلك ونالها منهم شدة عظيمة، وقطعوا حزام البغلة وندّت بها، وكادت أو سقطت عنها، وكادت تقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها، ووقع أمر كبير جداً، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم في الخفية ليلاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً، ولزم أكثر الناس بيوتهم، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة في هذه السنة إلى الحج، فقيل لها: إنك لو أقمت كان أصلح، لعل هؤلاء القوم يهابونك، فقالت: إني أخشى أن أشير عليهم برأي فينالني منهم من الأذية ما نال أم حبيبة، فعزمت على الخروج.

واستخلف عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس، فقال له عبد الله بن عباس: إن مقامي على بابك أجاحف عنك أفضل من الحج. فعزم عليه، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع البشير من الحج، فأخبر بسلامة الناس، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين. وبلغهم أيضاً أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن حديج، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش، وأن أهل البصرة بعثوا مجاشعاً في جيش فعند ذلك صمموا على أمرهم وبالغوا فيه، وانتهزوا الفرصة بقلة الناس وغيبتهم في الحج، وأحاطوا بالدار، وجدُّوا في الحصار، وأحرقوا الباب، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار، كدار عمرو بن حزم وغيرها، وجاحف الناس عن عثمان أشد المجاحفة، واقتتلوا على الباب قتالا شديداً، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم، وجعل أبو هريرة يقول: هذا يوم طاب امضرابُ. وقتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان بن الحكم فقطع إحدى علباويه فعاش أوقص حتى مات.

ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان، زياد بن نعيم الفهري والمغيرة بن الأخنس بن شريق، ونيار بن عبد الله الأسلمي، في أناس وقت المعركة.

ويقال: إنه انهزم أصحاب عثمان ثم تراجعوا. ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم، فانصرفوا كما تقدم، فلم يبق عنده أحد سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب، ومن الجدران وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه، وكان سريع القراءة ـ فقرأها والناس في غلبة عظيمة، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه، وجعلت نفسه تتردد في حلقه، فتركه وهو يظن أنه قد قتله، ثم دخل ابن أبي بكر فمسك بلحيته ثم ندم وخرج، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها، فقيل: إنه أبانها: وقيل: بل قطعها ولم يبنها، إلا أن عثمان قال: والله إنها لأوّل يد كتبت المفصل، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها. ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه، رضي الله عن عثمان وأرضاه.

وفي رواية أن الغافقي بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بحديدة في يده، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار

المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضي الله عنه. وسالت عليه الدماء، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فمانعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال: إنها لكبيرة العجيزة. وضرب عثمان فقتله، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله، فضرب الغلام رجل يقال له: قُتيرة فقتله.

وروى ابن جرير [تاريخه: ٤/٤١٤] أنهم أرادوا حز رأسه بعد قتله، فصاح النساء وضربن وجوههن، فيهن امرأتان نائلة وأم البنين، وبناته، فقال ابن عديس: اتركوه، فتركوه. ثم مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنهبوه، وذلك أنه نادى مناديهم: أيحل لنا دمه ولا يحل لنا ماله! فانتهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قتيرة فقتله، وجعلوا لا يمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي، ملاءة نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وقتل الغلام أيضا، ثم تنادى القوم: أن أدركوا بيت المال لا تُسبَقوا إليه، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا: ياقوم النجاءَ النجاءَ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله وكذبوا إنما قصدهم الدنيا، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال، وكان فيه شيء كثير جداً.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهم بن خَنْبَس أبي خنبش، أو خُنَيس الأزدي وكان قد شهد الدار.

ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرُّحبي عنه وكان قد استدعاه عمر بن عبد العزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه: أن وفد الأشقياء، وهم وفد مصر كانوا قد قدموا على عثمان فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة فوافقوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فحصبوه بالحصا والنعال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطلحة ومروان والمغيرة بن الأخنس في أناس، وأطاف وفد مصر بداره فاستشار الناس فقال عبد الله بن الزبير: يا أمير المؤمنين إني أشير بإحدى ثلاث خصال إما أن تحرم بعمرة فتحرم عليهم دماؤنا وإما أن تركب معك إلى معاوية بالشام، وإما أن تخرج فتضرب بالسيف إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم، فإنّا على الحق وهم على الباطل. فقال عثمان: أما ما ذكرت من الإحرام بعمرة فتحرم دماؤنا فإنهم يروما حلالا الآن وحال الإهرام وبعد الإحرام وأما الذهاب إلى الشام فإني أستحيي أن أخرج من بينهم خائفاً فيراني أهل الشام وتسمع الأعداء من الكفار ذلك، وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسببي محجمة دم.

قال: ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لي: صم يا عثمان فإنك تفطر عندنا، وإني أشهدكم أني وقد أصبحت صائماً وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه. فقلنا: يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون في بيت من الدار تكون لنا فيه جماعة ومنعة. ثم أمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وعنده امرأته بنت الفرافصة الكلبية وابنة شيبة فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته فقال: دعها يا ابن أخي فو الله لقد كان أبوك يتلهّف لها بأدنى من هذا فاستحيى فخرج فقال للقوم: قد أشعرته لكم. وأخذ عثمان ما امتعط من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه. ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير مُخَدَّد عداده من مراد معه جُرز من حديد فاستقبله فقال: على أي ملة أنت يا نعثل؟ فقال عثمان: لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين فقال: كذبت، وضربه بالجُرز على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته بنت الفَرافصة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة ضليعة فألقت نفسها عليه وألقت بنت شيبة نفسها على ما بقي من جسده ودخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلتا فقال: والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فغلبته فكشف عنها درعها من خلفها حتى نظر إلى متنها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها، فقالت: يا رباح ـ لغلام عثمان أسود ـ يا غلام ادفع عني هذا الرجل، فمشى إليه الغلام فضربه فقتله وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المغيرة بن الأخنس وجرح مروان. قال: فلما أمسينا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فاحتملناه إلى بقيع الغرقد في جوف الليل وغشينا سواد من خلفنا فهبناهم وكدنا أن نتفرق عنه فنادى مناديهم: أن لا روع عليكم اثبتوا إنما جئنا لنشهده معكم وكان أبو خنيس يقول: هم ملائكة الله فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا الجيش بواري القرى عليهم حبيب بن مسلمة قد أتوا في نصره عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه.

وقت قتل عثمان ﷺ

ولما وقع هذا الأمر العظيم، الفظيع الشنيع، أسقط في أيدي الناس، فأعظموه جداً، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج على ما صنعوا، وأشبهوا من تقدمهم ممن قصّ الله علينا خبرهم في كتابه العزيز، من الذين عبدوا العجل، في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان ـ وكان قد خرج من المدينة ـ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم ترحم على عثمان، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال: تباً لهم، ثم تلا قوله تعالى ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠] وبلغ علياً قتله فترحم عليه. وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦] ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٣]ة ثم قال سعد: اللّهم أندمهم ثم خذهم. وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولاً. رواه ابن جرير [تاريخه: ٤/٣٩٢].

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه:

منها دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح [المستدرك: ٣/٥٠٠].

وقال بعضهم: ما مات أحد منهم حتى جن [المعجم الكبير للطبراني: ١/٤٥ من كلام يزيد بن حبيب].

وقال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال: الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتّاب التجيبي. وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل، حتى إذا كنا بالعَرْج سمعنا رجلا يغني تحت الليل:

ألا إن خـير النـاس بعـد ثلاثـة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

ولما رجع الحجيج وجدوا عثمان رضي اللّه عنه قد قتل، وبايع الناس علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه. ولما بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أن عثمان قد قتل، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من أربعة أشهر كما سيأتي

فصل

كانت مدة حصر عثمان رضي اللّه عنه في داره أربعين يوماً على المشهور، وقيل: كانت بضعا وأربعين يوماً.

وقال الشعبي: كانت ثنتين وعشرين ليلة.

ثم كان قتلة رضي اللّه عنه في يوم الجمعة بلا خلاف.

قال سيف بن عمر عن مشايخه: في آخر ساعة منها، ونص عليه مصعب الزبيري وآخرون. وقال آخرون ضحوة، وهذا أشبه، وكان ذلك لثماني عشر ليلة خلت من ذي الحجة على المشهور، وقيل في أيام التشريق.

رواه ابن جرير [تاريخه: ٤/٤١٦] حدثني أحمد بن زهير حدثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن جرير قال: سمعت أبي قال: سمعت يونس بن يزيد عن الزهري. قال: قتل عثمان فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق.

ورواه عبد اللّه بن أحمد [المسند: ٢/٧٤] عن عبيد اللّه بن معاذ عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان قال: قتل عثمان في أواسط أيام التشريق.

وقال بعضهم: قتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

وقيل: قتل يوم النحر، حكاه ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٥٢٧] ويستشهد له بقول الشاعر:

ضحّوا بأشمطَ عنوانُ السجودِ به يقطّعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا

قلت: والأول هو الأشهر، وهو أنه قتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور.

وقيل سنة ست وثلاثين، قال مصعب الزبيري وطائفة. وهو غريب. فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين.

عُمْرُ عثمان رضي الله عنه

وأما عمره رضي اللّه عنه فإنه جاوز الثمانين على المشهور. فقيل: إحدى وثمانية سنة.

قال الواقدي: وغير واحد: توفي عن ثنتين وثمانين سنة.

وقال أحمد عن حسن بن موسى حدثنا أبو هلال عن قتادة توفي عثمان عن ثمان وثمانين أو تسعين سنة، وفي رواية عنه: توفي ست وثمانين سنة.

وعن هشام بن الكلبي: توفي عن خمس وسبعين سنة، وهذا غريب جداً، وأغرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا: قتل عثمان رضي اللّه عنه عن ثلاث وستين سنة.

موضع قبر عثمان رضي الله عنه

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بحَشّ كوكب - شرقي البقيع - وقد بني عليه في زمان بني أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم.

قال الإمام مالك رضي اللّه عنه: بلغني أن عثمان رضي اللّه عنه كان يمر بمكان قبره من حش كوكب فيقول: إنه سيدفن ههنا رجل صالح [المعجم الكبير: ١/٣٤].

عثمان بعدَ قتلِه وكيف دفن

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٤/٤١٢] أن عثمان رضي اللّه عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن.

قلت: وكأنه اشتغل الناس عنه بمبايعة علي رضي اللّه عنه حتى تمت، وقيل: إنه مكث ليلتين، وقيل: بل دفن من ليلته، ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم. فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة، منهم حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، وجبير بن مطعم، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، وطلحة والزبير، وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عُيينة بن حصن، وصبيان. - وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي.

قال أحمد [١/٧٤]: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: صلى الزبير على عثمان ودفنه وكان أوصى إليه.

وروى عبد اللّه [المسند: ١/٧٣] من طريق إبراهيم بن عبد اللّه بن فروخ عن أبيه: شهدت عثمان دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل. وحمله جماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه. وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن، والصحيح الأول. وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل الزبير بن العوام، وقيل حكيم بن حزام، وقيل مروان بن الحكم، وقيل المسور بن مخرمة وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه، وإلقاءه عن سريره، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع، حتى بلغ علي رضي اللّه عنه إليهم من نهاهم عن ذلك وحمل جنازته حكيم بن حزام، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم، وجبير بن مطعم.

وذكر الواقدي أنه لما وضع ليصلى عليه - عند مصلى الجنائز - أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك، فقال أبو جهم بن حذيفة: ادفنوه فقد صلى اللّه عليه وملائكته ثم قالوا: لا يدفن في البقيع ولكن ادفنوه وراء الحائط، فدفنوه شرقي البقيع تحت نخلات هناك.

وذكر الواقدي أن عمير بن ضابئ نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال: أحبست ضابئاً حتى مات في السجن؟ وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابئ هذا.

وقال البخاري في التاريخ: حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال حدثنا غالب عن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول: اللّهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، فقلت: يا عبد اللّه ماسمعت أحداً يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت للّه عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قتل وضع على سريره في البيت والناس يجيئون فيصلُّون عليه، فدخلت كأني أصلي عليه، فوجدت خلوة فرفعت

الثوب عن وجهه ولحيته فلطمته وسبّته وقد يبست يميني. قال ابن سيرين: فرأيتها يابسة كأنها عود.

ثم خرجوا بعبدي عثمان اللذين قتلا في الدار، وهما صبيح ونجيح، رضي الله عنهما، فدفنا إلى جانبه بحش كوكب، وقيل: إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما، بل جروهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما الكلاب.

وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان، ورفع الجدار بينه وبين البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين.

ذكر صفته ﷺ

كان رضي الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة، كبير اللحية، معتدل القامة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، حسن الثغر، فيه سمرة، وقيل بياض. وقيل: كان في وجهه شيء من آثار الجدري، رضي الله عنه.

وعن الزهري: كان حسن الوجه والشعر، مربوعاً، أضلع، أروح الرجلين.

وقال الإمام أحمد [١/٧٣، ٧٤]: حدثنا عبد الصمد حدثنا سالم أبو جميع حدثنا الحسن وذكر عثمان وشدة حيائه فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.

وقال عبد الله [المسند: ١/٧٣] حدثنا زياد بن أيوب حدثنا هشيم قال: زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن قال.

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي سبرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. قال: كان لعثمان عند خازنه يوم قتل، ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، فانتهبت وذهبت، وترك ألف بعير بالربذة، وترك صدقات كان تصدق بها، ببئر أريس، وخيبر، ووادي القرى، قيمة مئتي ألف دينار.

وقال الإمام أحمد [١/٦٦]: حدثنا أبو المغيرة حدثنا أرطاة بن المنذر حدثنا أبو عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: هل أنت منته عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر، فقال عثمان: إني قد سمعت وحفظت وليس كما سمعت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيقتل أمير ويتزي متزٍ» وإني أنا المقتول وليس عمر، إن عمر قتله واحد وإنه سيجتمع علي.

وقال أحمد [١/٥٧، ٥٨، ٦٩] حدثنا وكيع عن إسماعيل عن قيس قال: حدثني أبو سهلة أن عثمان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد لي عهداً فأنا صابر عليه. قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم.

ورواه الترمذي [٣٧١١] من حديث وكيع ويحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد به.

وفي مسند أبي يعلى من طريق أبي سهلة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ستبتلى بعدي فلا تقاتل».

فتنةُ قتل عثمان ﷺ

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن الدجال.

وروى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٤٥٨، ٤٥٩] من طريق شبابة عن حفص بن مورق الباهلي، عن حجاج بن أبي عثمان الصواف عن زيد بن وهب عن حذيفة. قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حبِّ قتلِ عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه، آمن به في قبره.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره: أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا أبو الأشهب حدثني عوف عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال: اللّهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً. فليس لي فيه نصيب، وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء، والله لئن كان قتله خيراً لتحلبنه لبناً، ولئن كان قتله شراً لتمتصُّن به دماً. وقد ذكره البخاري في صحيحه.

طريق اخرى عنه

قال محمد بن عائذ: ذكر يحيى بن حمزة حدثني أبو عبد الله النجراني أن حذيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يناجي امرأته ففتح عينيه فسألهما فقالا: خيرٌ، فقال: إن شيئاً تسرانه دوني ماهو بخير، قال: قُتِل الرجلُ - يعني عثمان - قال: فاسترجع ثم قال: اللّهم إني كنت من هذا الأمر بمعزل، فإن كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء، اليوم نفرت القلوب بأنفارها، الحمد لله الذي سبق بي الفتن، قادتها وعلوجها الخطيُّ، من تردى بعيره فشبع شحما وقلّ عمله.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعري. قال: لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما.

وهذا منقطع.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٣/٨٠]: أنا عارم بن الفضل أنا الصعق بن حزن ثنا قتادة عن زهدم الجرمي. قال: خطب ابن عباس فقال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء.

وقد روي من غير هذا الوجه عنه.

وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصاري. قال: لما قتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له: قتل عثمان، فقال: تباً لهم آخر الدهر. وفي رواية: خيبة لهم.

وقال أبو القاسم البغوي: أنبأنا علي بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى. قال: سمعت علياً وهو بباب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعا صوته يقول: اللّهم إني أبرأ إليك من دم عثمان.

وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن. قال: قتل عثمان وعلي غائب في أرض له، فلما بلغه قال: اللّهم إني لم أرض ولم أمالئ.

وروى الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة عن أبي العالية: أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به.

وقال الثوري وغيره عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال: قال علي يوم قتل عثمان: والله ما قتلت ولا أمرت ولكني غلبت.

ورواه غير ليث عن طاوس عن ابن عباس عن علي نحوه.

وقال حبيب بن أبي العالية عن مجاهد عن ابن عباس. قال: قال علي: إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ماقتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصوني.

وقد روي من غير وجه عن علي بنحوه [انظر أقوال علي ابن عساكر في تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص٤٦١-٤٦٦].

وقال محمد بن يونس الكُدَيمي: ثنا هارون بن إسماعيل ثنا قرة بن خالد عن الحسن عن قيس بن عباد. قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللّهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: واللّه إني لأستحيي من اللّه أن أبايع قوماً قتلوا رجلا قال فيه رسول اللّه ﷺ: «ألا أستحيي ممن تستحي منه الملائكة» وإني لأستحيي من اللّه أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد. فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت: اللّهم إني لمشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزمة فبايعت. فلما قالوا: أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي وانسكبت بعيرة.

وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان ص٤٦١-٤٧٦)] أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولارضي به، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه. ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وللّه الحمد والمنة.

وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال اللّه تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال: كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وأحسنوا.

وفي رواية أنه قال: كان عثمان رضي اللّه عنه خيرنا وأوصلنا للرحم، وأشدنا حياء، وأحسننا طهوراً، وأتقانا للرب عز وجل.

وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مجالد عن عمير بن زَوْذِي أبي كثير. قال: خطب علي فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال: إن مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة، أحمر وأبيض وأسود، ومعهم في أجمة أسد، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخران، فقال للأسود والأحمر: إن هذا الأبيض قد فضحنا في هذه الأجمة فخليا عنه حتى آكله، فخليا عنه فأكله، ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر فقال للأحمر: إن هذا الأسود قد فضحنا في هذه الأجمة، وإن لوني على لونك فلو خليت عنه أكلته فخلى عنه الأحمر فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكلك، فقال: دعني حتى أصيح ثلاث صيحات، فقال: دونك، فقال: ألا إني إنما أكلت يوم أكل البيض. ثلاثا فلو أني نصرته لما أكلت ثم قال علي: وإنما أنا وهنت يوم قتل عثمان، ولو أني نصرته لما وهنت قالها ثلاثاً.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٤٨٣، ٤٨٤] من طريق محمد بن هارون الحضرمي عن سوّار بن عبد اللّه العنبري القاضي عن ابن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب. قال: كانت المرأة تجيء في زمان عثمان إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول: اللّهم بدل، اللّهم غير. فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان ﷺ:

قتلتُمُ بدّل فقد بدّلتكم ... سنة حرى وحرباً كاللّهب
ما نقمتم من ثياب خلفة ... وعبيدٍ وإماءٍ وذهب

قال: وقال أبو حميد أخو بني ساعدة - وكان ممن شهد بدراً، وكان في من جانب عثمان - فلما قتل قال: واللّه ما أردنا قتله، ولا كنا نرى أن يبلغ منه القتل، اللّهم إن لك عليَّ أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٣/٧٩] أنا عبد اللّه بن إدريس أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. قال: لقد رأيتني وإن عمر موثقي وأخته على الإسلام، ولو ارفضَّ أحد فيما صنعتم بابن عفان لكان حقيقا.

وهكذا رواه البخاري في صحيحه [٣٨٦٢].

وروي محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير. قال: سمع عبد اللّه بن سلام رجلا يقول لآخر: قتل عثمان بن عفان فلم يتطح فيه عنزان. فقال ابن سلام: أجل! إن البقر والمعز لا تتطح في قتل الخليفة، ولكن يتطح فيه الرجال بالسلاح، واللّه لتقتلن به أقوام إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد.

وقال ليث عن طاوس. قال: قال ابن سلام: يحكم عثمان يوم القيامة في القاتل والخاذل.

وقال أبو عبد اللّه المحاملي: ثنا أبو الأشعث ثنا حزم بن أبي حزم سمعت أبا الأسود يقول: سمعت أبا بكرة يقول: لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أشرك في دم عثمان.

وقال أبو يعلى: [مسنده(٦٧٦٧)] ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا محمد بن عباد الهنائي ثنا البراء بن أبي فضالة ثنا الحضرمي عن أبي مريم رضيع الجارود. قال: كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال: أيها الناس! رأيت البارحة في منامي عجبا، رأيت الرب تبارك وتعالى فوق عرشه فجاء رسول اللّه ﷺ حتى قام عند قائمة من قوائم العرش، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي ﷺ ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر، ثم جاء عثمان فكان نُبذَةً فقال: رب سل عبادك فيم قتلوني؟ فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض، قال: فقيل لعلي: ألا ترى مايحدث به الحسن؟! فقال: حدث بما رأى.

ورواه أبو يعلى [مسنده(٦٧٦٨)] أيضا عن سفيان بن وكيع عن جميع بن عمر بن عبد الرحمن بن مجالد عن طحرب العجلي: سمعت الحسن بن علي يقول: ماكنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها، رأيت العرش ورأيت رسول اللّه ﷺ متعلقاً بالعرش، ورأيت أبا بكر واضعا يده على منكب رسول اللّه ﷺ، وكان عمر واضعا يده على منكب أبي بكر، ورأيت عثمان واضعا يده على منكب عمر، ورأيت دماً دونهم، فقلت: ماهذا؟ فقيل: هذا دم عثمان يطلب اللّه به.

وقال مسلم بن إبراهيم: ثنا سلام بن مسكين عن وهب بن شبيب عن زيد بن صوحان أنه قال: يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها، والذي نفسي بيده لا تتألف إلى يوم القيامة.

وقال محمد بن سيرين: قالت عائشة: مُصْتموه مَوْصَ الإناء ثم قتلتموه!

وقال خليفة بن خياط [تاريخه: ١/١٩١] ثنا أبو قتيبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن عون بن عبد اللّه بن عتبة. قال: قالت عائشة: غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف! استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقَلْبِ المصفى قتلتموه.

وقال أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق. قال: قالت عائشة حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه.

وفي رواية: ثم قربتموه فذبحتموه كما يذبح الكبش؟ فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنين وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم سوداء في بيضاء

حتى جلست مجلسي هذا.

قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٤٩٦].

وهذا إسناد صحيح إليها.

وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله، زوروا كتبا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان، كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا حزم القطعي ثنا أبو الأسود سوادة أخبرني طلق بن خُشّاف قال: قال قتل عثمان فتفرقنا في أصحاب محمد ﷺ نسألهم عن قتله فسمعت عائشة تقول: قتل مظلوماً لعن الله قتلته.

وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس. قال: قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان: رحمه الله، أما إنهم لن يحتلبوا بعده إلا دما.

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله: أما مررتم ببلاد ثمود؟ قالوا: نعم! قال: فأشهد أنكم مثلهم، لخليفةُ الله أكرم عليه من ناقته.

وقال ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن. قال: لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبتْ به الأمة لبنا، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دماً.

وقال أبو جعفر الباقر: كان قتل عثمان على غير وجه الحق.

وهذا ذكر بعض ما رثي به ﷺ

قال مجالد عن الشعبي: ماسمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك:

فكفٌّ يديهِ ثم أغلقَ بابَهُ ... وأيقنَ أنَّ اللّهَ ليسَ بغافلِ

وقالَ لأهلِ الدارِ لا تقتلوهُمُ ... عفا اللّهُ عن كلِ امرئٍ لم يقاتلِ

فكيفَ رأيتَ اللّهَ صبَ عليهمُ ... العداوةَ والبغضاءَ بعدَ التواصلِ

وكيفَ رأيتَ الخيرَ أدبرَ بعدهُ ... عنِ الناسِ إدبارَ النعامِ الجوافلِ

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة بن الأخنس بن شريق.

وقال سيف بن عمر: وقال حسان بن ثابت:

ماذا أردتم من أخي الدينِ باركت ... يدُ اللّهِ في ذاكَ الأديمِ المقدَّدِ

قتلتمْ ولي اللّهِ في جوفِ دارهِ ... وجئتمْ بأمرٍ جائرٍ غيرِ مهتدِ

فهلا رعيتم ذمةَ اللّهِ بينكم ... وأوفيتم بالعهدِ عهدِ محمدِ

ألمْ يكُ فيكم ذا بلاءٍ ومصدقٍ ... وأوفاكم قِدْماً لدى كلِّ مشهدِ

فلا ظفرتْ أيمانُ قومٍ تبايعوا ... على قتلِ عثمانَ الرشيدِ المسددِ

وقال ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٢٥]: وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

من سرهُ الموتُ صرفاً لا مزاجَ لهُ ... فليأتِ مَأسدةً في دارِ عثمانا

مستشعري حَلَقَ الماذيِّ قد شُغِفت ... قُبلَ المخاطمِ بيضٌ زانَ أبدانا

ضحوا بأشمطَ عنوانُ السجودِ بهِ ... يقطعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا

صبراً فدى لكمُ أمي وما ولدت ... قد ينفعُ الصبرُ في المكروهِ أحيانا

فقد رضينا بأرضِ الشامِ نافرةً ... وبالأميرِ وبالإخوانِ إخوانا

إني لمنهمْ وإن غابوا وإن شهدوا ... ما دمتُ حياً وما سُمِّيتُ حسانا

لنسمعنَّ وشيكاً في ديارهمُ ... اللّهَ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا

يا ليتَ شعري وليتَ الطيرَ تخبرني ... ما كانَ شأنَ عليٍّ وابنِ عفانا

وقال راعي الإبل النميري في ذلك:

عشيةَ يدخلونَ بغيرِ إذنٍ ... على متوكلٍ أوفى وطابا

خليلُ محمدٍ ووزيرُ صدقٍ ... ورابعُ خيرِ من وطئَ الترابا

كيف وقعَ قتلُ عثمانَ

إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم؟

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، أو يقتلوه، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة. وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع، ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ما هذا حده، حتى وقع ماوقع والله أعلم.

الثاني: أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة، ولكن لما وقع التضييق الشديد، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكن أولئك مما أرادوا، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية.

الثالث: أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة، بل لما اقترب مجيئهم، انتهزوا فرصتهم، قبحهم الله، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.

الرابع: أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفي مقاتل من الأبطال، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة، لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة وفي الحج.

ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف، يضعه على حبوته إذا احتبى، والخوارج محدقون بدار عثمان رضي الله عنه، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنَ ذلك.

ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحافحون عن عثمان رضي الله عنه، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجأ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسوروا عليه حتى قتلوه.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه، بل كلهم كرهه، ومقته، وسب من فعله، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر، كعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحمق وغيرهم.

قال أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب: ١٠٤٨/٣]: دفنوا عثمان رضي الله عنه بحشّ كوكب - وكان قد اشتراه وزاده في البقيع.

ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتيل الفجرة، مخذول من خذله، منصور من نصره.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام: قلت: الذين قتلوه أو ألبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خُذلوا وتنغص عيشهم، وكان الملك بعده في نائبه معاوية، وابنيه، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعاً وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير. وهذا لفظه بحروفه.

فضائل عثمان بن عفان ﷺ

هو

■ **عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب** بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبوعمرو وأبو عبد الله، القرشي، الأموي،، أمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب الهجرتين، والمصلّي إلى القبلتين، وزوج الابنتين.

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس. وأمها أم حكيم وهي البضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم.

أسلم عثمان رضي الله عنه قديما على يدي أبي بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص٢٠، ٢١]، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله ﷺ زوّج ابنته رقية - وكانت ذات جمال - من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموما فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز - وكانت كاهنة - فقالت له:

أبشر وحييت ثلاثا تترا ... ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
ثم بأخرى كي تتم عشرا ... أتاك خير وو قيت شرا
أنكحت والله حصانا زهرا ... وأنت بكر ولقيت بكرا
وافيتها بنت عظيم قدرا ... بنيت أمراً قد أشاد ذكرا

قال عثمان: فعجبت من قولها حيث تبشرني بامرأة قد تزوجت بغيري: فقلت: ياخالة! ماتقولين؟ فقالت: عثمان

لك الجمالُ، ولك اللسانُ ... هذا نبيٌّ ومعه البرهانُ
أرسلهُ بحقّه الديّانُ ... وجاءه التنزيلُ والفرقانُ
فاتبعْه لا تغتالكَ الأوثانُ

قال: فقلت إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا. فقالت: محمد بن عبد الله، رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو به إلى الله ثم قالت:

مصباحُه مصباحُ ... ودينُه فلاحُ
وأمره نجاحُ ... وقرنه بطاحُ
ذُلّت له البطاحُ ... ما ينفعُ الصّياحُ
لو وقعَ النّباحُ ... وشُلّت الصّفاحُ
ومُدّت الرّماحُ

قال عثمان: فانطلقت مفكراً فلقيني أبو بكر فأخبرته، فقال: ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟ قال: قلت: بلى! والله إنها لكذلك، فقال: واللّه لقد صدقتك خالتك، هذا رسول الله محمد بن عبد الله،قد بعثه الله إلى خلقه برسالته، هل لك أن تأتيه؟ فاجتمعنا برسول الله ﷺ فقال: «ياعثمان أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك وإلى خلقه» قال: فوالله ما تمالكت حين سمعت رسول الله قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده وسوله، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله ﷺ فكان يقال: أحسنُ زوج رآه إنسانٌ رقيةُ وزوجها عثمان

فقالت في ذلك سعدى بنت كريز:

هدى الله عثمانا بقولي إلى الهدى ... وأرشدهُ والله يهدي إلى الحق
فتابعَ بالرأي السديد محمداً ... وكانَ برأي لا يصدُّ عنِ الصدقِ
وأنكحهُ المبعوثُ بالحقِ بنتَهُ ... فكانا كبدرٍ مازجَ الشمسَ في الأفقِ
فداؤكَ يا ابنَ الهاشميينَ مهجتي ... أنتَ أمينُ اللّه أرسلتَ للخلقِ

قال: ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون، وبأبي عبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون رجلاً.

ثم هاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منه وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها. فلما توفيت زوجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا في صحبته، وقال رسول الله ﷺ: «لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان» [المعجم الكبير: ١٨٤/١٧ بنحوه].

وشهد أحداً وفر يومئذ فيمن تولى، وقد نص الله تعالى على العفو عنهم، وشهد الخندق والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر وعمرة القضاء، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك، وجهز فيها جيش العسرة، فتقدم في رواية عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها [أطراف المسند: ٢٥٧/٤].

وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ﷺ فقال ﷺ: ماضر عثمان مافعل بعد هذا اليوم مرتين [الدلائل للبيهقي: ٤١٢/٥].

وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راض.

ثم صحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض. ونص عليه في أهل الشورى الستة، فكان خيرهم كما سيأتي.

فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصادق قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

وقوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» [م(٢٨٨٩) من حديث ثوبان].

وقوله ﷺ «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» [خ(٣١٢٠)] وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رضي الله عنه.

قد كان رضي الله عنه حسن الشكل، مليح الوجه، كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم غزير، يؤثر أهله وأقاربه في الله، تألفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النبي ﷺ يعطي أقواماً ويدع آخرين، يعطي أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد عاتبه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما عاب بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار. وقد قدمنا ذلك في غزوة حنين حيث قسم غنائمها.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة، وهي قسمان:

الأول: فضائل عثمان مع غيره

فمن ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه [٣٦٩٩]: حدثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف فقال: «اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»

تفرد به دون مسلم.

وقال الترمذي [٣٦٩٦]: ثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال النبي ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». ثم قال: وفي الباب: عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك، وبريدة الأسلمي، وهذا حديث صحيح.

قلت: ورواه أبو داود [٤٦٥١]، ورواه الترمذي [٣٧٠٣] عن عثمان في خطبته يوم الدار، وقال: على ثبير.

حديث آخر: وهو ما ثبت في الصحيحين [خ(٣٦٩٥) و(٧٢٦٢)، م(٢٤٠٣)] من حديث أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حائط، فأمرني بحفظ الباب، فجاء رجل يستأذن فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «ائذن له وبشره بالجنة.» ثم جاء عمر فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، ثم جاء عثمان فقال: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فدخل وهو يقول: اللهم صبراً. في رواية: الله المستعان.

رواه عنه قتادة [المسند: ٣٩٣/٤] وأيوب السختياني.

وقال البخاري [٣٦٩٥]: وقال حماد بن زيد: حدثنا عاصم الأحول وعلي بن الحكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه، وزاد عاصم: أن رسول الله ﷺ كان قاعداً في مكان، فيه ماء قد انكشف عن ركبتيه، أو ركبته، فلما دخل عثمان غطاها.

وهو في الصحيحين [خ(٣٦٧٤)، م(٢٤٠٣)] أيضا من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى، وفيه أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله في باب القف وهو في البئر، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً فجلس ناحية قال سعيد بن المسيب: فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان.

وقال الإمام أحمد [٤٠٨/٣]: حدثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة. قال: قال نافع بن الحارث: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل حائطا فقال: «أمسك عليّ الباب»، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجليه، فضرب الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر قلت: يا رسول الله هذا أبو بكر، قال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجليه في البئر، ثم ضرب الباب: فقلت: من هذا؟ قال: عمر، قلت: يارسول الله هذا عمر، قال: «ائذن له وبشره بالجنة»، ففعلت، فجاء فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجليه في البئر، ثم ضرب الباب فقلت: من هذا؟ قال: عثمان، قلت: يارسول الله هذا عثمان، قال: «ائذن له وبشره بالجنة معها بلاء»، فأذنت له وبشرته بالجنة، فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجليه في البئر.

هكذا وقع في هذه الرواية.

وقد أخرجه أبو داود [٥١٨٨] والنسائي [كبرى(٨١٣٢)] من حديث أبي سلمة.

فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب، أو أنها قصة أخرى.

وقد رواه الإمام أحمد [٤٠٨/٣] عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة يحدث ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث: أن رسول الله ﷺ دخل حائطا فجلس على قف البئر، فجاء أبو بكر فاستأذن فقال لأبي موسى: «ائذن له وبشره بالجنة». ثم جاء عمر فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، ثم جاء عثمان فقال: «ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاء».

وهذا السياق أشبه من الأول، على أنه قد رواه النسائي [كبرى(٨١٣١)] من حديث صالح بن كيسان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث عن أبي موسى الأشعري فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد [١٦٥/٢]: حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمرو قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبوبكر فاستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، ثم جاء عمر فاستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة». قال: قلت: فأين أنا؟ قال: «أنت مع أبيك».

تفرد به أحمد.

وقد رواه البزار [كشف الأستار (١٥٧٢، ١٥٧٣)] وأبو يعلى [مسنده(٣٩٥٨)] من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم.

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٧١/١، ١٥٥/٦]: حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة،، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يارسول الله! ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إليّ حاجته» قال الليث: وقال جماعة الناس: إن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة!»

رواه مسلم [(٢٤٠٢)(٢٧)] من حديث الليث بن سعد به [(٢٤٠٢)(٢٧)] ومن حديث صالح بن كيسان عن الزهري به [(٢٤٠٢)(٠٠٠)].

ورواه مسلم [٢٤٠١] من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة عن عائشة.

ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة. ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها.

وقال الإمام أحمد [٦٢/٦]: حدثنا مروان ثنا عبيد الله بن سيّار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ «كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه، فلما قاموا قلت: يارسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك! فقال: «يا عائشة ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه!».

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى عن حفصة:

رواه الحسن بن عرفة وأحمد بن حنبل [٢٨٨/٦] عن روح بن عبادة عن ابن جريج، أخبرني أبو خالد عثمان بن خالد عبد الله بن أبي سعيد المدني حدثتني حفصة، فذكر مثل حديث عائشة، وفيه فقال: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟».

طريق أخرى عن ابن عباس:

قال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الأستار(٢٥٠٧)]: حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا النضر - هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفي - عن عكرمة عن ابن عباس. قال قال رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؛ عثمان بن عفان!» ثم قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.

قلت: هو على شرط الترمذي ولم يخرجوه.

طريق أخرى عن ابن عمر:

قال الطبراني [الكبير: ٣٢٧/١٢]: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا أبو معشر حدثني إبراهيم بن عمر بن أبان حدثني أبي عمر بن أبان عن أبيه. قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: بينما رسول الله ﷺ جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل، ثم استأذن عمر فدخل، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل، ثم استأذن عثمان بن عفان ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفا عن ركبته، فمدّ ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان، وقال لامرأته: استأخري، فتحدثوا ساعة ثم خرجوا، فقالت عائشة: يا نبي الله! دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخرني عنك، فقال النبي ﷺ: «يا عائشة، ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة! والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله، ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج».

هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله، وفي إسناده ضعف.

قلت: وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن ثابت [الطبراني في الكبير: ١٧٨/٥]:

وروى أبو مروان القرشي عن أبيه عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «عثمان حَيِيٌ تستحي منه الملائكة».

حديث آخر

قال الإمام أحمد [١٨٤/٣، ٢٨١]: حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أُبيّ. وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

وهكذا رواه الترمذي [٣٧٩١] والنسائي [كبرى (٨٢٤٢، ٨٢٨٧)] وابن ماجه [١٥٤] من حديث خالد الحذاء، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري [٤٣٨٢] ومسلم [٢٤١٩] آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وقد روى هشيم عن كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبي قلابة عن أنس أو نحوه.

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٣٥٥/٣]: حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثني الزبيدي عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله. أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أُري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر». قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما ما ذكر رسول الله ﷺ عن نوط بعضهم لبعض، فهؤلاء ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ.

ورواه أبو داود [٤٦٣٦] عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب، ثم قال: ورواه يونس وشعيب فلم يذكرا عمر.

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٧٦/٢]: حدثنا أبو داود - عمر بن سعد - ثنا بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبي عائشة عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال: «رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهذه المفاتيح، وأما الموازين فهي التي توزنون بها، فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فوزنت بهم فرجحت، ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فوزن، ثم جيء بعمر فوزن بهم فوزن، ثم جيء بعثمان فوزن بهم فوزن، ثم رفعت»

تفرد به أحمد

وقال يقوب بن سفيان: حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل. قال قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت أني وضعت في كفة وأمتي في كفة فعدلتها، ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها، ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها، ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها».

حديث آخر

قال أبو يعلى [مسنده(٤٨٨٤)]: حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام، عمن حدثه عن عائشة. قالت: لما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هذا أمرُ الخلافة من بعدي». وقد تقدم هذا الحديث في بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام، وكذلك تقدم في دلائل النبوة [الدلائل للبيهقي: ٦/٦٤، ٦٥] من حديث الزهري عن رجل عن أبي ذر في تسبيح الحصا في يده عليه الصلاة والسلام ثم في كف أبي بكر، ثم في كف عمر، ثم في كف عثمان، رضي الله عنهم، وفي بعض الروايات: فقال رسول الله ﷺ: «هذه خلافة النبوة».

وسيأتي حديث سفينة أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا»

فكانت ولاية عثمان مدتها ثنتي عشرة سنة، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديث آخر

وهو ما روي من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه شهد للعشرة بالجنة، وهو أحدهم بنص النبي ﷺ على ذلك.

حديث آخر

قال البخاري [٣٦٩٧]: حدثنا محمد بن حازم بن بزيع ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر. قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نذر أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز.

تفرد به البخاري.

ورواه إسماعيل بن عياش، والفرج بن فضالة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن نافع عن ابن عمر.

ورواه أبو يعلى [مسنده(٥٦٠٤)] عن أبي معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عمر به.

طريق أخرى عن ابن عمر:

قال الإمام أحمد [٢/١٤]: حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر، قال: كنا نعد ورسول الله ﷺ حيّ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت»

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الأستار(١٥٦٩)]: حدثنا عمرو بن علي وعقبة بن مكرم قالا: ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه. قال: كنا نقول في عهد النبي ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان - يعني في الخلافة.

وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، لكن قال البزار: وهذا الحديث قد روي عن ابن عمر من وجوه وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ، وذلك في حديثه متبيّن إذا روى عن غير سالم.

وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهري عن سالم عن أبيه به.

وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص١٥٣-١٥٩] بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد.

فأما الحديث الذي رواه الطبراني [الكبير: ١١/٧٦]: حدثنا سعيد بن عبدويه الصفار البغدادي حدثنا علي بن جميل الرقي أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس. قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة - أو ما في الجنة شجرة - شك علي بن جميل، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين»

فإنه حديث ضعيف في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكارة، والله أعلم.

الثاني: فضائل عثمان وحده

قال البخاري [٣٦٩٨]: حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن وهب. قال: «جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوما جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم! قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم! قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم! قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ: بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان» فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

تفرد به دون مسلم.

طريق أخرى

وقال الإمام أحمد [٢/٦٨]: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عاصم عن شقيق. قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم حنين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم أتخلف عن يوم بدر، ولم أترك سنة عمر، قال: فانطلق فخبّر بذلك عثمان فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم حنين، فكيف يعيرني بذلك وقد عفا الله عني فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥] وأما قوله: إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ وقد ضرب لي رسول الله ﷺ، بسهمي ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه فقد شهد، وأما قوله: ولم أترك سنة عمر، فإني لا أطيقها ولاهو، فأتيه فحدثته بذلك.

حديث آخر

قال البخاري [٣٦٩٦]: حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ثنا أبي عن يونس قال ابن شهاب: أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة. قلت: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك، فقال: يا أيها المرء منك قال أبو عبد الله: قال معمر: أراه قال: أعوذ بالله منك - فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان، رضي الله عنه، فأتيته فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه، وقد أكثر الناسُ في شأن الوليد. فقال: أدركت رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا! ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: أما بعد! فإن الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى! قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين.

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٨٦/٦، ٨٧]: حدثنا أبو المغيرة حدثنا الوليد بن سليمان حدثني ربيعة بن يزيد عن عبدالله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلام كلمه أن ضرب منكبه وقال: «ياعثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثا فقلت لها: يا أم المؤمنين؟ فأين كان هذا عنك؟ قالت: نُسِّيته والله فماذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتابا»

وقد رواه أبو عبد الله الجسري عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم.

ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سهلة عنها.

ورواه أبو سهلة عن عثمان: أن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فأنا صابر نفسي عليه.

ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره.

قال الدارقطني: تفرد به الفرج بن فضالة ورواه أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد العثماني عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

ورواه ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص٢٨١] من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

ورواه أبو أسامة عن الجريري: حدثني أبوبكر العدوي قال: سألت عائشة، وذكر عنها نحو ما تقدم. ورواه خصيف عن مجاهد عن عائشة بنحوه.

قال الإمام أحمد [١١٤/٦]: حدثنا محمد بن كناسة الأسدي أبو يحيى حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه. قال: بلغني أن عائشة قالت: ما استمعت على رسول الله ﷺ إلا مرة، فإن عثمان جاءه في نحر الظهيرة فظننت أنه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول: «إن الله ملبسك قميصا تريدك أمتي على خلعه فلا تخلعه» فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه.

طريق اخرى

قال الطبراني [الأوسط (٨٧٤٧)]: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف، قال: كنا عند شفي الأصبحي فقال: حدثنا عبد الله بن عمرو قال: التفت رسول الله ﷺ فقال: «ياعثمان إن ألبسك الله قميصا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه، فوالله لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»

وقد رواه أبو يعلى [مسنده (٧٠٤٥)] من طريق عبدالله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين. وفي سياق متنه غرابة والله أعلم.

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٢٥٠/٦]: حدثنا عبد الصمد حدثني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت: حدثتني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقال: قولي إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإن الناس قد شتموه، فقالت: لعن اللهُ من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إلي، وإن جبريل ليوحي إليه القرآن، وإنه ليقول له: «اكتب ياعثيم»، قالت عائشة: فما كان الله ليزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله»

ثم رواه الإمام أحمد [٢٦١/٦] عن يونس عن عمر بن إبراهيم البشكري عن أمه عن أمها: أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله.

حديث آخر

قال البزار [كشف الأستار (٣٢٦٤)]: حدثنا عمر بن الخطاب قال: ذكر أبو المغيرة عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر «أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة فقال أبو بكر: أنا أدركها؟ فقال: «لا»! فقال عمر: أنا يارسول الله أدركها؟ قال: «لا» فقال عثمان: يارسول الله فأنا أدركها؟ قال: «بك يبتلون» قال البزار: وهذا لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه.

حديث آخر

قال الإمام أحمد [١١٥/٢]: حدثنا أسود بن عامر ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن وائل عن ابن عمر. قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال «يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً» فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان.

ورواه الترمذي [٣٧٠٨] عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال: حسن غريب.

حديث أخر

قال الإمام أحمد [٣٤٤/٢، ٣٤٥]: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثني أبو أمي أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنه واختلافاً» - أو قال: «اختلافا وفتنة» - فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه» وهو يشير إلى عثمان بذلك.

تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٣٣/٥، وبنحوه: ٣٥/٥]: أبو أسامة ـ حماد بن أسامة ـ حدثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثني هرم بن الحارث وأسامة بن خريم ـ وكانا يغازيان ـ فحدثاني حديثا ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثنيه عن مرة البهزي قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من المدينة فقال: «كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟» قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: «عليكم هذا وأصحابه» ـ قال: فأسرعت حتى عيت فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا»، فإذا هو عثمان بن عفان. فقال: «هذا وأصحابه» فذكره.

طريق أخرى

وقال الترمذي في جامعه [٣٧٠٤]: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ، فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب، لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى» فقمت إليه. فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال «نعم!» ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة.

قلت: وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزي فذكر نحوه.

وقد رواه الإمام أحمد [٢٣٦/٤] عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزي. والصحيح مرة بن كعب كما تقدم.

وأما حديث ابن حوالة، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة. قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض؟» قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: «اتبع هذا الرجل، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق» قال: فاتبعته فأخذت بمنكبه فلفتُّه فقلت: هذا يارسول الله؟ فقال: «نعم» فإذا هو عثمان بن عفان».

وقال حرملة عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة. قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا، موتي، وخروج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه».

وأما حديث كعب بن عجرة. فقال الإمام أحمد [٢٤٢/٤]: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي أخبرني معاوية بن مسلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: «هذا يومئذ على الحق» فانطلقت مسرعاً ـ أو قال محضراً ـ وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا» فإذا هو عثمان بن عفان.

ثم رواه أحمد [٢٤٣/٤] عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله.

ورواه أبو يعلى عن هدبة عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة. وكذا رواه أبو عون عن ابن سرين عن كعب بن عجرة.

وقد تقدم حديث أبي ثور الفهمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب بها الناس من داره: والله ما تغنّيت ولا تمنيت ولا زنيت في جاهليه ولا إسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ. وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقاً فإن تعذر عليه أعتق في الجمعة الأخرى عتيقين.

وقال مولاه حمران: كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم. [مسند أحمد: ٦٧/١]

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٦٧/١]: حدثنا علي بن عياش حدثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعي عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: «إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما إن تخرق بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلَف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُلْحَد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم»،ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد [٦٦/١]: حدثنا أبو المغيرة حدثنا أرطاة ـ يعني ابن المنذر ـ حدثني أبو عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: «هل أنت مته عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر، فقال عثمان: ويحك! إني قد سمعت وحفظت ـ وليس كما سمعت ـ أن رسول الله ﷺ قال «سيقتل أمير، ويَنْتزي مُنْتَزٍ» وإني أنا المقتول، وليس عمر، إنما قتل عمر واحد، وإنه يجتمع عليَّ.

وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه مات قبله بنحو ذلك.

حديث آخر

قال عبد الله بن أحمد [٧٤/١]: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري: حدثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عبادة الزرقي الأنصاري ـ من أهل المدينة ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ولو أُلقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي باب مقام جبريل، فقال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفيكم طلحة بن عبيد الله؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس!أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي آخر ثلاث مرات، ثم لا تجيبني؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم! قال: فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنه، وإن عثمان بن عفان هذا ـ يعنيني ـ رفيقي في الجنه؟» فقال طلحة: اللّهم نعم! تفرد به.

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي [٣٦٩٨]: حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا يحيى بن اليمان عن شيخ من بني زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن

طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ «لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنه عثمان» ثم قال: هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي، وإسناده منقطع.

ورواه أبو مروان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة.

وقال الترمذي [٣٧٠٩]: حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا: حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال: أُتي النبي ﷺ بجنازة رجل ليصلي عليه فلم يصل عليه، فقتل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟ فقال: «إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل» ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون بن مهران ضعيف الحديث جداً، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة، يكنى أبا الحارث، ومحمد بن زياد الألهاني صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان.

حديث آخر

روى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٣٤، ٣٥] من حديث أبي مروان العثماني حدثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفان على باب المسجد فقال: «يا عثمان! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، على مثل مصاحبتها»

وقد رواه ابن عساكر أيضاً [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٣٦، ٤١] من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن رويبة وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم. وهو غريب منكر من جميع طرقه.

وروي [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٣٧] بإسناد ضعيف عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لي أربعون ابنة لزوجتهن بعثمان واحدة بعد واحدة، حتى لا يبقى منهن واحدة»

وقال محمد بن سعيد الأموي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبي صفرة قال: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: لم قلتم في عثمان: أعلاها فُوقاً؟ قالوا: لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتي نبي غيره. رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص٤٦].

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ رافعا يديه حتى يبدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان، إذا دعا له [تاريخ دمشق(ترجمة عثمان) ص٤٦].

وقال مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال: رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول: «اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه»

وفي روايه يقول لعثمان: «غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة»

ورواه الحسن بن عرفة عن محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي ﷺ مرسلاً.

وقال ابن عدي [الكامل: ٣٣٤/١] عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر المستملي عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاها، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار، فوضعها بين يديه، فجعل يقلبها بين يديه ويدعوله: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها»

حديث آخر

وقال ليث بن أبي سليم: أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقي ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أم سلمة، فلم يصادفه، فلما جاء وضعوه بين يديه، فقال: «من بعث هذا؟» قالوا: عثمان: قالت: فرفع يديه إلى السماء فقال: «اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه»

حديث آخر

روى أبو يعلى [مسنده(٢٠٥١)] عن شيبان بن فروخ عن طلحة بن زيد عن عبيدة بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر أن رسول الله ﷺ اعتنق عثمان وقال: «أنت ولي في الدنيا وولي في الآخرة»

حديث آخر

قال أبو داود الطيالسي [مسنده(١٢٥٠)]: حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة. قال: قال رسول ﷺ: «تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة، يبايع الناس» قال: فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه معتجراً يبايع الناس.

شيء من سيرته

وهي دالة على فضيلته رضي الله عنه

قال ابن مسعود: لما توفي عمر بايعنا خيرنا ولم نأل.

وفي رواية: بايعوا خيرهم ولم يألوا.

وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال: كان نقش خاتم عثمان: آمنت بالذي خلق فسوى.

وقال محمد بن المبارك: بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمن عثمان بالله العظيم.

وقال البخاري في التاريخ: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قلّما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرا، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل، الأعطيات جارية، والأرزاق دارة، والعدو متّقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه، من كان من ألفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثرة، فإذا كانت فاصبروا.

قال الحسن: فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا: لا والله ما نصابرها. فوالله ما رُدُّوا وما سلِموا، والأخرى كان السيف مغمدا عن أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس هذا، وأيم الله إني لأراه سيفا مسلولا إلى يوم القيامة.

وقال غير واحد عن الحسن البصري قال: سمعت عثمان يأمر في خطبته بذبح الحمام وقتل الكلاب.

وروى سيف بن عمر أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجُلاهقات فوكّل عثمان رجلا من بني ليث يتتبّع ذلك، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات - وهي قسيّ البندق -

وقال محمد بن سعد: أنبأنا القعنبي وخالد بن مخلد حدثنا محمد بن هلال عن جدته - وكانت تدخل على عثمان وهو محصور - فولدت

هلالا، ففقدها يوماً فقيل له: إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً، قالت: فأرسل إلي بخمسين درهماً وشُقيقةً سِنبلانية، وقال: هذا عطاء ابنك وكسوته فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة.

وروى الزبير بن أبي بكر عن محمد بن سلام عن ابن داب قال: قال ابن سعيد بن يربوع بن عنكثة المخزومي: انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعي طير أرسله في المسجد والمسجد يُبنى، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة فقمت أنظر إليه أتعجب من جماله، ففتح عينيه فقال: من أنت يا غلام؟ فأخبرته، فنادى غلاماً نائماً قريباً منه فلم يجبه، فقال لي: ادعه! فدعوته فأمره بشيء وقال لي: اقعد! فذهب الغلام فجاء بحلة وجاء بألف درهم، ونزع ثوبي وألبسني الحلة؟ وجعل الألف درهم فيها، فرجعت إلى أبي فأخبرته؟ فقال: يا بني من فعل هذا بك؟ فقلت: لا أدري إلا أنه رجل في المسجد نائم لم أر قط أحسن منه، قال: ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

وقال عبد الرزاق [المصنف(٤٦٥٣)] عن ابن جريج: أخبرني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد «أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله قال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان قال: نعم! قال: قلت لأغلبن الليلة النفر على الحجر ـ يعني المقام ـ فلما قمت فإذا رجل يَزْحَمُني مقنّعاً قال: فالتفت فإذا بعثمان فتأخرت عنه فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن، حتى إذا قلت: هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثم انطلق.

وقد روي هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دابه ﷺ.

ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] قال: هو عثمان بن عفان [طبقات ابن سعد: ٣/٧٦].

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦] قال: هو عثمان بن عفان. وقال حسان:

ضحّوا بأشمطَ عنوان السجود به　　يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال سفيان بن عيينة: حدثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول: قال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه.

وقال أنس ومحمد بن سيرين: قالت امرأة عثمان يوم الدار: اقتلوه أودعوه، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة.

وقال غير واحد: إنه ﷺ كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه، إلا أن يجده يقظاناً، وكان يصوم الدهر، وكان يعاتب فيقال له: لو أيقظت بعض الخدم؟ فيقول: لا! الليل لهم يستريحون فيه.

وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه، وهو في بيت مغلق عليه، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه ﷺ [المسند: ١/٧٣، ٧٤]

شيء من خطبه

قال الواقدي: حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنّ أول كل مركب صعب، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلّمنا الله.

وقال الحسن: خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لظلمة القبر، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيراً، وقد يكفيني الحكيم جوامع الكلم، والأصم ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئا، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؟

وقال مجاهد: خطب عثمان فقال: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنه قد تخطى غيرك إليك، وقصدك، فخذ حذرك، واستعدّ له، ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك،واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك، ولابد من لقاء الله فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام.

وقال سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه. قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة: «إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى، لا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جنّة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغِيَرَ، والزموا جماعتكم لاتصيروا أحزابا ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ إلى آخر الآيتين [آل عمران: ١٠٣].

شيءٌ من رعايته لرعيته

قال الإمام أحمد [١/٧٣]: حدثنا هشيم حدثنا محمد بن قيس الأسدي عن موسى بن طلحة. قال: سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم، وأسفارهم.

وقال أحمد [١/٥٨، ٧٠]: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا يونس ـ يعني ابن عبيد ـ حدثني عطاء بن فروخ مولى القرشيّين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبنتني، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم! قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ «أدخل الله الجنه رجلا كان سهلا مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً».

وروى ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٠٥] أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة: إن الخمسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: إنّا قد وهبناكها لمروءتك.

وقال الأصمعيُّ: استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالي على كرمان، فأقبل جيش من المسلمين ـ أربعة آلاف ـ وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشي قطن الفوت فقال: من جاز الوادي فله ألف درهم فحملوا أنفسهم على العُظم، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن: أعطوه جائزته، حتى جازوا جميعا وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم، فأبى ابن عامر أن يحسبها له، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب عثمان: أن احسبها له، فإنه إنما أعان المسلمين في سبيل الله ففي ذلك اليوم سميت

الجوائز لإجازة الوادي، فقال الكناني في ذلك:

فـديً للأكرمـينَ بـني هـلال ... علـى علاتهـم أهلـي ومـالي
همـوا سـنوا الجوائـزَ في معـدٍّ ... فعـادت سـنّة أخـرى الليـالي
رمـاحهم تزيـد علـى ثمـان ... وعشـر قبـل تركيـب النصـالِ

من مناقبه الكبار

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درَّسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق، ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشار في الكلام السيِّئ بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم. وذكر له مشاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به، دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة، ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفا وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينه مصحفاً. ويقال لهذه المصاحف الأئمة، وليست كلها بخط عثمان، بل ولا واحد منها، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه، وإمارته، كما يقال: دينار هرقلي، أي ضرب في زمانه ودولته.

قال الواقدي: حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه غيره من وجه آخر عن أبي هريرة قال: لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال: أصبتَ ووفّقتَ، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أشد أمتي حبّاً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعلمون بما في الورق المعلق» فقلت: أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف، قال: فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف، وقال: والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا ﷺ.

ثم عمد إلى بقية المصاحف إلى بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف.

فقال أبو بكر بن أبي داود - في كتاب المصاحف [ص١٢] - حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال: قال علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته».

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله.

وقد رواه البيهقي [السنن الكبرى: ٤٢/٢] وغيره من حديث محمد بن أبان - زوج أخت حسين - عن علقمة بن مرثد قال: سمعت العيزار بن جرول سمعت سويد بن غفلة قال: قال علي: أيها الناس إياكم والغلو في عثمان يقولون: حرّق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل.

وقد روي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فكتب إليه عثمان ﷺ يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال: كم صلى أمير المؤمنين الظهر؟ قالوا: أربعاً، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا: ألم نحدثنا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر صلوا ركعتين؟ فقال: نعم! وأنا أحدثكموه الآن، ولكن أكره الاختلاف.

وفي الصحيح [خ(١٠٨٤)، م(٦٩٥)] أن ابن مسعود قال: ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبّلتان.

وقال الأعمش: حدثني معاوية بن قرة - بواسط - عن أشياخه قالوا: صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً، فقيل له: عبتَ على عثمان وصليت أربعاً؟ فقال: إني أكره الخلاف.

وفي رواية [د(١٩٦١)]: الخلاف شر.

فإذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن؟! والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤوا بها لا بغيرها؟

وقد حكى الزهري [د(١٩٦٥)] وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان.

وقيل: بل قد تأهل بمكة، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمنى أربع ركعات، ثم أقبل عليهم فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله» وإني أتممت لأني تزوجت بها منذ قدمتها.

وهذا الحديث لا يصح، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة، وقد قيل: إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان وهكذا تأولت عائشة فأتمت، وفي التأويل نظر، فإن رسول الله ﷺ هو رسول الله حيث كان. ومع هذا ما أتم الصلاة في الأسفار. ومما كان يعتمده عثمان بن عفان أنه كان يلزم عماله بحضور الموسم كل عام، ويكتب إلى الرعايا: من كانت له عند أحد منهم مظلمة فليوافِ إلى الموسم، فإني آخذ له حقه من عامله، وكان عثمان قد سمع لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاؤوا من البلاد، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك، حتى ولا في الغزو، ويقول: إني أخاف أن تروا الدنيا

أو يراكم أبناؤها. فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس، وصار لكل واحد أصحاب، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الإمارة العامة بعد عثمان، فاستعجلوا موته، واستطالوا حياته، حتى وقع ما وقع من بعض أهل الأمصار، كما تقدم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم.

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج برقية بنت رسول الله ﷺ فولد له منها عبد الله، وبه كان يكنى، بعدما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم، ثم توفيت فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر، فولد له منها عبيد الله الأصغر.

وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية، فولدت له عمراً، وخالداً، وأباناً وعمر، ومريم.

وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية، فولدت له الوليد وسعيداً.

وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، فولدت له عبد الملك، ويقال وعتبة.

وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو، بنات عثمان.

وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب، فولدت له مريم، ويقال وعنبسة. وقتل ﷺ وعنده أربع نائلة، ورملة، وأم البنين، وفاختة. ويقال: إنه طلق أم البنين وهو محصور.

رحى الإسلام تدور لخمسٍ وثلاثين

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الإمام أحمد [١/٣٩٠] وأبو داود [٤٢٥٤] من حديث سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية الكاهلي، عن عبد الله بن مسعود، قال رسول الله ﷺ: «إن رحى الإسلام ستدور لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فان تهلك فسبيل ما هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما» قال: فقال عمر يا رسول الله أبما مضى أم بما بقي؟ قال: بل بما بقي» وفي لفظ له [١/٣٩٣] ولأبي داود [٤٢٥٤] «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين» الحديث.

وكأن هذا الشك من الراوي، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثين، فإن فيها قتل أمير المؤمنين عثمان على الصحيح، وقيل: سنة ست وثلاثين، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة فظيعة، ولكن الله سلم ووقى بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس علي بن أبي طالب ﷺ، وانتظم الأمر، واجتمع الشمل، ولكن جرت بعد ذلك أمور في يوم الجمل وأيام صفين على ما سنبينه إن شاء الله تعالى.

فصل في ذكر من توفي زمان دولة عثمان

ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين على ما ذكره شيخنا أبو علي الذهبي وغيره

■ أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري، ويقال له أنيس أيضا، شهد المشاهد كلها. ﷺ

■ أوس بن الصامت، أخو عباده بن الصامت الأنصاري، شهد بدراً، وأوسٌ هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] وامرأته خولة بنت ثعلبة.

■ أوس بن خولي الأنصاري: من بني الحُبْلَى، شهد بدراً، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غُسل النبي ﷺ، والنزول مع أهله في قبره، عليه الصلاة والسلام.

■ الجَدُّ بن قيس، كان سيداً في الأنصار، ولكن كان بخيلا ومتهماً بالنفاق، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع، واستتر ببعير له، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩] الآية. وقد قيل إنه تاب وأقلع فالله أعلم.

■ الحطيئة الشاعر المشهور. قيل اسمه جرول ويكنى بأبي مليكة، من بني عبس، أدرك أيام الجاهلية، وأدرك صدراً من الإسلام، وكان يطوف في الآفاق يمتدح الرؤساء من الناس، ويستجديهم، ويقال: كان بخيلا مع ذلك، سافر مرة فودع امرأته فقال لها.

عدّي السنينَ إذا خرجتُ لغيبة ودعي الشهورَ فانهنَّ قصارُ

وكان مداحاً هجاء، وله شعر جيد، ومن شعره ما قاله بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فاستجاد منه قوله:

منْ يفعلِ الخيرَ لم يعدم جوازيَه لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناس

■ خُبيب بن يساف بن عتبة الأنصاري، أحد من شهد بدراً.

■ سلمان بن ربيعة الباهلي، يقال له صحبة، كان من الشجعان الأبطال المذكورين، والفرسان المشهورين، ولاه عمر قضاء الكوفة، ثم ولي في زمن عثمان إمرة على جهاد الترك، فقتل ببلنجر، فقبره هناك في تابوت يستسقي به الترك إذا قطحوا

■ عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة، وكان من سادات الصحابة، وهو القائل: من أبي يا رسول الله؟ - وكان إذا لا حى الرجال دعي لغير أبيه - فقال: «أبوك حذافة»، وكان رسول الله ﷺ بعثه إلى كسرى، فدفع كتابه إلى عظيم بُصرى، فبعث معه من يوصله إلى هرقل كما تقدم، وقد أسرته الروم في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، في جملة ثمانين من المسلمين، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم، فقال له الملك: قَبِّل رأسي وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين، فقبل رأسه فأطلقهم، فلما قدم على عمر قال له: حق على كل مسلم أن يقبِّل رأسك، ثم قام عمر فقبَّل رأسه ثم قبله الناس ﷺ.

■ عبد الله بن سراقة بن المعتمر، العدوي صحابي أحدي، وزعم الزهري أنه شهد بدراً فالله أعلم.

■ عبد الله بن قيس بن خالد الأنصاري، شهد بدراً.

■ عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي شهدا أحداً وما بعدها.

وقال ابن عبد البر [الاستيعاب: ٢/٨٣٦] شهد بدراً، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان، وقد نهشته حية فرقاه عمارة بن حزم، وهو القائل لأبي بكر - وقد جاءته جدتان فأعطى السدس أم الأم

وترك الأخرى وهي أم الأب ـ فقال له: أعطيت التي لو ماتت لم يرثها، وتركت التي لو ماتت لورثها. فشرك بينهما.

■ عمرو بن سراقة بن المعتمر العدوي أخو عبد الله بن سراقة، وهو بدري كبير، روي أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع، ومشى يومه ذلك إلى الليل، فأضافه قوم من العرب ومن معه، فلما شبع قال لأصحابه: كنت أحسب الرِّجْلين يحملان البطن، فإذا البطن يحمل الرِّجْلين.

■ عمير بن سعد الأنصاري الأوسي، صحابي جليل القدر، كبير المحل كان يقال له نسيج وحده لكثرة زهادته وعبادته، شهد فتح الشام مع أبي عبيدة، وناب بحمص وبدمشق أيضا في زمان عمر، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكماله، وله أخبار يطول ذكرها.

■ عروة بن حزام أبو سعيد العدوي كان شاعراً مغرماً في ابنة عم له، وهي عفراء بنت مهاجر، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها، فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره، وزوجها بابن عمها الآخر، فهلك عروة هذا في محبتها، وهو مذكور في كتاب «مصارع العشاق»، ومن شعره فيها قوله:

وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيبُ
وأصرف عن رأيي الذي كنت أرتئي وأنسى الذي أعددت حين تغيبُ

■ قطبة بن عامر أبو زيد الأنصاري: عقبي بدري.

■ قيس بن قَهْد بن قيس بن ثعلبة الأنصاري النجاري: له حديث في الركعتين قبل الفجر، وزعم ابن ماكولا أنه شهد بدراً.

قال مصعب الزبيري: هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري، وقال الأكثرون: بل هو جد أبي مريم عبد الغفار بن القاسم الكوفي فالله أعلم.

■ لبيد بن ربيعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور. صح أن رسول الله ﷺ قال: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل». وتمام البيت:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان بن مظعون: إلا نعيم الجنة، وقد قيل: إنه توفي سنة إحدى وأربعين فالله أعلم.

■ المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين.

■ معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري: شهد بدراً، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه، قال معاذ: فلما آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها ﷺ. وعاش بعد ذلك إلى هذه السنة سنة خمس وثلاثين.

■ محمد بن جعفر بن أبي طالب، القرشي الهاشمي، ولد لأبيه وهو بالحبشة، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر، وتوفي يوم مؤتة شهيداً، جاء رسول الله ﷺ إلى منزلهم فقال لأمهم أسماء بنت عميس: «ائتني ببني أخي» فجيء بهم كأنهم أفرخ، فجعل يقبلهم ويشمهم ويبكي، فبكت أمهم فقال: «أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟» ثم أمر الحلاق فحلق رؤوسهم [المسند: ٢٠٤/١، ٢٠٥، د(٤١٩٢)، س(كبرى ٨٦٠٤)].

وقد مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا، وزعم ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٣٦٨/٣] أنه توفي في تستر فالله أعلم.

■ معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، قتل شابا بإفريقية من بلاد المغرب.

■ معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، صاحب خاتم النبي ﷺ، قيل: توفي في أيام عثمان، وقيل قبل ذلك، وقيل سنة أربعين والله أعلم.

■ منقذ بن عمرو الأنصاري، أحد بني مازن بن النجار. كان قد أصابته آمّة في رأسه فكسرت لسانه، وضعف عقله، وكان يكثر من البيع والشراء، وكان يُغبَن، فقال له النبي ﷺ: «من بايعت فقل: لا خلابة، ثم أنت بالخيار في كل ما تشتريه ثلاثة أيام» [التاريخ الكبير: ١٧/٨ بنحوه].

قال الشافعي [الأم: ٩٥/٣]: كان مخصصا بإثبات الخيار ثلاثة في كل بيع، سواء اشترط الخيار أم لا.

■ نعيم بن مسعود، أبو سلمة الغطفاني، وهو الذي خذّل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه فله بذلك اليد البيضاء والراية العليا.

■ أبوذؤيب خويلد بن خالد الهذلي، الشاعر، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي ﷺ، وكان أشعر هذيل، وهذيل أشعر العرب وهو القائل:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

توفي غازيا بإفريقية في خلافة عثمان

■ أبو رُهْم سبرة بن عبد العزى القرشي الشاعر: ذكره في هذا الفصل محمد بن سعد وحده

■ أبو زيد الطائي، الشاعر، اسمه حرملة بن المنذر كان نصرانيا وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشده شيئا من شعره فأنشده قصيدة له في الأسد بديعة، فقال له عثمان: تفتأ تذكر الأسد ما حييت؟ إني لأحسبك جباناً نصرانياً.

■ أبو سبرة بن أبي رهم العامري، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد، أمهما برة بنت عبد المطلب، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وما بعدها، قال الزبير بن بكّار: لا نعلم بدرياً سكن مكة بعد النبي ﷺ سواه، قال: وأهله ينكرون في ذلك.

■ أبولبابة بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة، وقيل إنه توفي في خلافة علي والله أعلم.

■ أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته في سنة إحدى وعشرين، وقيل في خلافة عثمان والله أعلم.

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ

ولنذكر شيئاً من ترجمته على سبيل الاختصار قبل ذلك هو أمير المؤمنين.

■ علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة كعب بن لؤي غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين، ويكنى بأبي تراب، وأبي القَضْم الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته فاطمة الزهراء.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ويقال: إنها

أول هاشمية ولدت هاشميا.

وكان له من الإخوة طالب، وعقيل، وجعفر، وكانوا أكبر منه، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين، وله أختان، أم هانئ وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلمت وهاجرت.

كان علي أحد العشرة المشهود لهم بالجنه وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفي ورسول الله ﷺ وهو راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلا آدم شديد الأدمة شَكِلَ العينين عظيمهما فيهما خَفَش، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية، وقد ملأت صدره ومنكبيه، أبيضها كثير، وكان كثير شعر الصدر والكتفين، حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض.

أسلم عليّ قديما، وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل: أحدى عشرة، وقبل اثنتي عشرة، وقيل ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ابن خمس عشرة، أو ست عشرة أو ستة عشرة سنة قاله عبد الرازق [المصنف(٢٠٣٩١)] عن معمر عن قتادة عن الحسن.

ويقال: إنه أول من أسلم والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار.

وكان سبب إسلام علي صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ، لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة، فأخذه من أبيه، فكان في كفالته، فلما بعثه الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضي الله عنه. وقد ورد عن علي أنه قال: أنا أول من أسلم.

ولا يصح إسناده إليه، وقد روي في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكرة لا يصح شيء منها والله أعلم.

وقد روي الإمام أحمد [٣٧١/٤] من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة ـ رجلا من موالي الأنصار ـ قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي.

وفي رواية [٣٦٨/٤]: أول من صلى. قال عمرو: فذكرت ذلك للنخعي فأنكره، وقال أبو بكر: أول من أسلم.

وقال محمد بن كعب القرظي: أول من آمن خديجة وأول رجلين آمنا أبو بكر وعلي ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتم إيمانه.

قلت: يعني خوفا من أبيه.

ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته.

وهاجر علي بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائعه، ثم يلحق به، فامتثل ما أمره به، ثم هاجر، وآخى النبي ﷺ بينه وبين سهل بن حنيف.

وذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٠٤/١، ٥٠٥] وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه ولا يصح، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها وركة بعض متونها، فإن في بعضها «أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أُمِّر بعدي» وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحاح وغيرهما والله أعلم.

وقد شهد علي بدراً وكانت له اليد البيضاء فيها، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة ـ عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ نزل قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الآية [الحج: ١٩].

وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال: دفع النبي ﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة.

وقال الحسن بن عرفة: حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى مناد في السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

قال ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك.

وقال يونس بن بكير عن مسعر عن أبي عون عن أبي صالح عن علي قال: قيل لي يوم بدر ولأبي بكر قيل لأحدنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال: وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف.

وشهد علي أحداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب بن عمير، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصاري، وحمزة بن عبد المطلب، على القلب وعلى الرَّجالة الزبير بن العوام، وقيل المقداد بن الأسود، وقد قاتل علي يومئذ قتالا شديداً، وقتل خلقاً من المشركين، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم حين شج في رأسه وكسرت رباعيته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير عمرو بن عبدود العامري، كما قدمنا ذلك في غزوة الخندق.

وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة، ومشاهد طائلة، منها أن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فدعا علياً ـ وكان أرمد ـ فدعا له، وبصق في عينيه فلم يرمد بعدها، فبرأ وأعطاه الراية، ففتح الله على يديه، وقتل مرحباً اليهودي [خ(٤٢٠٩)].

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب عليا فطرح ترسه،، فتناول بابا عند الحصن فتترس به، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يده ثم ألقاه من يده، قال أبو رافع: فلقد رأيتني أنا وسبعة معي نجهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع.

وقال ليث عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، فلم يحملوه إلا أربعون رجلا.

ومنها أنه قتل مرحبا فارس يهود وشجاعهم.

وشهد علي عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: «أنت مني، وأنا منك» [خ(٤٢٥١)].

وما يذكره كثير من القصاص في مقاتلته الجن في بئر ذات العِلْم ـ وهو بئر قريب من الجحفة ـ فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به.

وشهد الفتح وحنينا والطائف، وقاتل في هذه المشاهد قتالا كثيراً، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة، قال: يارسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» [خ(٤٤١٦)، م(٢٤٠٤)].

وبعثه رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، إلى مكة وساق معه

هديا، وأهل كإهلال النبي ﷺ، فأشركه في هديه، واستمر على إحرامه، ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم.

ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ في مَن الأمر بعده؟ فقال: والله لا أسأله فإنه إن منعناها لا يعطينا الناس بعده أبداً [خ(٤٤٤٧)]، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوح بذكر الصديق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جداً إليه، كما قدمنا ذلك ولله الحمد.

وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير، من جَوْر الصحابة وتمالُئهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

وما يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعلي بآداب وأخلاق في المآكل والمشرب والملبس، مثل مايقولون: يا علي لا تعتم وأنت قاعد، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم، يا علي لا تمسك عضادتي الباب، ولا تجلس على أسكفة الباب، ولا تخط ثوبك وهو عليك، ونحو ذلك. كل ذلك من الهذيانات فلا أصل له، بل هو اختلاق وكذب وزور.

ثم لما مات رسول الله ﷺ كان علي في جملة من غسله وكفنه، وولي دفنه كما تقدم ذلك مفصلا ولله الحمد والمنة. وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويجه بفاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسِّن كما قدمنا، وقد وردت أحاديث في ذلك لا يصح كثير منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص. ولما بويع الصديق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد كما قدمنا.

وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضا عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض التغضُّب على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه السلام، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة، فأبى ذلك عليها، فبقي في نفسها شيء كما قدمنا، واحتاج علي أن يداريها بعض المداراة - فلما توفيت جدد عليٌّ البيعة مع الصديق رضي الله عنهما.

فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبو بكر إليه بذلك، كان علي من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، ويقال إنه استقضاه في أيام خلافته، وقدم معه في جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام، وشهد خطبته بالجابية، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بعثمان وعلي كما قدمنا، فقدَّم عثمان على علي، فسمع وأطاع، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه، قبل أن يدفن عثمان، وقيل بعد دفنه كما تقدم، وقد امتنع علي من مبايعتهم وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبذول، وأغلق بابه وامتنع من قبول الإمارة، حتى تكرر قولهم، فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

فيقال: إن أول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله ﷺ - فقال بعض القوم: والله إن هذا الأمر لا يتم. وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاه في يده، يتوكأ على قوسه، فبايعه عامة الناس، وذلك يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، ويقال إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة، فقال لهما: بل تكونان عندي أستأنس بكما. ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة.

ذكره ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٢٩، ٤٣٠] من طريق المدائني عن شيخ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن قال المدائني: حدثني من سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة.

قلت: وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام.

وقال الواقدي: بايع الناس علياً بالمدينة، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا، منهم ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا: بقيت المدينة خمسة أيام بعد قتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر. والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم: لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم، ثم جاؤوا إلى ابن عمر فأبى عليهم، فحاروا في أمرهم، ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه، وأخذ الأشتر النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس، وأهل الكوفة يقولون: أول من بايعه الأشتر النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك، وكلهم يقولون: لا يصلح لها إلا علي.

فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء، فقال قائل: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم الزبير، ثم قال الزبير: إنما بايعت عليا واللُّج على عنقي، ثم راح إلى مكة فأقام بها أربعة أشهر، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسة بقين من ذي الحجة، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، إن الله حرم حرما مُجملة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون

من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصةً أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإنما خلفكم الساعة تحدوكم فتخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناسُ أخراهم اتقوا اللّه عباده في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا اللّه ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه ﴿واذْكُرُوا إذْ أنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، فلما فرغ من خطبته قال المصريون:

خُذْها إليك واحذرنْ أبا الحسنْ ... إنا نُمِرُّ الأمرَ إمرارَ الرسنْ
صولةَ أقوامٍ كأسداد السفن ... بمشرفياتٍ كغدران اللبنْ
ونطعنُ الملكَ بلبين كالشطنْ ... حتى يمرَّ على غيرِ عَنَنْ

فقال علي مجيباً لهم:

إن عجزتَ عجزةً لا أعتذر ... سوفَ أكيسُ بعدها وأستمرّ
أرفعُ من ذيلي ما كنتُ أجُرّ ... وأجمعُ الأمرَ الشتيتَ المتشرْ
إن لم يشاغبني العَجولُ المتصر ... أو يتركوني والسلاحُ يبتدرْ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزني، وعلى البصرة عبد اللّه بن عامر، وعلى مصر عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، ونوابه على حمص: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد اللّه البجلي، وعلى حلوان عتبة بن النهاس، وعلى ماة مالك بن حبيب، وعلى همذان النسير.

هذا ما ذكره ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٢١، ٤٢٢] من نواب عثمان الذين توفي وهم نواب الأمصار، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت.

ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه، ومعه أصابع نائلة إلى أصيبت حين جاحفت عنه بيدها، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص، وندب الناس إلى الأخذ بثأر هذا الدم وصاحبه، فتباكى الناس حول المنبر، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله سنة، وحث بعضهم بعضا على الأخذ بثأره، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان، ممن قتله من أولئك الخوارج: منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عَبَسة وغيرهم من الصحابة، ومن التابعين: شريك بن حباشة، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم، وغيرهم من التابعين.

ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي اللّه عنهم، وطلبوا منه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان. فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة، ليأتيه منها بالجنود ليتقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي اللّه عنه. فقال لهما: حتى أنظر في هذا الأمر.

ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له: إني أرى أن تقر عمالك على البلاد، فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت، ثم جاءه من الغد فقال له: إني أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك، فعرض ذلك علي على ابن عباس فقال: لقد نصحك بالأمس وغشك اليوم، فبلغ ذلك المغيرة فقال: نعم نصحته فلما لم يقبل غششته. ثم خرج المغيرة فلحق بمكة، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير بمكة، وكانوا قد استأذنوا عليا في الاعتمار فأذن لهم، ثم إن ابن عباس أشار على علي باستمراره بنوّابه في البلاد، إلى أن يتمكن الأمر، وأن يقر معاوية خصوصا على الشام وقال له: إني أخشى إن عزلته عنها أن يطالبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يكرّا عليك بسبب ذلك، فقال علي: إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان، أو يحبسني لقرابتي منك ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه وعِدْه، فقال علي: واللّه إن هذا ما لا يكون أبدا، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إن الحرب خدعة كما قال رسول اللّه ﷺ، فواللّه لئن أطعتني لأوردنهم بعد صدرهم ونهى ابن عباس عليا فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسنون له الدخول إلى العراق، ومفارقة المدينة، فأبى عليه ذلك كله، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار.

قال ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٤١]: وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب، فأرسل اللّه عليه قاصفا من الريح فغرقه اللّه بحوله وقوته، ومن معه، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شرذمة قليلة من قومه، فلما دخل صقلية عملوا له حماما فدخله فقتلوه فيه، وقالوا: أنت قتلت رجالنا.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنه وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة، وولى على الأمصار نوابا، فولى عبيد اللّه بن عباس على اليمن، وولى عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية، فقالوا: من أنت؟ فقال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، فقالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن كان غيره بعثك فارجع، فقال: أو ما سمعتم الذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي.

وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور، وقالت طائفة: لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة.

وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصده عنها طليحة بن خويلد غضبا لعثمان، فرجع إلى علي فأخبره وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر، واختلفت الكلمة، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم، وبعث علي إلى معاوية كتبا كثيرة فلم يرد عليه لها جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طوماراً مع رجل فدخل به على علي فقال له عليّ: ماوراءك؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق،

فقال علي: اللّهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد.

وعزم علي رضي اللّه عنه على قتال أهل الشام، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة. وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك. وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبه دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم. فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام، حتى جاءه من شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده.

ابتداء وقعة الجمل

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق، كان أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، أقمن بمكة بعدما خرجوا منها، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتجسسون الأخبار فلما بويع لعلي وصار أحظى الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي، لا عن اختيار منه لذلك رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن عليا في نفس الأمر يكرههم، ولكنه تربص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق اللّه منهم، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه، وحجبوا عنه عِلْية الصحابة فرّ جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلق كثير، وجم غفير، وكان علي لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه، وطلب عبد اللّه بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه، فقال: إنما أنا رجل من أهل المدينة، فإن خرجوا خرجت على السمع والطاعة، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة، وقدم إلى مكة أيضا في هذا العام يعلى بن أمية من اليمن، ـ وكان عاملا عليها لعثمان ـ ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم، وقدم إليها عبد اللّه بن عامر من البصرة، وكان نائبها لعثمان، فاجتمع بمكة خلق من سادات الصحابة، وأمهات المؤمنين، فقامت عائشة رَضِيَ اللّه عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام، ولم يراقبوا جوار رسول اللّه ﷺ وقد سفكوا الدماء، وأخذو الأموال. فاستجاب الناس لها، وطاوعوها على ما تراه من الأمر، وقالوا لها: حيثما سرت سرنا معك، فقال قائل: نذهب إلى الشام، فقال بعضهم: إن معاوية قد كفاكم أمرها ولو قدموها لغلبوا، واجتمع الأمر كله لهم، لأن أكابر الصحابة معهم. وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا، وقال آخرون: بل نذهب إلى البصرة فتقوى من هنالك بالخيل والرجال، ونبدأ بمن هناك من قتلته. فاتفق الرأي على ذلك وواقف بقية أمهات المؤمنين عائشة على المسير إلى المدينة، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقُلْنَ: لا نسير إلى غير المدينة، وجهز الناسَ يعلى بن أمية فأنفق فيهم ست مئة الف وستمائة بعير وجهزهم ابن عامر أيضا بمال كثير.

وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة، فمنعها أخوها عبد اللّه من ذلك، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة، وسار الناس صحبة عائشة في ألف، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة، وتلاحق بهم آخرون فصاروا في ثلاثة آلاف، وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكر، اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتي دينار، وقيل بثمانين ديناراً، وقيل غير ذلك، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك وبكين للوداع، وتباكى الناس، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب.

وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد اللّه بن الزبير، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات، وقد مروا في مسيرهم ليلا بماء يقال له الحَوْأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟ قالوا الحوأب، فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت: إنا للّه وإنا إليه راجعون، ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لنسائه: «ليت شعري أيتكن التي تنبحها كلاب الحوأب»، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: ردوني أنا واللّه صاحبة ماء الحوأب [كشف الأستار(٣٢٧٤)]، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة كما سبق، فأناخ الناس حولها يوما وليلة، وقال لها عبد اللّه بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب، ثم قال الناس: النجاء النجاء، هذا جيش علي بن أبي طالب قد أقبل، فارتحلوا نحو البصرة.

فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس، أنها قد قدمت، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام. وتلت قوله تعالى ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقالا: أما بايعت عليا؟ قال: بلى والسيف على عنقي، ولا أستقبله إن هو لم يُخَلِّ بيننا وبين قتلة عثمان. فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك قال: فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف، فقال أبو الأسود:

يا ابنَ الأحنفِ قد أُتيتَ فانفرِ ... وطاعنِ القومَ وجالدْ واصبرِ

واخرجْ لهم مستلئما وشمِّرِ

فقال عثمان بن حنيف: إنا للّه وإنا إليه راجعون، دارت رحا الإسلام ورب الكعبة، فانظروا بأي زيفان تزيف، فقال عمران: إي واللّه لتعركنكم عركا طويلا، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعاً «تدور رحا الإسلام لخمس وثلاثين» الحديث [مسند احمد: ١/٣٩٠، د(٤٢٥٤)] كما تقدم، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين: أشر علي، فقال اعتزل فإني قاعد في منزلي، أو قاعد على بعيري، فذاهب فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح

والاجتماع في المسجد، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال: أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤوا خائفين فقد جاؤوا من بلد يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته، فأطيعوني وردوهم من حيث جاؤوا، فقام الأسود بن سريع السعدي فقال: إنما جاؤوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا، فحصبه الناس، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً فكسره ذلك.

وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس، فنزلوا المربد من أعلاه قريبا من البصرة وخرج إليها من أراد من أهل البصرة فكان معها، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد، فتكلم طلحة - وكان على الميمنة - فندب إلى الأخذ بثأر عثمان، والطلب بدمه، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليهما ناس من جيش عثمان بن حنيف، وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على ذلك، فتثاور طوائف من أطراف الجيشين فتراموا بالحجارة، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة، فكثروا، وجاء جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي من حيث جئت إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس في الرجوع.

وأقبل حكيم بن جبلة - وكان على خيل عثمان بن حنيف - فأنشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتتلوا على فم السكة، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، وحجز الليل بينهم، فلما كان اليوم الثاني قصدوا القتال، فاقتتلوا قتالا شديدا، إلى أن زال النهار، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابا ويبعثوا رسولا إلى أهل المدينة يسأل أهلها، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها لهما، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضي، فقدم المدينة يوم الجمعة، فقام في الناس، فسألهم: هل بايع طلحة والزبير طائعين أو مكرهين؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد، فقال: بل كانا مكرهين، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه، فجاحف دونه صهيب، وأبو أيوب، وجماعة حتى خلصوه، وقالوا له: ما وسعك ما وسعنا من السكوت؟ فقال: لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا، وكتب علي إلى عثمان بن حنيف يقول: إنهما لم يكرها على فرقة، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرنا، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب علي، فقال عثمان: هذا أمر آخر غير ما كنا فيه.

وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فأبى، فجمعا الرجال في ليلة مظلمة وشهد بهم صلاة العشاء في المسجد الجامع، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ووقع من رعاع الناس من أهل البصرة كلام وضرب، فقتل منهم نحواً من أربعين رجلا، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير، ولم يبق في وجهه شعرة إلا نتفوها، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبر، فأمرت أن تخلي سبيله، فأطلقوه وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر، وقسم طلحة والزبير أموال بيت المال في الناس وفضلوا أهل الطاعة، وأكب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم، وأخذوا الحرس، واستبدوا بالأمر بالبصرة، فحمي لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم، فركبوا في جيش قريب من ثلاثمائة، ومقدمهم حكيم بن جبلة، وهو أحد من باشر قتل عثمان، فبارزوا وقاتلوا، فضرب رجل رِجْلَ حكيم بن جبلة فقطعها، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله ثم اتكأ عليه وجعل يقول:

يا ساقُ لن تراعي إنّ معي ذراعي
أحمي بها كراعي

وقال أيضاً:

ليس عليّ أن أموت عار والعارُ في الناسِ هو الفرارُ
والمجدُ لا يفضحه الدمار

فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل، فقال له: من قتلك؟ فقال: وسادتي. ثم مات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم، فضعف جأش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة، ويقال: إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير، وندب الزبير ألف فارس يأخذها معه ويلتقي عليا قبل أن يجيء فلم يجبه أحد، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشرونهم بذلك، وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين.

وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فإن لم يجئ فليكف يده وليلزم منزله، أي لا يكون عليها ولا لها، فقال: أنا في نصرتك ما دمت في منزلك، وأبى أن يطيعها في ذلك، وقال: رحم الله أم المؤمنين أُمرتْ أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحق بذلك منا، وكتبت عائشة إلى أهل اليمامة والكوفة بمثل ذلك.

ذكر مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلا عن مسيره إلى الشام

بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة ليمنع أولئك من دخولها، إن أمكن، أو يطردهم عنها إن كانوا قد دخلوها، فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم.

قال الشعبي: ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين، ليس لهم سابع.

وقال غيره أربعة. وذكر ابن جرير [تاريخه: ٤٤٧/٤، ٤٤٨، ٤٥١] وغيره قال: كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان، وأبو قتادة الأنصاري، وزياد بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: وليس بذي الشهادتين، ذاك مات في زمن عثمان رضي الله عنه.

وسار علي من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدمة إلى الشام، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج علي من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه عليا وهو بالربذة، فأخذ بلجام فرسه وقال: ياأمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن

خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً فسبه بعض الناس، فقال علي: دعوه فنعم الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال: لقد نهيتك فعصيتني تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك. فقال له علي: إنك لا تزال تحن علي حنين الجارية، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها، فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر بيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله؟

فقال له علي: أما قولك أني أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ماذهبوا إليه. فتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال: ليست ها هنا، حتى يُحَلّ عرقوبها فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني.

ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إني قد اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم وفرغت لما حدث، فكونوا للدين الله أعوانا وأنصارا، وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب، وقام في الناس خطيبا فقال: إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين أذلهم الشيطان ليتزغ بين هذه الأمة، ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن.

ثم عاد ثانية فقال: إنه لابد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم، حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.

قال: فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: ياأمير المؤمنين أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً. فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، والله لينصرنّي الله كما سمانا أنصارا.

قال: وأتت جماعة من طيىء وعليّ بالربذة، فقيل له: هؤلاء جماعة جاؤوا من طيء منهم مسن يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك، فقال: جزى الله كلاً خيرا ﴿وفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]

ثم فسار علي من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان بفيدَ جاءه جماعة من أسد وطيىء، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: فيمن معي كفاية - وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيباني، فقال له علي: ما وراءك؟ فأخبره الخبر، فسأله عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه، فقال علي: والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا. وسار.

فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته، من قتل ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة، وأخذهم أموال بيت المال، جعل يقول: اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهشماً، وليس في وجهه شعرة فقال: يا أمير المؤمنين بعثتني إلى البصرة وأنا ذو لحية، وقد جئتك أمرد، فقال: أصبت خيراً وأجراً. وقال عن طلحة والزبير: اللهم احلل ما عقدا، ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما، وأرهما المساءة فيما قد عملا -يعني في هذا الأمر - وأقام علي بذي قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شيء، فلما أمسوا دخل أناس من ذوي الحجى على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلي، فقال: كان هذا بالأمس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولا غليظاً: فقال لهما: والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بد من قتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومَن كانوا، فانطلقا إلى علي فأخبراه الخبر، وهو بذي قار، فقال للأشتر: أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت، فخرجا فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة فقام في الناس فقال: أيها الناس، إن أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤد إليكم نصيحة، كان الرأي أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترئوا على أمره، وهذه فتنة النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القاعد، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب، والراكب خير من الساعي فاغمدوا السيوف وأنصلوا الأسنة، واقطعوا الأوتار، وآووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة، فرجع ابن عباس والأشتر إلى علي فأخبراه الخبر، فأرسل الحسن وعمار بن ياسر، وقال لعمار: انطلق فأصلح ما أفسدت، فانطلقا حتى دخلا المسجد فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع، فقال لعمار: علام قتلتم عثمان؟ فقال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا، فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين.

قال: وخرج أبو موسى فلقي الحسن بن علي فضمه إليه، وقال لعمار: يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان فقتلته؟ فقال: لم أفعل، ولم يسؤني ذلك، فقطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى: لم تثبط الناس عنا؟ فو الله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء فقال: صدقت بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت من النبي ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب» وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا، فغضب عمار وسبه، وقال: يا أيها الناس، إنما قال له رسول الله ﷺ وحده أنت فيها قاعداً خير منك قائماً، فغضب رجل من بني تميم لأبي موسى ونال من عمار، وثار آخرون، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، وقال أبو موسى: أيها الناس، أطيعوني وكونوا خير قوم من خير أمم العرب، يأوي إليهم المظلوم، ويأمن فيهم الخائف، وإن الفتنة إذا أقبلت شُبِّهت، وإذا أدبرت بُيِّنت؛ ثم أمر

الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم، فقام زيد بن صوحان فقال: أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، سيروا إليه أجمعين. فقام القعقاع بن عمرو فقال: إن الحق ما قاله الأمير، ولكن لا بد للناس من أمير يردع الظالم ويعدي المظلوم، ويتظلم به شمل الناس، وأمير المؤمنين علي مليء بما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يريد الأصلاح، فانفروا إليه. وقام عبد خير فقال: الناس أربع فرق، عليٌّ بمن معه في ظاهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة بالحجاز لا تقاتل ولا غناء بها، فقال أبو موسى: أولئك خير الفرق، وهذه فتنة، ثم تراسل الناس في الكلام.

ثم قام عمار والحسن بن علي في الناس على المنبر يدعوان الناس إلى النفير إلى أمير المؤمنين، فإنه إنما يريد الإصلاح بين الناس، وسمع عمار رجلا يسب عائشة فقال: اسكت مقبوحا منبوحا، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعونه أو إياها. رواه البخاري [٣٧٧٢، ٧٠٠١بنحوه].

وقام حجر بن عدي فقال: أيها الناس، سيروا إلى أمير المؤمنين، ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٤١] وجعل الناس كلما قام رجل يحرض الناس على النفير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر، وعمار والحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن علي: ويحك! اعتزلنا لا أم لك، ودع منبرنا، ويقال: إن عليا بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الإمارة من تلك الليلة، واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي دجلة، ويقال: سار معه اثنا عشر ألفا ورجل واحد، فقدموا على عليٍّ بذي قار فتلقاهم إلى أثناء الطريق في جماعة، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال: ياأهل الكوفة! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده، وإن أبو داويناهم بالرفق حتى يبدؤونا بالظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى.

فاجتمعوا عنده بذي قار، وكان من المشهورين من رؤساء من انضاف إلى علي، القعقاع بن عمرو، وسيْر بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب، وزيد بن صوحان، والأشتر، وعدي بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدي وأمثالهم، وكانت عبد القيس بكمالها بين علي وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوف، فبعث عليّ القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف.

فلهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أي أُمّه! ما أقدمك هذا البلدة؟ فقالت: أي بني! الإصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: الإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدون من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم بعد هذا، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة عليه، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد أجمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، ودرك بثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتعرُّضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة. فقالوا: قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

قال: فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنما جاءت للإصلاح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام علي في الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيهم ﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه الأمة، أقوام طلبوا هذه الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي منّ بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره. ثم قال: ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا، ولا يرتحل معي أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس.

فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وعلباء بن الهيثم، وغيرهم في الفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: ماهذا، الرأي وعلي والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدا يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان، فرضي القوم منا بالسكوت، فقال ابن السوداء: بئس مارأيت، لو قتلناه قتلنا، فإنما يامعشر قتلة عثمان في الفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف ولا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال علباء بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها، فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذاً والله كان يتخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء قبحه الله: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فإذا التقى الناس فأنشبوا القتال ولا تفرّغوهم للنظر، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، وأصبح علي مرتحلا ومر بعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزاوية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد، ونزل الناس كل في ناحية. وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به،

فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقد أشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة، من قتلة عثمان، فقالا: إن عليا قد أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك، وقام علي في الناس خطيباً، فقام إليه الأعور بن بنان المنقري، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء النائرة ليجتمع الناس على الخير، ويلتئم شمل هذه الأمة، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا، قال: نعم! وقام إليه أبو سلامة الدالاني فقال: هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم! قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الله الجنة وقال في خطبته: أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم، وإياكم أن تسبقونا غداً، فإن المخصوم غداً من خُصم اليوم. وجاء في غبون ذلك الأحنف بن قيس في جماعة فانضاف إلى علي - وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قد بايع عليا بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير: إن قُتل عثمان من أبايع؟ فقالوا: بايع علياً فلما قتل عثمان بايع عليا قال: ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفظع، حتى قال الناس: هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان، فحرت في أمري لمن أتبع، فنفعني الله بحديث سمعته من أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري [٤٤٢٥، ٧٠٩٩].

والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف، فقال لعلي: إن شئت قاتلت معك، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف، فقال: اكفف عنا عشرة آلاف سيف، ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول: إن كتتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى نرتل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه في جواب رسالته: إنا على ما فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثار كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا، وبيتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي فبلغ الأمر عليا فقال: ما للناس؟ فقالوا: بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحهم ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدرا مقدورا، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفاً، وقامت الحرب على ساق، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسبئية أصحاب ابن السوداء قبحه الله لا يفترون عن القتل، ومنادي علي ينادي: ألا كفوا ألا كفوا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سور قاضي البصرة فقال: يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس في معركتهم، فتصاولوا وتجاولوا، وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار، فجعل عمار يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه، ويقول له: أتقتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبا عبد الله، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية» وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه، فلهذا كف عنه، وقد كان من ستتهم في هذا اليوم أنه لا يذفف على جريح، ولا يتبع مدبر، وقد قتل مع هذا بشر كثير جداً، حتى جعل علي يقول لابنه الحسن: يابني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة فقال له: يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا.

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قال علي يوم الجمل: يا حسن، يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له: ياأبه قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يابني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا.

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكرة: لما اشتد القتال يوم الجمل، ورأى علي الرؤوس تندر أخذ علي ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال: إنا لله يا حسن! أي خير يرجى بعد هذا؟ فلما ركب الجيشان وتراءى الجمعان طلب علي الزبير وطلحة ليكلمهما، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم، فيقال: إنه قال لهما: إني أراكما قد جمعتما خيلا ورجالا وعُدَداً، فهل أعددتما عذراً يوم القيامة كذلك؟ فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ فقال طلحة: ألبتّ على عثمان. فقال علي ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، ثم قال: لعن الله قتلة عثمان، ثم قال: ياطلحة! أجئت بعرْس رسول الله ﷺ تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت؟ أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي. وقال للزبير: ما أخرجك؟ قال: أنت، ولا أراك بهذا الأمر أولى به مني. فقال له علي: أتذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إلي وضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ليس بمزهُوٍّ لتقاتلنه وأنت ظالم له»؟ فقال الزبير: اللهم نعم! ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، ووالله لا أقاتلك.

وفي هذا السياق كله نظر، والمحفوظ منه الحديث.

كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي فقال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبدالملك بن مسلم الرقاشي عن جده عبد الملك عن أبي جَرْو المازني. قال: شهدت عليا والزبير حين تواقفا، - يعني يوم الجمل - فقال له علي: يا زبير! أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك تقاتلني وأنت لي ظالم»؟ قال: نعم! لم أذكره إلا في موقفي هذا. ثم انصرف.

وقد رواه البيهقي [الدلائل: ٦/٤١٥] عن الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن نُسير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عن أبي جَرْو المازني عن علي والزبير به.

وقال عبد الرزاق [المصنف(٢٠٤٣٠)]: أنا معمر عن قتادة قال: لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى، وذلك أن رسول الله ﷺ لقيهما في سقيفة بني ساعدة فقال: «أتحبه يا زبير؟» فقال: وما يمنعني؟ قال: «فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له؟» قال: فيرون أنه إنما ولى لذلك. قال البيهقي: هذا مرسل وقد روي موصولا

من وجه آخر [الدلائل: ٤١٤/٦].

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي أنا أبو عامر بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث، حدثنا عبد الله بن الأجلح، حدثنا أبي عن يزيد الفقير عن أبيه. قال: وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن أبي، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه قال: لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام فإني علي، فدعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال علي: يا زبير! نشدتك بالله، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا، فقال: «يا زبير ألا تحب علياً؟» فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني؟ فقال: «يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له»؟ فقال الزبير: بلى! والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك. فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير، فقال: ما لك؟ فقال: ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «لتقاتلنه وأنت ظالم له» فقال: وللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر، قال: قد حلفت أن لا أقاتله، قال: اعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس. فأعتق غلامه ووقف، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه.

وروى البزار [كشف الأستار(٢٥٢٨)] عن أحمد بن عبدة عن الحسين بن الحسن عن رفاعة بن إياس بن أبي إياس عن أبيه عن جده قال: سمعت علياً يقول لطلحة يوم الجمل، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: بلى وانصرف.

وقد استغربه البزار، وهو جدير بذلك فرجع الزبير إلى عائشة فذكر لها أنه قد آلى أن لا يقاتل علياً، فقال له ابنه عبد الله: إنك جمعت الناس، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم، كفر عن يمينك واحضر. فأعتق غلاماً اسمه مكحول، وقيل غلامه سرجس. وقد قيل: إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عماراً مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» فخشي أن يقتل عمار في هذا اليوم.

وعندي أن الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحا عنه فما رجعه سواه، ويبعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك ويقاتل علياً، والله أعلم.

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل سار حتى نزل وادياً يقال له وادي السباع، فاتبعه عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكره تفصيله.

وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فالله أعلم، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول: إلي عباد الله، إلي عباد الله، فاتبعه مولى له فأمسكها، فقال له: ويحك! اعدل بي إلى البيوت، وامتلأ خفه دماً فقال لغلامه: انزعه واردفني، وذلك أنه نزفه الدم وضعف، فركب الغلام وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه، رضي الله عنه.

وتقدمت عائشة رضي الله عنها في هودجها، وناولت كعب بن سور قاضي البصرة مصحفاً وقالت: ادعهم إليه - وذلك حين اشتد الحرب وحمي القتال، ورجع الزبير، وقتل طلحة رضي الله عنهما - فلما تقدم كعب بن سور بالمصحف يدعو الناس إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين، - وهو عبد الله بن سبأ ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، لا يتوقفون في أحد، فلما رأوا كعب بن سور رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فجعلت تنادي: الله الله! يا بني اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء حتى وصلت الضجة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال: اللهم العن قتلة عثمان، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقي مثل القنفذ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم، فحملت مضر حملة الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لا بنه محمد بن الحنفية: ويحك! تقدم بالراية، فلم يستطع، فأخذها علي من يده فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي، فتارة لأهل البصرة، وتارة لأهل الكوفة، حتى قتل خلق كثير، وجم غفير، ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان، ونظرت عن يمينها فقالت: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: نحن بكر بن وائل، فقالت: لكم يقول القائل:

وجاؤوا إلينا بالحديد كأنهم ... من العزّة القعساء بكرُ بنُ وائلِ

ثم جاء إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عندها منهم خلق كثير، ويقال: إنه قطعت يد سبعين رجلا وهي آخذة بخطام الجمل فلما أثخنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناف فقاتلوا قتالا شديداً، ودفعوا رأس الجمل، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا: لا يزال الحرب قائماً مادام هذا الجمل واقفاً، ورأس الجمل في يد عميرة بن يثربي، وقتل أخوه عمرو بن يثربي وكان من الشجعان المذكورين والفرسان المشهورين فتقدم إليه هند بن عمرو الجملي، فقتله ابن يثربي، ثم صمد إليه علباء بن الهيثم، فقتله ابن اليثربي أيضاً، وقتل سيحان بن صوخان وارتثّ صعصعة بن صوحان فدعاه عمار إلى البراز فبرز له، فتجاولا بين الصفين - وعمار يومئذ ابن تسعين سنة عليه فروة قد ربط وسطه بحبل ليف - فقال الناس: إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه، فضربه ابن يثربي بالسيف فاتقاه عمار بدرقته فعضّت السيف ونشب فيها، فضربه عمار فقطع يده وأخذه أسيراً إلى بين يدي علي فقال: استبقني ياأمير المؤمنين، فقال: أبعد ثلاثة تقتلهم؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بيد رجل بعده كان قد استنابه فيه من بني عدي فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجاولا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبي فما رئي أشد منه وجعل يقول:

نحن بنو ضبة أصحابُ الجملْ ... نبارز القِرنَ إذا القرنُ نزلْ

ننعي ابن عفانَ بأطرافِ الأسلْ ... الموتُ أحلى عندنا مِنَ العسلْ

ردوا علينا شيخَنا ثم بجلْ

وقد قيل: إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي. وكلما قتل واحد ممن يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلا قالت عائشة: ما زال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلا من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد فقال لعائشة: مريني بأمرك يا أماه. فقالت: آمرك أن تكون

كخير ابني آدم فامتنع أن ينصرف وثبت في مكانه وجعل يقول: حم لا ينصرون، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار كل واحد منهم بعد ذلك يدعي قتله وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه وقال:

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ
هتكتُ له بالرمح جيبَ قميصهِ فخرَّ صريعاً لليدين وللفمِ
يناشدني حمَ والرمحُ شاجرٌ فهلا تلا حمْ قبلَ التقدمِ
على غير شيء غيرَ أن ليسَ تابعاً علياً ومنْ لا يَتبعِ الحقَّ يندمِ

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحد إلا خطمه بالسيف فأقبل إليه الحارث ابن زهير الأزدي وهو يقول:

يا أمنا ياخيرَ أمٍّ نعلمُ أما ترين كَم شجاعٍ يكلمُ
وتُختلى هامتهُ والمعصمُ

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه، وأحدق أهل النجدات والمروءات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الراية والخطام إلا شجاع معروف، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك، وقد فقأ بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فاخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقيل لعائشة: إنه ابنك ابن أختك فقالت: واثكل أسماء! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فأرسلهما مثلا، وجعل الناس لايعرفون مالكا من هو وإنما هو معروف بالأشتر فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سبعاً وثلاثين جراحة، وجرح مروان بن الحكم أيضا، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، فسمع له عجيج ما سمع أشد ولا أنفذ منه، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فعقر الجمل وهو في يده، ويقال: إنه اتفق هو وبجير بن دجلة على عقره، ويقال: إن الذي أشار بعقر الجمل علي، وقيل: القعقاع بن عمرو لئلا تصاب أم المؤمنين، فإنها صارت غرضا للرماة، ومن يمسك بالزمام برجاساً للرماح، ولينفصل هذا الموقف الذي قد تفانى فيه الناس ولما سقط الجمل إلى الأرض انهزم من حوله من الناس، وحمل هودج عائشة وإنه لكالقنفذ من كثرة النشاب، ونادى منادي علي في الناس: إنه لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح، ولا يدخلوا الدور، وأمر علي نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أن يضربا عليها قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها: هل وصل إليك شيء من الجراح؟ فقالت: وما أنت ذاك يا ابن الخثعمية. وسلم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أم؟ فقالت: لست لك بأم. قال: بلى! وإن كرهت، وجاء إليها علي بن أبي طالب مسلماً فقال: كيف أنت ياأمه؟ قالت: بخير فقال: يغفر الله لك. وجاء وجوه الناس إليها من الأمراء والأعيان يسلمون عليها، ويقال: إن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حميراء، فقالت: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك. فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي عرياناً في خربة من خرابات الأزد.

فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة - ومعها أخوها محمد بن أبي بكر - فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة - على صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، وهي أم طلحة الطلحات عبد الله بن خلف، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة وأقام علي بظاهر البصرة ثلاث وقد طاف علي بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول: يعز عليَّ أن أرى قريشاً صرعى. وقد مر عليٌّ فيما ذُكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال: لهفي عليك يا أبا محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر:

فتىً كانَ يدنيهِ الغنى مِنْ صديقهِ إذا ما هوَ استغنى ويبعدهُ الفقرُ

ثم صلى على القتلى من الفريقين، وخص قريشاً بصلاة من بينهم، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة، فمن عرف شيئا هو لأهلهم فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان.

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم. وقد سأل بعض أصحاب عليٍّ عليا أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية وقالوا: كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟ فبلغ ذلك علياً فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم، ولهذا لما دخل البصرة فرق في أصحابه أموال بيت المال فنال كل رجل منهم خمسمائة، وقال: لكم مثلها من الشام في أعطياتكم فتكلم فيه السبئية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء.

بعد الجملِ

ولما فرغ علي من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه، فكان فيمن جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد - وكانوا قد اعتزلوا القتال - فقال له علي: تربَّصتَ - يعني بنا - فقال: ما كنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين، فارفق فإن طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت إليَّ غداً أحوج منك أمس، فاعرف إحساني، واستبق مودتي لغد، ولا تقل مثل هذا فإني لم أزل لك ناصحاً.

قالوا: ثم دخل علي البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم، حتى الجرحى والمستأمنة. وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرَّتك لحريص. فقال: امش أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد وكان زياد معتزلا.

ثم جاء علي إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة فاستأذن ودخل فسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قتل منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي، فلم يرد عليها علي شيئا، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال له رجل: يا أمير

المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهنّ مشركات، أفلا نكف عنهن وهنّ مسلمات؟ فقال له رجل: ياأمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما.

وقد سألت عائشة عمن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر علي، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له.

ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممن جاء في جيشها أن يرجع معها إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات. وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس معه، وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم، وقالت: يابني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار. فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. وسار علي معها مودعاً ومشيعاً أميالا، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم - وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين- وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها.

وأما مروان بن الحكم فإنه لما فر استجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا ويشرفونه، ويقال: إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها، فلما سارت هي إلى مكة سار هو إلى المدينة.

قالوا: وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الوقعة، وذلك مما كانت النسور تخطفه من تخطف الأيدي والأقدام فيسقط منها هنالك، حتى إن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس، وذلك أن نسراً مر بهم ومعه شيء فسقط فإذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب.

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير [تاريخه: ٥٠٦/٤، ٥٤٤] رحمه الله عن أئمة هذا الشأن، وليس فيما يذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة إلى ينقلونها بما فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم، فنقول لهم: ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [القصص: ٥٥].

فصل في ذكر أعيان من قتل يوم الجمل

من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضي الله عنهم أجمعين

وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة. ولم يكن في الفريقين من الصحابة إلا قليل.

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن أيوب عن محمد بن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الوف فلم يحضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين.

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل هو ابن علية حدثنا منصور بن عبد الرحمن قال: قال الشعبي: لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بالخامس فأنا كذاب

قلت: قد حضرها عائشة وابن الزبير والحسن والحسين ومحمد بن أبي بكر وسهل بن حنيف وآخرون.

فممن قتل يومئذ في المعركة

■ **طلحة بن عبيد الله بن عثمان** بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي.

ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض لكثرة برّه وكثرة جوده. أسلم قديماً على يدي أبي بكر الصديق، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما في حبل واحد، ولا تستطيع بنو تيم أن تمنعهما منه، ولذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان، وقد هاجر وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً - فإنه كان بالشام في تجارة - وقيل: في رسالة، لهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يومئذ، لأنه وقى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات، وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول: ذاك يوم كان كله لطلحة، وقد قال له رسول الله ﷺ يومئذ: «أوجب طلحة» [ت(١٦٩٢)] وذلك أنه كان على رسول الله ﷺ درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها، وقال: «أوجب طلحة».

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض، وكذلك أبو بكر وعمر، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل فيه، فلهذا لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إلي عباد الله. فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وأن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال: رحمة الله عليك أبا محمد، يعز عليّ أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبُجَري، والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقال لأبان بن عثمان: قد كفيتك رجلاً من قتلة عثمان، وقد قيل: إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم، وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

ودفن طلحة إلى جانب الكلاّء وكان عمره ستين سنة، وقيل بضعاً وستين سنة.

وكان آدم، وقيل أبيض، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته في كل يوم ألف درهم.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبيه أن رجلا رأى طلحة في منامه وهو يقول: حولوني عن قبري فقد آذاني الماء، ثلاث ليال، فأتى ابن عباس - وكان نائباً على البصرة - فأخبره فاشتروا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحولوه من قبره إليها، فإذا هو قد اخضر من

جسده ما يلي الماء، وإذا هو كهيئته يوم أصيب.

وقد وردت له فضائل كثير، فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم: حدثنا الحسن بن علي بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: سماني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، ويوم العسرة طلحة الفياض. ويوم حنين طلحة الجود.

وقال أبو يعلى الموصلي [مسنده: (٦٦٣)] حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل عمن قضى نحبه فقالوا: سل رسول الله ﷺ فسأله في المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اطلعت من باب المسجد وعليٌ ثياب خضر فقال رسول الله: «أين السائل»؟ قال: ها أنا ذا فقال: «هذا ممن قضى نحبه».

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا داود بن رشيد ثنا مكي بن إبراهيم حدثنا الصلت بن دينار عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله».

وقال الترمذي [٣٧٤١]: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي ـ اسمه النضر ـ حدثنا عقبة بن علقمة اليشكري سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة».

وقد روي من غير وجه عن علي [فضائل الصحابة للإمام أحمد ١٢٩١، ١٢٩٥] أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله ﴿ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِن غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني فأبى فقام سعد فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان هذا مسخطاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة. فخرج الرجل فإذا هو ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك.

■ الزبير بن العوام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي.

وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ أسلم الزبير قديماً وعمره خمس عشرة سنة، وقيل أقل وقيل أكثر. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال: أنا، ثم ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير» ثبت ذلك من رواية زر عن علي [ت(٣٧٤٤)، مسند أحمد: ٨٩/١، ١٠٢، ١٠٣]، وثبت عن الزبير أنه قال: «جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم بني قريظة» [خ: (٣٧٢٠)، م(٢٤١٦)].

وروي أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله قد قتل فجاء الزبير شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله ﷺ فشام سيفه [مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٢٩) وابن أبي شيبة (١٢٢١٥)].

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، واحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وصحب الصديق فأحسن صحبته، وكان ختنه على ابنته أسماء، وابنه عبد الله منها؛ أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتنسرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العالية، اخترق جيوش الروم وصفوفهم من بين الناس مرتين من أولهم إلى آخرهم، وكان من جملة من دافع عن عثمان وجاحف عنه، فلما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به كما تقدم فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة، فمر بقوم الأحنف بن قيس ـ وكانوا قد اعتزلوا الفريقين ـ فقال قائل منهم يقال هو الأحنف: ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كر راجعاً إلى أهله؟ من رجل يكشف لنا خبره؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس، ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال: إنهم لما ادركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال: بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادنُ فقال مولى الزبير، واسمه عطية ـ إني أرى معه سلاحاً فقال: وإن كان، فتقدم إليه فجعل يحدثه وحان وقت الصلاة فقال له الزبير: الصلاة فقال: الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها أيضاً وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة جيدة الشعر، محكمة المعنى فقالت:

غدرَ ابنُ جرموز بفارسِ بهمة ... يومَ اللقاءِ وكانَ غيرَ معردِ
يا عمرو لو نبهتهُ لوجدتَه ... لا طائشاً رعشَ الجَنان ولا اليدِ
ثكلتكَ أمكَ أنْ ظفرتَ بمثلهِ ... مِنْ بقي منْ يروحُ القردَدِ
كمْ غمرة قدْ خاضها لم يثنهِ ... عنها طرادكَ يا ابنَ فقعِ يغتدي
واللهِ ربي إنْ قتلتَ لمسلماً ... حلت عليكَ عقوبةُ المتعمدِ

ولما قتله عمرو بن جرموز احتز رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: لاتأذنوا له وبشروه بالنار، وفي رواية [مسند أحمد: ٨٩/١، ١٠٢، ١٠٣] أن عليا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار».

ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ فيقال: إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير، على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير.

وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات دارة كثيرة جداً، ولما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومائتي ألف فوفوها عنه، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذي كان أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من زوجاته وكن أربعاً من ربع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به

تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فالجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدين المخرج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ما تركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف، وإنما نبهنا على هذا لأنه وقع في صحيح البخاري [٣١٢٩] ما فيه نظر ينبغي أن ينبه له والله أعلم.

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الوثيرة من الحلال مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس مما يختص به منه، ومن التجارة المبرورة. وقد قيل: إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فربما تصدق في بعض الأيام بخراجهم كله رضي الله عنه وأرضاه، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين سنة بست أو سبع وكان أسمر ربعة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضي الله عنه.

وفي هذه السنة أعني سنة ست وثلاثين ولى علي بن أبي طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة، وكان على نيابتها في أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان ليقتلوه وكان الذي جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبي حذيفة بن عتبة، وكان لما قتل أبوه باليمامة قد أوصى به إلى عثمان، فكفله ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحسانا كثيراً ونشأ في عبادة وزهادة، وسأل من عثمان أن يوليه عملا فقال له: متى ما صرت أهلا لذلك وليتك، فتعتب في نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزوة الصواري كما قدمنا، وشرع يتنقص عثمان رضي الله عنه وساعده على ذلك محمد بن أبي بكر الصديق، فكتب بذلك ابن أبي سرح إلى عثمان يشكوهما إليه فلم يعبأ بهما عثمان شيئاً ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبي حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح، وصلى بالناس فيها، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل عثمان فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وبلغه أن عليا قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة، فشمت بمحمد بن أبي حذيفة، إذ لم يمتع بملك الديار المصرية سنة، وسار عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر، وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها، فسار معاوية وعمرو بن العاص إليه ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان، مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا يخدعانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا، ذكره محمد بن جرير [تاريخه: ٥٤٦/٤].

ثم سار إلى مصر قيس بن سعد بولاية من علي، فدخل في سبعة نفر، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم! من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم كثيرا الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام دينا لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً ﷺ يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيلا يتفرقوا، وزكاهم لكي يتطهروا، ووفقهم لكيلا يجوروا. فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين، عملا بالكتاب وأحسنا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله، ثم ولي بعدهما وال أحدث أحداثا، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا، ثم نقموا عليه فغيروا، ثم جاؤوني فبايعوني فأستهدي الله بهداه وأستعينه على التقوى، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازروه وكانفوه وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملا زاكياً وثواباً جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين.

قال [تاريخ الطبري: ٥٤٩/٤]: ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لعلي، فقام الناس فبايعوه، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربتا، فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان - وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة آلاف منهم بسر بن أبي أرطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج وجماعة من الأكابر وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجي - وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم، وكذلك مسلمة بن مخلد الأنصاري تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد ووادعه، ثم كتب معاوية بن أبي سفيان بعد أن استوسق له أمر الشام بحذافيره - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه يأتيه حِمْلُها وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسياء وغيرها، وقد أتاه الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من نواب معاوية، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتروهرب، فاستقر أمر معاوية على تلك البلاد فلما استوسقت له البلاد كما ذكرنا كتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدده من القيام في ذلك، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر مادام سلطانا فلما بلغه الكتاب - وكان قيس رجلا حازماً - لم يخالفه ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود، فسالمه قيس وتاركه ولم يوافقه على ما دعاه إليه ولا خالفه عليه: فكتب إليه معاوية: إنه لا يسعك معي تسويفك بي وخديعتك لي فلا بد أن أعلم أنك سلْم أو عدو - وكان معاوية حازماً أيضاً - فكتب إليه قيس لما صمم عليه: إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك. فلما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان يئس منه ورجع عنه ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيساً يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق.

وروى ابن جرير [تاريخه: ٥٥٣/٤] أنه جاءهم من جهته كتاب مزور بمبايعة قيس معاوية فالله أعلم بصحته.

فلما جاء الكتاب إلى علي اتهمه وكتب إليه أن يغزو أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة، فبعث يعتذر إليه بأنهم عدد كثير، وهم وجوه الناس. وكتب إليه: إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتهمتني في طاعتك، فابعث على عملك بمصر غيري، فبعث علي الأشتر النخعي، فسار إليها فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه فبلغ ذلك أهل

الشام فقالوا: إن لله جنداً من عسل، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر، وقد قيل وهو الأصح إنه إنما ولاّه مصر بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فعذره علي، وشهدا معه صفين كما سنذكره، فلم يزل محمد بن أبي بكر قائم الأمر مهنياً بالديار المصرية، حتى كانت وقعة صفين، وبلغ أهل مصر صَبْر معاوية ومن معه من أهل الشام في قتال أهل العراق، وصاروا إلى التحكيم فعند ذلك طمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترؤوا عليه وبارزوه بالعداوة فكان من أمره ما سنذكره.

وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لئلا يشهد مهلكه، مع أنه كان متعتباً على عثمان بسبب عزله له عن ديار مصر وهو الذي فتحها وتوليته بدله عبد الله بن أبي سرح، فخرج من المدينة على تغضب وغيظ فنزل قريباً من الأردن، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرناه من القيام بدم عثمان.

وقعة صِفّين بين أهل العراق من اصحاب علي وبين أهل الشام من أصحاب معاوية

قد تقدم ما رواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين. أنه قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الوف فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة: إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا، فقال: كذب أبو شيبة، والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت.

وقد قيل إنه شهدها من أهل بدر سهل بن حنيف، وكذا أبو أيوب الأنصاري قاله شيخنا العلامة ابن تيمية في كتاب الرّد على الرافضة.

وروى ابن بطة بإسناده عن بكير بن الأشج أنه قال: أما إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم.

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة. قال ابن أبي الكنود عبيد الرحمن بن عبيد: فدخلها علي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله ـ وكان على همذان من زمان عثمان ـ وإلى الأشعث بن قيس ـ وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان ـ يأمرهما أن يأخذا البيعة على من هنالك ثم يقبلا إليه، ففعلا ذلك. فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته قال جرير بن عبد الله: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فإن بيني وبينه وداً، فآخذ لك من البيعة، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه، وبعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس.

فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه يقتلهم عن آخرهم. فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يعطني جواب معاوية ولأعجلته عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة، فقام جرير مغضباً فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه.

وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود وأشار آخرون عليه بالخروج بنفسه، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج إليه بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له: اخرج إليه أنت أيضاً بنفسك، وقام عمرو بن العاص في الناس خطيباً فقال: إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا يوم الجمل، ولم يبق مع علي إلا شرذمة قليلة، ممن قتل الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دم عثمان خليفة الله فلا تطلوه، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، وتهيأ أهل الشام وتأهبوا، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين ـ حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ بمن معه من النخيلة قاصداً أرض الشام. قال أبو إسرائيل عن الحكم بن عتيبة: وكان في جيش علي ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة. رواه ابن دينزيل.

وقد اجتاز في طريقة براهب فكان من أمره ما ذكره إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه فيما رواه عن يحيى بن عبد الله الكرابيسي عن نصر بن مزاحم [كتاب وقعة صفين ص١٤٧، ١٤٨] عن عمر بن سعد حدثني مسلم الأعور عن حبة العرني قال: لما أتى علي الرقة نزل بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلي: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم عليهما السلام، أعرضه عليك؟ فقال علي: نعم! فقرأ الراهب:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف، وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره الله على كل ممن ناواه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ماشاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا ينكّس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب ـ في يوم عصفت فيه الريح ـ والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك

العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة».

ثم قال لعلي: فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى علي ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار. فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي: اطلبوا الراهب، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له.

وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، ومعه شريح بن هانئ، في أربعة آلاف، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه، وجاء علي كرم الله وجهه فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدّمتان، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلقى علياً فهموا بلقياه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه، فعدلوا عن طريقهم وجاؤوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات فساروا فعبروا من هيت ثم لحقوا عليا ـ وقد سبقهم ـ فقال علي: مقدمتي تأتي من ورائي؟ فاعتذروا إليه بما جرى لهم، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق إلى بيعة علي فلم يجيبوه بشيء فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم علي الأشتر النخعي أميراً، وعلى ميمنته زياد بن النضر، وعلى ميسرته شريح، وأمره أن لا يتقدم إلى أهل الشام بقتال حتى يبدؤوه أولا بالقتال، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب، ولا يبعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال، ولكن صابرهم حتى آتيك فأنا حيث السير وراءك إن شاء الله، وبعث معه بكتاب الإمارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره به علي، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور فلم يزالوا متواقفين يومهم ذلك، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمي فثبتوا له واضطربوا لهم ساعة ثم انصرف أهل الشام عند المساء، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمي، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه، فلم يجبه أبوالأعور إلى ذلك، وكأنه رآه غير كفء له في ذلك والله أعلم.

ثم تحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل علي رضي الله عنه في جيوشه، وجاء معاوية رضي الله عنه في جنوده، فتواجه الفريقان وتقابل الجمعان وبالله المستعان، فتواقفوا طويلا. وذلك بمكان يقال له: صفين وذلك في أوائل ذي الحجة، ثم عدل علي رضي الله عنه فارتاد لجيشه منزلا، وقد كان معاوية سبق بجيشه فنزلوا على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفيحه، فلما نزل علي نزل بعيداً من الماء، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فمنعهم أهل الشام، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك، وقد كان معاوية قد وكّل على الشريعة أبا الأعور السلمي، وليس هناك مشرعة سواها، فعطش أصحاب علي عطشاً شديداً فبعث علي الأشعث بن قيس الكندي في جماعة ليصلوا إلى الماء فمنعهم أولئك وقال: موتوا عطشا كما منعتم عثمان الماء، فتراموا بالنبل ساعة، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله، وأمد كل طائفة أصحابها، حتى جاء الأشتر من ناحية العراقيين وجاء عمرو بن العاص من ناحية الشاميين، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت، وقد قال رجل من أهل العراق ـ وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي ـ وهو يقاتل.

خلّوا لنا ماء الفرات الجاري ... أو اثبتوا لمجحفل جرار
لكل قرم مستميت شار ... مطاعن برعوه كرار
ضرّاب هامات العدى مغوار

ثم مازال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزاحوهم عنه وخلوا بينهم وبينه، ثم اصطلحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً، ولا يؤذي إنسان منهم إنساناً.

وفي رواية أن معاوية لما أمر أبا الأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة، وسيوف مسللة وسهام مفوقة، وقسي موترة، فجاء أصحاب علي علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية يقول له: إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى نقيم عليكم الحجة، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم بالقتال، ثم هذه أخرى قد منعتمونا فقال معاوية للقوم: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن العاص خلّ بينهم وبينه، فليس من النصف أن نكون رياني وهم عطاش، فقال الوليد بن عقبة: دعهم يذوقوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه في داره، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً، وقال عبدالله بن سعد بن أبي سرح: امنعهم الماء إلى الليل لعلهم يرجعون إلى بلادهم. فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان: ماذا جوابك؟ فقال: سيأتيكم رأيي بعد هذا، فلما رجع صعصعة فأخبر الخبر ركبت الخيل والرجال، فما زالوا حتى أزاحوهم عن الماء ووردوه قهراً، ثم اصطلحوا على وروده، وأن لا يمنع أحد أحداً منه وأقام علي يومين لا يكاتب معاوية ولا يكاتبه معاوية، ثم دعا علي بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي فقال: إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو: يامعاوية! إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك، ومجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها. فقال له معاوية: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال له: إن صاحبي أحق هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقته وقرابته، وإنه يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلم لك في دنياك، وخير لك في أخراك. فقال معاوية: ويطل دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً، ثم أراد سعيد بن قيس الهمداني أن يتكلم فبدره شبث بن ربعي فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حق معاوية، فزجره معاوية وزبره في افتياته على من هو أكبر منه أشرف، وفي كلامه بما لا علم له به، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوماً، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم، وأمر علي بالطلائع والأمراء أن يتقدموا للحرب، وجعل علي يؤمر كل يوم كل يوم علي الحرب أميراً، فمن أمرائه على الحرب الأشتر النخعي ـ وهو أكبر من كان يخرج للحرب ـ وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعمر وزياد بن النضر، وزياد بن خصفة، وسعيد بن قيس، ومعقل بن قيس، وقيس بن سعد، وكذلك فعل معاوية كان كل يوم يبعث على الحرب أميراً، فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلم، وذو الكلاع الحميري، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وشرحبيل بن السمط، وحمزة بن مالك الهمداني، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين،

وذلك في شهر ذي الحجة بكماله.

حج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عباس عن أمر علي له بذلك، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كل منهما في جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها.

والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم، فذكر ابن جرير [تاريخه: ٥/٥] من طريق هشام عن أبي مخنف قال حدثني سعد أبو المجاهد الطائي عن محل بن خليفة أن علياً بعث عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي، وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية، فلما دخلوا عليه - وعمرو بن العاص إلى جانبه - قال عدي بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد يا معاوية فإنا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ونحقن به دماءنا ونأمن به السبل، ويصلح ذات البين، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فاته يا معاوية لا يصبك الله وأصحابك مثل ما أصاب يوم الجمل، فقال له معاوية: كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً، هيهات ياعدي، كلا والله إني لابن حرب، لا يقعقع لي بالشنان، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وإنك لمن قتلته، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به.

وتكلم شبث بن ربعي وزياد بن خصفة فذكرا من فضل علي وقالا: اتق الله يامعاوية ولا تخالفه فإنا والله ماريانا رجلا قط أعمل بالتقوى، ولا أزهد في الدنيا، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه.

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنكم دعوتموني إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فنعمّا هي، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به، ولكنه آوى قتلته، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة. فقال له شبث بن ربعي: أنشدك الله يا معاوية، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان؟ قال معاوية: لو تمكنت من ابن سمية ما قتلته بعثمان، ولكني كنت قتلته بغلام عثمان. فقال له شبث بن ربعي: وإله الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تندر الرؤوس عن كواهلها، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك. فقال معاوية: لو قد كان ذلك كانت عليك أضيق.

وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه الخبر. وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وشرحبيل بن السمط، ومعن بن يزيد بن الأخنس إلى علي، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم، فيولي الناس أمرهم من اجمعوا عليه رأيهم. فقال له علي: وما أنت لا أم لك، وهذا الأمر وهذا العزل، فاسكت فإنك لست هناك ولا بأهل لذلك. فقال له حبيب: أما والله لتريني حيث تكره، فقال له علي: وما أنت ولو اجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت، اذهب فصعد وصوّب ما بدا لك.

ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلا جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وإنهم إنما دخلوا في الإسلام كرهاً ولم يزالا في تردد فيه وغير ذلك وإنه قال في غبون ذلك: لا أقول: إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً. فقالوا: نحن نبرأ ممن لم يقل: إن عثمان قتل مظلوماً، وخرجوا من عنده، فقال علي: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وما أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨٠-٨١] ثم قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حقكم وطاعة نبيكم.

وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه.

وروى ابن دينزيل من طريق عمر بن سعد بإسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلماني، وعلقمة بن قيس، وعامر بن عبد قيس وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وغيرهم جاؤوا إلى معاوية فقالوا له: ما تطلب؟ قال: أطلب بدم عثمان قالوا: لمن تطلب به؟ قال: عليا، قالوا: أهو قتله؟ قال: نعم! وأوى قتلته به. فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال: كذب! لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر بقتله ومالأ. فرجعوا إلى علي فأخبروه فقال: والله لا قتلت ولا أمرت ولا مالأت. فرجعوا فقال معاوية: فإن كان صادقا فليقدنا من قتلة عثمان، فإنهم في عسكره وجنده فرجعوا فقال علي: تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم سبيل. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن كان الأمر على ما يقول فما له انتهز الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن هاهنا؟ فرجعوا إلى علي فقال: إنما الناس تبع المهاجرين والأنصار، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم، وقد رضوا وبايعوني، ولست استحل أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها، فرجعوا إلى معاوية فقال: ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟ فرجعوا إلى علي فقال: إنما هذا للبدريين دون غيرهم وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي، وقد تابعني وبايعني ورضي، فلا يغرنكم من دينكم وأنفسكم.

قال: فأقاموا يتراسلون في ذلك مدة شهر ربيع الآخر وجمادين ويفزعون في غبون ذلك الفزعة بعد الفزعة ويزحف بعضهم على بعض، ويحجز بينهم القراء، فلا يكون في ذلك قتال.

قال: ففزعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين فزعة.

قال: وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له: يامعاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه لأقدم منك ومن أبيك سلماً، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك. فقال: أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام، فذهبا إلى علي فقالا له ذلك فقال: هؤلاء

الذين ترون فخرج خلق كثير فقالوا: كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليرمنا وليكدنا. قال: فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم قتالا بل لزما بيوتهما.

قال عمر بن سعد بإسناده: حتى إذا كان رجب وخشي معاوية أن تبايع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح: يامعشر أهل العراق! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم، ورمى به في جيش أهل العراق. فأخذه الناس فقرؤوه وتحدثوا به، وذكروه لعلي فقال: إن هذا مالا يكون ولا يقع. وشاع ذلك فيهم، وبعث معاوية مائتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فخاف أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي فقال: ويحكم! إنه يريد أن يخدعكم ويوهن كيدكم ليزيلكم عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خشي من مكانه. فقالوا: لا بد من أن نخلي عن هذا الموضع فارتحلوا منه، وجاء معاوية فنزله بجيشه - وكان علي آخر ما ارتحل - فنزله بهم وهو يقول:

فلو أني أطعتُ عصمتُ قومي إلى ركنِ اليمامةِ أو شمام
ولكني إذا أبرمتُ أمراً يخالفهُ الطغامُ بنو الطغامِ

قال: فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في القتال فجعل عي يؤمر على الحرب كل يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكماله، وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين.

قال ابن جرير رحمه الله [تاريخه: ١٠/٥]: ثم لم تزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية والناس كافّون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح، فأمر علي بن أبي طالب مرثد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استدمتكم لتراجعوا الحق، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا، وإني قد عذرت إليكم ونبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي به فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فعبيا الجيش ميمنة وميسرة، وبات علي يعبي جيشه من ليلته، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة، وعلى قرائهم مسعر بن فدكي التميمي، وتقدم علي إلى الناس أن لا يبدؤوا أحداً بالقتال حتى يبدأهم ويعتدي عليهم، وأنه لا يذفف على جريح ولا يتبع مدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم. وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس. ذكره ابن جرير [تاريخه: ١١/٥، ١٢].

وروى ابن دينيل من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن الحسن بن علي وغيرهما. قالوا: لما بلغ معاوية مسير علي إليه سار معارية نحو علي واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو أبا الأعور السلمي وعلى الساقة بسر بن أرطاة حتى توافوا جميعاً بقناصرين إلى جانب صفين. وزاد ابن الكلبي فقال: جعل على المقدمة أبا الأعور السلمي، وعلى الساقة بسراً، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة، وعلى رجالتها يزيد بن زحر العنسي، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائي، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس وعلى رجالتهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي، وجعل على أهل حمص ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجاء العراق ولا أموالها، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها، مع أن للقوم أعدادهم، وليس بعدكم غيركم فإن غلبتموهم فليس تغلبوهم إلا من أناتكم وصبركم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لاقوكم بكيد أهل العراق، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز، وقسوة أهل مصر، وإنما ينصر غداً من ينصر اليوم فاستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين؛ فلما بلغ عليا خطبة معاوية قام في أصحابه أيضاً وحضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام.

قال جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر وزيد بن الحسن وغيرهما قالوا: سار علي إلى الشام في مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام.

وقال غيرهم: أقبل علي في مائة ألف أو يزيدون، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفاً - ذكر ذلك ابن دينيل في كتابه - وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم، وكان هؤلاء خمسة صفوف ومعهم ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفا أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقين الأشتر النخعي، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالا شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة، وأمير الشاميين يومئذ أبو الأعور السلمي فاقتتلوا قتالا شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالا شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة يومئذ رجلا فلما تواقفا تعارفا فإذا هما أخوان من أم، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه، وخرج في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - محمد بن علي - وهو ابن الحنفية - ومعه جمع عظيم فخرج إليه في جحفل كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر، فاقتتل الناس قتالا شديداً، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه؟ فلما كادا أن يقتربا قال علي: من المبارز؟ قالو: محمد ابنك وعبيد الله بن عمر، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم عليٌّ إلى عبيد الله فقال له: تقدم إلي فقال عبيد الله: لا حاجة لي في مبارزتك، فقال: بلي، فقال: لا! فرجع عنه علي وتحاجز الناس يومهم ذلك.

ثم خرج في اليوم الخامس - وهو يوم الأحد - في العراقيين عبدالله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن عقبة، فاقتتل الناس قتالا شديداً، وجعل الوليد ينال من ابن عباس، فيما ذكره أبو مخنف [تاريخ الطبري: ١٣/٥] ويقول:

قتلتم خليفتكم ولم تنالوا ماطلبتم، ووالله إن الله ناصرنا عليكم فقال له ابن عباس: فابرز إلي فأبى عليه ويقال: إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالا شديداً بنفسه رضي الله عنه.

ثم خرج في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - من جهة عليٍّ على العراقين قيس بن سعد بن عبادة، ومن جهة أهل الشام ابن ذي الكلاع فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا، ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء من جهة عليٍّ وخرج إليه قرنه من جهة معاوية وهو حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً في هذه الأيام كلها.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب أن علياً قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء بعد العصر فقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقصون، لو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار فلفّت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع فلو شاء لعجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار ﴿ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ [النجم: ٣١] ألا وإنكم لاقوا القوم عداً فأطيلوا الليله في القيام ن وأكثروا تلاوة القرآن، واسألوا الله النصر والصبر ولاقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين: قال: فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها قال: ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جعيل التغلبي فرأى ما يصنعون فجعل يقول:

أصبحتْ الأمةُ في أمرٍ عجبْ والملكُ مجموع غداً لمن غلب
فقلتُ قولا صادقاً غيرَ كذب إنّ غداً تهلكُ أعلامُ العربْ

قال: ثم أصبح علي في جنوده قد عبأهم كما أراد، وركب معاوية في جيشة قد عبأهم كما أراد، وقد أمر عليٌّ كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام، ثم زحف الناس بعضهم إلى بعض، فتقاتلوا قتالا عظيما لا يفر أحد من أحد ولا يغلب أحد أحداً، ثم تحاجزوا عند العشي، وأصبح علي فصلى الفجر بغلس وباكر القتال، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم، فقال علي فيما رواه أبو مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب: اللّهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى ومالا يرى من خلقك العظيم، ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعا، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي والفساد وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة وجنب بقية أصحابي من الفتنة.

ثم تقدم علي وهو في القلب في أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم، وأقبل معاوية - وقد بايعه أهل الشام على الموت - فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة علي على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب بن مسلمة، فاضطره حتى ألجأه إلى القلب، وفيه معاوية، وقام عبد الله بن بديل في الناس خطيبا فحرضهم على القتال وقام كل أمي في أصحابه يحرضهم على القتال ويحثهم على الصبر والثبات والجهاد والجلاد ويتلوا عليهم آيات القتال، وحرض أمير المؤمنين عليٌّ الناس على الصبر والثبات والجهاد، وحثهم على قتال أهل الشام، وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن، فمن ذلك قوله تعالى ﴿إنَّ اللّهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] ثم قال: قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف على الهام، والتووا في أطراف الرماح فإنه أصون للأسنة، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجاش وأسكن للقلب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار، راياتكم لا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم.

وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق مبارزة ثم وضعهم تحت قدميه ونادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه علي فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ثم قال علي: هل من مبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله، ثم برز إليه رود بن الحارث الكلاعي فقتله، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتله. ثم تلا علي قوله تعالى ﴿والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] ثم نادى: ويحك يامعاوية! ابرز إلي ولا تفني العرب بيني وبينك، فقال له عمرو: يا معاوية اغتنمه فإنه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة، فقال له معاوية: والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط، وإنما أردت قتلي لتصيب الخلافة من بعدي، اذهب إليك! فليس مثلي يخدع.

وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبدت سوءته فرجع علي عنه، فقال له أصحابه: ما لك يا أمير المؤمنين رجعت عنه؟ فقال: أتدرون من هو؟ قالوا: قال: هو عمرو بن العاص وإنه تلقاني بسوءته فذكرني الرحم فرجعت عنه، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له: احمد الله واحمد إستك.

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: حدثنا يحيى بن نصر حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن نمير الأنصاري قال: والله لكأني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين: أما تخافون مقت الله حتى متى، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال: والله ما سمعنا برئيس أصاب بيده من القتل ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجيء فيقول معذرة إلى الله وإليكم والله لقد هممت أن أقلعه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» قال: فيأخذه فيصلحه ثم يرجع به.

وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر.

وحدثنا يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع علي ومعاوية. قال ابن وهب: وأخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال: شهدنا صفين مع علي ومعاوية قال: فمطرت السماء علينا دماً عبيطاً قال الليث في حديثه: حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة: فتمتلئ ونهريقها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة

حتى أدخلها في القلب فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرة وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلاثمائة والمخفل بقية أهل العراق، ولم يبق مع علي من تلك القبائل كلها إلا أهل المدينة وعليهم سهل بن حنيف، وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلي فقتله الأموي وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، فلما وصل إلى علي أخذه علي بيده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد بأسيافهما فقتلاه فقال علي للحسن ابنه وهو واقف معه: ما منعك أن تصنع كما صنعا فقال: كفياني أمره ياأمير المؤمنين وأسرع إلى علي أهل الشام فجعل علي لا يزيده قربهم منه سرعة في مشيته، بل هو سائر على هيئته، فقال له ابنه الحسن: يا أبه لو سعيت أكثر من هذا فقال: يابني إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجّل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت أو وقع عليه الموت.

ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردهم فساق بأسرع سوق حتى استقبل المنهزمين من العراقيين من بين أيديهم فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة فتابعه طائفة واستمرّ آخرون في هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه منهم جمع عظيم فرجع بهم إلى أهل الشام فجعل لا يلقى قبيلة من الشاميين إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو من ثلاثمائة قد ثبتوا في مكانهم فسألوه عن أمير المؤمنين فقال: حيٌّ صالح فالتفوا عليه، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك مابين صلاة العصر إلى الغروب، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فإنه خير له فأبى عليه ابن بديل، وحمل نحو معاوية، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال، فلما اقترب ابن بديل حمل عليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلا، وفر أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح فلما انهزموا قال معاوية لأصحابه انظروا من أميرهم، فجاؤوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فإذا هو عبد الله بن بديل، فقال معاوية: هذا والله كما قال الشاعر، وهو حاتم الطائي:

أخو الحربِ إن عضّتْ به الحربُ عضّها ... وإن شمّرتْ يوماً به الحربُ شمرا
ويحمي إذا ما الموتُ حان لقاؤهُ ... كذلكَ ذو الأشبالِ يحمي إذا فرا
كليثِ هزبرٍ كانَ يحمي ذمارهُ ... رمتهُ المنايا قصدها فتقطرا

ثم حمل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المنهزمين فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا وتعاهدوا على الموت أن لا يفروا وهم حول معاوية، فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صف واحد، قال الأشتر: فرأيت هولا عظيما، وكدت أن أفر فما ثبتني إلا قول ابن الإطنابة وهي أمه من بلقين وكان هو من الأنصار وهو جاهلي:

أبتْ لي عفتي وأبى بلائي ... وإقدامي على البطل المشيح
وإعطائي على المكروه مالي ... وضربي هامةَ الرجل الصحيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانكِ تحمدي أو تستريحي

قال: فثبت.

ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: اليوم صبر وغدا فخر، فقال له عمرو: صدقت قال معاوية: فأصبت خيراً في الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة.

ورواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية.

وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعلي فقال له: اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرة العراق، فطمع فيه، فلما ولي معاوية العراق لم يعطه شيئاً، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأتب بعضهم وعذر بعضهم وحرض الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت رحى الحرب لهم وجالوا في الشاميين وصالوا، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين فإنا لله وإنا إليه راجعون. منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين، واختلفوا في قاتله من أهل العراق مَن هو.

وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب من جهة معاوية أحضر امرأته أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي وبحرية بنت هانئ بن قبيصة الشيباني - فوقفتا وراءه في راحلتين لتنظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته، فواجهته من جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن خصفة التيمي، فشدوا عليه شدة واحدة فقتلوه بعدما انهزم عنه أصحابه، ونزلت ربيعة فضربوا لأميرهم خيمة فبقي منها طنب منها لم يجدوا له وتداً فشدوه برجل عبيد الله بن عمر، وجاءت امرأتاه تولولان حتى وقفتا عليه وبكتا عنده، وشفعت امرأته بحرية إلى الأمير أن يطلقه لها، فأطلقه لها فاحتملتاه في هودجهما وقتل معه أيضاً ذو الكلاع الحميري، قال الشعبي: ففي مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب يقول كعب بن جعيل التغلبي:

ألا إنما تبكي العيونُ لفارس ... بصفينَ ولت خيلهُ وهو واقفُ
تبدّل من أسماء أسيافَ وائل ... وكانَ فتى لو أخطأتهُ المتالفُ
تركنَ عبيدَ اللّهِ بالقاعِ ثاوياً ... تسيلُ دماهُ والعروقُ نوازفُ
ينوءُ ويغشاهُ شآبيب من دم كما ... لاحَ من جيبِ القميصِ الكفائفُ
وقد صبرت حول ابن عمِ محمدٍ ... لدى الموتِ أربابُ المناقبِ شارفُ
فما برحوا حتى رأى اللّهُ صبرهم ... وحتى ألّيحت بالأكُفّ المصاحف

وزاد غيره فيها

معاوي لا تنهض بغيرِ وثيقةٍ ... فإنكَ بعدَ اليومِ بالذلِ عارفُ

وقد أجابه أبو جهم الأسدي بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها

قصداً.

وهذا مقتل

■ عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله أهل الشام وبان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ، وماقي ذلك من دلائل النبوة.

ذكر ابن جرير [تاريخه: ٣٩/٥] من طريق أبي مخنف حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب الجهني أن عماراً قال يومئذ: أين من يبتغي رضوان ربه ولا يلوي إلى مال ولا ولد، قال: فأتته عصابة من الناس فقال: أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ما قصدهم الأخذ بدمه ولا القيام بثأره، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها واستمرؤوها، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم ولا الولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات، وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله، فخدعوا أتباعهم بقولهم إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان ولكانوا أذل وأخس وأقلّ، ولكن قول الباطل له حلاوة في أسماع الغافلين، فسيروا إلى الله سيراً جميلا، واذكروه ذكراً كثيراً ثم تقدم فلقيه عمرو بن العاص وعبيد الله بن عمر فلامهما وأنبهما ووعظهما، وذكروا من كلامه لهما ما فيه غلظة فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٣١٩/٤]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق، وأنهم على الضلالة.

وقال الإمام أحمد [٣١٩/٤، ٣٢٠]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة قال حجاج: سمعت أبا نضرة عن قيس بن عباد قال. قلت لعمار: أرأيت قتالكم رأيا رأيتموه، فإن الرأي يخطئ ويصيب، أو عهد عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافة.

وقد رواه مسلم [(٢٧٧٩) (١٠)] من حديث شعبة وله تمام عن عمار عن حذيفة في المنافقين.

وهذا كما ثبت في الصحيحين [خ: (١١١)، م(٣١٧٢)] وغيرهما [د(٤٥٣٠)] عن جماعة من التابعين، منهم الحارث بن سويد، وقيس بن عبادة، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، ويزيد بن شريك، وأبو حسان الأعرج وغيرهم أن كلا منهم قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله ﷺ لم يعهد إلى الناس؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ فإذا فيها العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر، وأن المدينة حرم ما بين عَيْر إلى ثور.

وثبت في الصحيحين [خ: (٣١٨١)، م(١٧٨٥) (٩٥)] أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين: يا أيها الناس! اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر لرددت على رسول الله ﷺ أمره، ووالله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه، غير أمرنا هذا، فإنا لا نسد منه خصما إلا انفتح لنا غيره لا ندري كيف نبالي له.

وقال أحمد [٣١٩/٤]: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري. قال: قال عمار يوم صفين: ائتوني بشربة لبن، فإن رسول الله ﷺ قال: «آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن».

وقال الإمام أحمد [٣١٩/٤]: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري أن عمارا أتي بشربة لبن فضحك وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن آخر شراب أشربه لبن حين أموت».

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: حدثنا يحيى بن نصر حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: سمعت الشعبي عن الأحنف بن قيس: قال: ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوي السكوني وأبو الغادية الفزاري، فأما أبو الغادية فطعنه، وأما ابن جوي فاحتز رأسه. وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها صاع لبن» فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ويحك ما هذا ياعمرو؟ فيقول له عمرو: إنه سيرجع إلينا. قال: فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً، بقتل عمار أو ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة أهل الشام إلى عليّ ولأفسد علينا جندنا.

قال: وكان لا يزال يجيء رجل فيقول لمعاوية وعمرو: أنا قتلت عماراً فيقول له عمرو: فما سمعته يقول فيخلطون فيما يخبرون حتى جاء ابن جون فقال: أنا سمعته يقول:

اليومَ القى الأحبه محمداً وحزبه

فقال له عمرو: صدقت أنت إنك صاحبه، ثم قال له رويداً، أما والله ما ظفرت بذاك ولقد أسخطت ربك.

وقد روى ابن ديزيل من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندي عن أبيه عن عمرو بن العاص. أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية».

ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحبة العرني، وساقه من طريق أبان عن أنس مرفوعا، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعا «ما خيّر عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما».

وبه عن عمرو بن شمر عن السري عن يعقوب بن الأوسط قال: اختصم رجلان في سَلَب عمار وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فيتحاكما إليه، فقال لهما: ويحكما اخرجا عني، فإن رسول الله ﷺ قال - ولعَنَ قريش بعمار -: «ما لهم ولعمار؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار» قال: فبلغني أن معاوية قال: إنما قتله من أخرجه يخدع بذلك أهل الشام.

وقال إبراهيم بن الحسين: حدثنا يحيى حدثنا عيسى بن عمر حدثنا هشيم حدثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد - وكان يأتي من عند علي ومعاوية - قال: بينا هو عند معاوية إذ

جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار، فقال لهما عبد الله بن عمرو: ليطب كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» فقال معاوية لعمرو: ألا تنهى عنا مجنونك هذا؟! ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له: فلم تقاتل معنا؟ فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة والدي ما كان حيا وأنا معكم ولست أقاتل [مسند أحمد: ١٦٤/٢].

وحدثنا يحيى حدثنا نصر حدثنا حفص بن عمران البرجمي قال: حدثني نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه: لولا أن رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية».

وحدثنا يحيى حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي قال: جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال: ائذن له وبشره بالنار. فقال الرجل: أما تسمع مايقول عمرو. فقال معاوية: صدق إنما قتله الذين جاؤوا به!.

وقال ابن جرير [تاريخه: ٤٠/٥، ٤١]: وحدثنا أحمد بن محمد حدثنا الوليد بن صالح حدثنا عطاء بن مسلم عن الأعمش قال: قال أبو عبد الرحمن السلمي: قال كنا مع علي بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه، فألقاه إليهم وقال: لولا أنه انثنى ما رجعت، قال: ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ، ورأيته جاء إلى المِرْقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال: يا هاشم تقدم! الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسَل، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين.

اليومَ ألقى الأحبه محمداً وحزبه

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى.

قال: وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما: كانا - يعني عماراً وهاشما - علماً لهم قال: فلما كان الليل قلت: لأدخلن الليلة إلى عسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا؟ - وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم - فركبت فرسي وقد هدأت الرجل، ثم دخلت عسكرهم فإذا أنا بأربعة يتسامرون، معاوية، وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير الأربعة. فأدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول بعضهم لبعض، فقال عبد الله لأبيه: يا أبتِ قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، قال: وما قال؟ فقال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً، ولبنة لبنة، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين؟ فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: «ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» قال: فدفع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال: يامعاوية أما تسمع مايقول عبد الله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك، أونحن قتلنا عماراً؟ إنما قتل عماراً من جاء به؟ قال: فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم.

قال الإمام أحمد [٢٢/٣]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن خالد عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتله الفئة الباغية».

وقال أحمد [٢٨/٣]: حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن دينار عن أبي هشام عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية».

وقال الإمام أحمد [١٦١/٣]: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الحارث قال: إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو: يا أبتِ أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا فقال معاوية: لا نزال يأتينا بهنة، أنحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به.

ثم رواه أحمد [١٦١/٢] عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن الأعمش به نحوه.

تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه، وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضي الله عنه بعيد، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روي من وجوه أخر.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار [٤٤٧] وعبد الوهاب الثقفي [٢٨١٢] عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «يا ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن وفي الفتن من صحيحه أيضاً يا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

وروى مسلم [٢٩١٥] من حديث شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». وروى مسلم [٢٩١٦] أيضاً من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن الحسن وسعد ابني أبي الحسن عن أمهما حرة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية».

ورواه [٢٩١٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به.

وفي رواية «وقاتله في النار».

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٢٢/٦] عن الحاكم وغيره عن الاصم عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الجواب عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق».

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي - حدثنا يحيى بن عبيد الله الكرابيسي حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد قال: جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: إن الله قد أمننا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتننا، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع؟ قال: عليك بكتاب الله، قلت: أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق». وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص نفسه حديثا في ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق. وإسناده غريب.

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٢١/٦]: أنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد

بن عبيد الله الصفار ثنا الأسفاطي حدثنا أبو مصعب حدثنا يوسف الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت: اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشي عليه، فأفاق ونحن نبكي حوله، فقال: ما تبكون؟ أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن.

وقال أحمد [٥/٣]: حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فتترب رأسه قال: فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفض رأسه ويقول: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية».

تفرد به أحمد، وما زاده بعض الرواة في هذا الحديث وهو قوله: «لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة» فهو كذب وبهت على رسول الله ﷺ فإنه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه بتسمية الفريقين مسلمين، كما سنورده إن شاء الله.

قال ابن جرير [تاريخه: ٤١/٥، ٤٢] وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال علي لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورمحي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم على ببغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقاتل ويقول:

أضربُهمْ ولا أرى معاويهْ الجاحظَ العينِ عظيمَ الحاويهْ

قال: ثم دعى علي معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه إليه عمرو بن العاص أن يبرز إليه فقال له معاوية: إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، ولكنك طمعت فيها بعدي.

ثم قدم علي ابنه محمداً في عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوه قتالا شديداً ثم أتبعه علي في عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلقاً كثيراً أيضاً وقتل من العراقيين خلق كثير أيضا، وطارت أكف ومعاصم ورؤوس عن كواهلها، رحمهم الله. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إيماء صلاتي العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شراً بين المسلمين، وتسمى هذه الليلة ليلة الهرير وكانت ليلة الجمعة تقصفت فيها الرماح ونفذت النبال، وصار الناس إلى السيوف، وعلي رضي الله عنه يحرض القبائل، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس في قلب الجيش، وعلى الميمنة الأشتر النخعي، تولاها بعد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليلة الجمعة - وعلى الميسرة ابن عباس، والناس يقتتلون من كل جانب وذلك لما قتل عمار عرف أهل العراق أن أهل الشام بغاة ليس معهم حق. وذكر غير واحد من علماء السير - أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى فنيت، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي والرمي بالحجارة والتراب يعفرونه في الوجوه، ثم تعاضوا بالأسنان فكان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهمز على الآخر ويهرُّ عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، لا يمكّن أحدهما الفرار من الآخر فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحى النهار وأقبل النصر وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام، وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة، وكان من الشجعان الأبطال الذين يعرفون الحروب ولا يهابون القتل فحمل بمن فيه على أهل الشام وتبعه عليٌّ فانتقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلا الهزيمة والكسرة والفرار.

ذكر رفع أهل الشام المصاحف مكراً منهم بأهل العراق وخديعة

فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح: وقالوا: هذا بيننا وبينكم قد ففي الناس فمن للثغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفار؟.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٤٨/٥، ٤٩] وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار بهذا هو عمرو بن العاص، وذلك لما رأى، أن أهل العراق قد ظهروا وانتصروا أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فإن كلا من الفريقين صابر للآخر، والناس يتفانون. فقال لمعاوية: إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيد أهل العراق إلا تفرُّقاً واختلافاً، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال هذه الساعة، وإن اختلفوا فيما بينهم بأن يقول بعضهم: نجيبهم، وبعضهم لا نجيبهم، فشلوا وذهبت ريحهم.

وقال الإمام أحمد [٤٨٥/٣، ٤٨٦]، حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت. قال: أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان فيما استجابوا له وفيما فارقوه، وفيما استحل قتالهم فقال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣] فقال علي: نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله قال: فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تنتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يوم الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه.

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال: عباد الله امضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، وقد صحبتهم أطفالا، وصحبتهم رجالا، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم والله إنهم ما رفعوها رفع من يقرؤها ويعمل بما فيها، وإنما رفعوها خديعة ودهاء ومكراً وتخذيلا لكم وكسراً لعدتكم وقتالكم، ولم يبق إلا هزيمتهم وفرارهم ونصركم عليهم. فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب

الله فنأبى أن نقبله. ونجيب إليه. فقال لهم: إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به، وتركوا عهده، ونبذوا كتابه. فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي ثم السنبسي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان، إنه لما ترك العمل بكتاب الله قتلناه، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك. قال: فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتكم لي، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال، فبعث إليه علي ليكف عن القتال.

وقد ذكر الهيثم بن عدي في كتابه الذي صنفه في الخوارج فقال: قال ابن عباس: فحدثني محمد بن المنتشر الهمداني عن من شهد صفين وعن ناس من رؤوس الخوارج ممن لا يتهم علي كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال في علي بعض ما أكره ذكره، ثم قال عمار: من رائح إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكما؟ فحمل فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

وكان ممن دعا إلى ذلك في ذلك اليوم من سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما في القرآن، وذلك عن أمر معاوية له بذلك رضي الله عنهما، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه.

فروى أبو مخنف من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشتر قال: قل له: إن هذه ساعة ليس ينبغي أن لا تزيلني عن موقفي فيها، إني قد رجوت أن يفتح الله علي، فلا تعجلني، فرجع الرسول - وهو يزيد بن هانئ - إلى علي فأخبره بما قال الأشتر، وصمم الأشتر على القتال ليتهز الفرصة، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي: والله ما نراك إلا قد أمرته أن يقاتل، فقال: أرأيتموني ساررت الرسول؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون؟ فقالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك، فقال علي ليزيد بن هانئ: ويحك! قل له أقبل إلي فإن الفتنة قد وقعت، فلما رجع إليه يزيد بن هانئ وأبلغه ما قال عليٌّ أنه يقبل إليه، جعل الأشتر يتململ ويقول: ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل؟ فقلت: أيهما أحب إليك أن ترجع أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان؟ ثم ماذا تغني عنك نصرتك ها هُنا؟ قال: فأقبل الأشتر إلى علي وترك القتال فقال الأشتر: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وسنة من أُنزل عليه القرآن، فلا تجيبوهم، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح، قالوا: لا! قال: أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك، ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام بما حاصله: إن كان أول قتالكم لهؤلاء حقاً فاستمروا عليه، وإن كان باطلاً فاشهدوا لقتلاكم بالنار، فقالوا: دعنا منك فإنا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله، وتركنا قتالهم لله فقال لهم الأشتر: خُدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم بربانيين بعدها. فابعدوا كما بعد القوم الظالمون. فسبوه وسبهم فضربوا وجه دابته بسياطهم، وجرت بينهم أمور طويلة، ورغب أكثر الناس من العراقيين والشاميين بكماهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعلهم يتفقون على أمر يكون فيه مصلحة لحقن دماء المسلمين، فإن الناس قد تفانوا في هذه المدة ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي كان آخرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهرير. وقد صبر كل من الجيشين للآخر صبراً لم يُر مثله لما كان فيهم من الشجعان والأبطال ما ليس يوجد مثلهم في الدنيا، ولهذا لم يفر أحد عن أحد، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً. خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق. قاله غير واحد منهم محمد بن سيرين وسيف وغيره. وزاد أبو الحسن بن البراء - وكان في أهل العراق - خمسة وعشرون بدريا، قال: وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلفا في مدة المقام بصفين فقال سيف: سبعة أشهر أو تسعة أشهر. وقال أبو الحسن بن البراء مائة يوم وعشرة أيام.

قلت: ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان في مستهل ذي الحجة إلى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر وذلك ثلاثة وسبعون يوما فالله أعلم، وقال الزهري: بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفساً.

هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنتظم [١٢٣/٥].

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٤١٩/٦] من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو قال: كان أهل الشام ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً فقتل منهم أربعون ألفاً. وحكى البيهقي هذه الوقعة على الحديث الذي أخرجاه في الصحيحين [خ: (٣٦٠٩)، م(١٥٧)] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة

ورواه البخاري من طريق أخرى عن أبي هريرة، ومن حديث شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة» [٧١٢١].

ورواه مجالد عن أبي الحواري عن أبي سعيد مرفوعاً مثله

ورواه الثوري عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد عن ابن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربعي بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود. قال قال رسول الله ﷺ: «إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما»، فقال عمر: يارسول الله أمما مضى أم مما بقي؟ قال: «بلى مما بقي».

وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في سيرة علي رواه عن إبراهيم، عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله.

وقال أيضاً: حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن مجالد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله. قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فإن يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً، وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم»

وقال ابن ديزيل: حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش

الشيباني عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي. قال: قال رسول اللّه ﷺ: «تدور رحى الإسلام عند قتل رجل من بني أمية» - يعني عثمان رضي اللّه عنه - وهذا مرسل.

وقال أيضاً: حدثنا الحكم بن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول اللّه ﷺ دعي إلى جنازة رجل من الأنصار فقال - وهو قاعد ينتظرها - كيف أنتم إذا رأيتم خيلين في الإسلام؟» قالوا: أو يكون ذلك في أمة إلهها واحد ونبيها واحد؟ قال: نعم قال أبو بكر: أفأدرك ذلك يا رسول اللّه؟ قال: «لا» قال عمر: أفأدرك ذلك يارسول اللّه؟ قال: «لا» قال عثمان: أفأدرك ذلك يارسول اللّه؟ قال: «نعم! بك ينشؤون الحرب وقال عمر بن الخطاب لابن عباس: كيف يختلفون وإلههم واحد وكتابهم واحد وملتهم واحدة؟ فقال: «إنه سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهم، فيختلفون فيه فإذا اختلفوا اقتتلوا». فأقر عمر بن الخطاب بذلك.

وقال أيضاً: حدثنا أبو نعيم حدثنا سعيد بن عبد الرحمن - أخو أبي حمزة - ثنا محمد بن سيرين قال: لما قتل عثمان قال عدي بن حاتم: لا يتطح في قتله عنزان. فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل: لا يتطح في قتله عنزان، فقال: بلى وتفقأ عيون كثيرة.

وروي عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتها فقال: لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات، وإن العرب ستقتتل فيها العاشرة، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتمانوا كما تمانوا.

وقد ثبت في الحديث أن رسول اللّه ﷺ قال: «سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من سواهم فيستبيح بيضتهم فأعطانيها وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها» ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول اللّه: «هذا أهون»

قصة التحكيم

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها علي التحكيم، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين - علي ومعاوية - رجلا من جهته. ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين. فوكّل معاوية عمرو بن العاص، وأراد علي أن يوكل عبد اللّه بن عباس - وليته فعل - ولكنه منعه القراء الخوارج ممن ذكرنا وقالوا: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري.

وذكر الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس، وتابعه أهل اليمن، ووصفوه بأنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز. قال علي: فإني أجعل الأشتر حكما، فقالوا: وهل سَعّر الأرض إلا الأشتر؟ قال: فاصنعوا ماشئتم، فقال الأحنف لعلي: واللّه لقد رميت بحجر إنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل، يدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير في أكفّهم، ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجم، فإن أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولا يحل عقدة عقدتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها. قال: فأبوا إلا أبا موسى الأشعري.

فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري - وكان قد اعتزل - فلما قيل له: إن الناس قد اصطلحوا قال: الحمد للّه، قيل له: وقد جعلت حكما، فقال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي اللّه عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذا صورته.

بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأميرنا، فقال الأحنف: لا تكتب إلا أمير المؤمنين، فقال علي: امحُه واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة الحديبية حين امتنع أهل مكة من قوله: هذا ما قاضى عليه محمد رسول اللّه، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد اللّه، فكتب الكاتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم اللّه وكتابه ونحيي ما أحيى اللّه، ونميت ما أمات اللّه فما وجد الحكمان في كتاب اللّه - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - عملا به وما لم يجدا في كتاب اللّه فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق على أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد اللّه وميثاقه أنهم على ما في هذه الصحيفة، وأجّلا القضاء إلى رمضان وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك على تراض منهما، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام المقبل بأذرح.

وقد ذكر الهيثم في كتاب في الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه: «هذا ما قاضى عبد اللّه أمير المؤمنين علي معاوية بن أبي سفيان» قال معاوية: لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمي لفضله وسابقته. فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية.

وذكر الهيثم أن أهل الشام أبوا أن يبدؤوا باسم علي قبل معاوية، وباسم أهل العراق قبلهم، حتى كتب كتابان كتاب لهؤلاء وكتاب لهؤلاء بما أرادوا.

وهذه تسمية من شهد على هذا الكتاب والتحكيم من جيش علي: عبد اللّه بن عباس، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، وعبد اللّه بن الطفيل العامري، وحجر بن عدي الكندي، وورقاء بن سمي البجلي، وعبد اللّه بن مُحِلّ العجلي، وعقبة بن زياد الحضرمي، ويزيد بن حُجيّة التميمي، ومالك بن كعب الهمداني. فهؤلاء عشرة.

وأما من الشاميين فعشرة آخرون، وهم أبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومخارق بن الحارث الزبيدي، زمل بن عمرو العُذري وعلقمة بن يزيد الحضرمي، وحُمرة بن مالك الهمداني، وسبيع بن يزيد الحضرمي، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، ويزيد بن الحر العبسي.

وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم من الطائفتين. ثم شرع الناس في دفن قتلاهم.

قال الزهري: بلغني أنه دفن في كل قبر خمسون نفساً، وكان علي قد

أسر جماعة من أهل الشام، فلما أراد الانصراف عن صفين أطلقهم، وكان مثلهم أو قريب منهم في يد معاوية قد أسرهم أهل الشام وكان معاوية قد عزم على قتلهم لظنه أن علياً قد قتل أسراهم، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين في يده.

ويقال: إن رجلا يقال له عمرو بن أوس - من الأزد - كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال: امنن علي فإنك خالي، فقال: ويحك! من أين أنا خالك؟ فقال: إن أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالي. فأعجب ذلك معاوية وأطلقه.

وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - فقال: كانوا عربا يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم بتلك الحمية نُهية الإسلام، فتصابروا واستحيوا من الفرار، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم. قال الشعبي: هم أهل الجنة، لقي بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد.

ذِكْر خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على ملأ من بني تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أُدَيَّةِ وهي أمه وهو عروة بن حُدَير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال مرداس بن حُدَير فقال: أتحكّمون في دين الله الرجال؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث، فغضب الأشعث وقومه، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤساء بني تميم يعتذرون إلى الأشعث من ذلك.

قال الهيثم بن عدي: والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي. والصحيح الأول. وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا: إن الحكم إلا لله، فسموا المحكمية. وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين، فرجع علي إلى الكوفة على طريق هيت، ورجع معاوية إلى الشام بأصحابه، فلما دخل علي إلى الكوفة سمع رجلا يقول: ذهب علي ورجع في غير شيء. فقال علي: للذين فارقناهم آنفاً خير من هؤلاء وأنشأ يقول:

أخوكَ الذي إن أجرضتك ملمة ... مِنَ الدهرِ لم يبرح لبثك واجما

وليسَ أخوكَ بالذي إن تشعبت ... عليكَ الأمور ظلَّ يلحاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة، ولما كان قد قرب من دخول الكوفة المخزل من جيشه قريب من - اثني عشر ألفا - وهم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم، فقاتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من الناس - وفي رواية من المسلمين، وفي رواية من أمتي - فيقتلها أولى الطائفتين بالحق».

وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة.

قال الإمام أحمد [٣/٣٢ و٣/٩٧]: حدثنا وكيع وعفان ثنا القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق».

رواه مسلم [١٠٦٥] عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به.

وقال أحمد [١١/٥٣]: حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «تكون أمتي فرقتين تخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاهما بالحق».

ورواه مسلم [١٠٦٥] من حديث قتادة وداود بن أبي هند عن أبي نضرة به

وقال أحمد [٣/٥]: حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ «ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس، سيماهم التحليق هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق» قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق.

وقال أحمد [٣/٧٩]: حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق».

ورواه [٣/٢٥] أيضاً عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابي به مثله.

فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدي، وهو أحد الثقات الرفعاء.

ورواه مسلم أيضا [(١٠٦٥)(١٥٣)] من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد بنحوه.

فهذا الحديث من دلائل النبوة لأنه قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجور، من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً في قتاله وقد أخطأ، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري [٧٣٥٢] من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» وسيأتي بيان كيفية قتال علي رضي الله عنه للخوارج، وصفة المُخْدَج الذي أخبر به الرسول ﷺ فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رضي الله عنه وسجد شكراً لله عز وجل.

موقفُ الخوارج من عليٍّ

قد تقدم: أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين، ذهب إلى الكوفة، فلما دخلها اعتزله طائفة من جيشه، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثنا عشر ألفاً، وقيل أقل من ذلك، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا عليه أشياء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه من الشُّبهة، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلاله حتى كان منهم ما سنورده قريباً إن شاء الله، ويقال: إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما نقموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه، ودخلوا معه الكوفة، ثم إنهم عادوا فنكثوا ما عاهدوه عليه وتعاقدوا وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، والقيام على الناس في ذلك ثم تحيزوا ناحية إلى موضع يقال له النهروان، وفيه قاتلهم علي كما سيأتي.

قال الإمام أحمد [٨٦/١]: حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن عياض بن عمرو القارئ قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قُتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، قال: ومالي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم، قال: فإن عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكّمت في دين الله فلا حكم إلا لله، فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليّ أن كاتبتُ معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف نكتب؟» فقال: «اكتب باسمك اللهم! فقال رسول الله ﷺ «فاكتب محمد رسول الله» فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا، يقول الله تعالى في كتابه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم فقام ابن الكوّاء فخطب الناس فقال: يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه، هذا ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله، فقال بعضهم: والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنُبكّتنّه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكوّاء، حتى أدخلهم على عليّ الكوفة، فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] فقالت له عائشة: يا ابن شداد فقتلهم؟ فقال: والله ما بُعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة، فقالت: آلله؟ قال: آللهِ الذي لا إله إلا هو قد كان ذلك. قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يقولون ذو الثدي وذو الثدية؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان، يصلي ويقرأ ورأيته في مسجد بني فلان يصلي. ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك. قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا! قالت: أجل! صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً إنه كان لا يري شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث.

تفرد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء.

ففي هذا السياق ما يقتضي أن عدتهم كانت ثمانية آلاف لكن من القراء، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا اثنى عشر ألفاً، أو ستة عشر ألفاً. ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه.

وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكّم الرجال، وأنه محا اسمه من الإمرة، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي، فأجاب عن الأوّلتين بما تقدم، وعن الثالثة بأن قال: قد كان في السبي أم المؤمنين عائشة فإن قلتم ليست لكم بأم فقد كفرتم، وإن استحللتم سبي أمكم فقد كفرتم. قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فتقاتلوا.

وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما فرج إليهم، فناظروه في لبسه إياها، فاحتج عليهم بقوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣٢].

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٩١/٥] أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى - شك الراوي في ذلك - ثم جعلوا بعد ذلك يعرّضون له في الكلام ويسمعونه شتماً ويتأولون تأويل في قوله.

قال الشافعي رحمه الله: قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥] فقرأ علي ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ [الروم: ٦٠].

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٧٣/٥] أن هذا الكلام إنما قاله وعلي يخطب لا في الصلاة.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٧٣/٥] أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله، فتنادوا من كل جانب: لا حكم إلا لله، لا حكمَ إلا لله فجعل علي يقول: هذه كلمة حق يراد بها باطل، ثم قال: إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئا ما دامت أيديكم معنا، وأن لا نمنعكم مساجد الله، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤونا به. ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة وتحيزوا إلى النهروان على ماسنذكره بعد حكم الحكمين.

صفة اجتماع الحكَمين وهما أبو موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بدومة الجندل

وكان ذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين. وقال الواقدي اجتمعوا في شعبان.

وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان مجيء رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ، ومعهم أبو موسى، وعبدالله بن عباس، وإليه الصلاة وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومعه عبد الله بن عمرو ابنه، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح - وهي نصف بين الكوفة والشام، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل- وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس، كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حذيفة.

وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضاً، وأنكر حضوره آخرون.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٦٧/٥] أن عمر بن سعد بن أبي وقاص خرج إلى أبيه وهو بماء لبني سليم معتزل بالبادية: فقال يا أبه: قد بلغك ما كان من الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة. فقال: لا أفعل! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفي التقي» والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً.

وقد قال الإمام أحمد [١٦٨/١]: حدثنا أبو بكر الحنفي عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكير بن مسمار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه قال: يا أبه أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي».

وهكذا رواه مسلم في صحيحه [٢٩٦٥].

وقال أحمد أيضا [١٧٧/١]: حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمي فقال: يابني أي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً؟ لا والله حتى أُعطَى سيفاً إن ضربت به مؤمنا نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب الغني الخفي التقي».

وهذا السياق كان عكس الأول، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلي ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الإباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت في صحيح مسلم [١٠٥٤] أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» وكان عمر بن سعد هذا يحب الدُّنيا والإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو من السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه، ولو قنع بما كان عليه أبوه لم يكن شيء من ذلك والله أعلم.

والمقصود أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولاهم به، وإنما حضره من ذكرنا.

فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين، ونَظَرٍ في تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال له عمرو: قولُ ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد. فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك في الفتن والدنيا معك، وهو مع ذلك رجل صدق.

قال أبو مخنف: فحدثني محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمرو بن العاص: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويُطعِم. وكان ابن عمر فيه غفلة، فقال له ابن الزبير: يا عبدَ اللّه، افطَنْ وانتبه، فقال ابن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف وتشاكّت بالرماح، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها. ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة، فأبى أيضاً، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر بن الخطاب، فامتنع عمرو أيضاً، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليا ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم، ثم جاءا إلى المجمع الذي فيه الناس - وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالا - فقال له: يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه.

فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألمّ لشعثها من رأي قد اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورَى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه واختاروه، وإني قد خلعت عليا ومعاوية. ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قد قال ما قد سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإني قد خلعته أيضاً كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه وليُّ عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وهو أحق الناس بمقامه - وكان عمرو رأى من المصلحة أنْ ترك الناس بلا إمام - والحالة هذه - يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أعظم مما الناس فيه من الإختلاف، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، فاجتهد والاجتهاد يخطئ ويصيب. ويقال: إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٧١/٥] أن شريح بن هانئ - مقدَّم جيش علي - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابنٌ لعمرو فضربه بالسوط، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة، وأما أبو موسى فاستحى من علي فذهب إلى مكة ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو فاستضعفوا رأي أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمراً.

فذكر أبو مخنف عن أبي جناب الكلبي أن عليا لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والوليد بن عُقبة، فلما بلغ ذلك معاوية أيضاً كان يلعن في قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن عباس والأشتر النخعي.

ولا يصح هذا عنهم، رضي الله عنهم، والله أعلم.

فأما الحديث الذي قال البيهقي في الدلائل [٤٢٣/٦]: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا إسماعيل بن الفضل حدثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال: إني لأمشي مع علي بشط الفرات فقال:

قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلّا وأضلّا، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين فيضلان ويُضِلاّن من اتبعهما».

فإنه حديث منكر ورفعُه موضوع والله أعلم. إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس، كما في هذا الحديث. وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى قال ابن معين: ليس بشيء.

ذِكر خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً ﷺ بالعداوة والمخالفة وقتال عليٍّ إياهم وما ورد في ذلك من الأحاديث

لما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على علي وصرحوا بكفره، فجاء إليه رجلان منهم، وهما زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي فقالا: لا حكم إلا لله، فقال علي: نعم، لا حكم إلا لله، فقال لهم حرقوص: تب إلى الله من خطيئتك وارجع عن قضيّتك واذهب بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال علي: قد أردتكم على ذلك فأبيتم، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وعهوداً وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ الآية [النحل: ٩١] فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه، فقال علي: ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه، ونهيتكم عنه، فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك وَجْهَ الله ورضوانه، فقال علي: تباً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلا تسفي عليك الريح، فقال: وددت أن قد كان ذلك، فقال له علي: إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا، ولكن الشيطان قد استهواكم. فخرجا من عنده يحكمان أمرهما وفشى فيهم ذلك، وجاهروا به الناس، وتعرضوا لعلي في خطبه وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه. فقام جماعة منهم كل يقول: لا حكم إلا لله. وقام رجل منهم وهو واضع إصبعه في أذنيه يقول: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر يقول: حكم الله ننتظر فيكم. ثم قال: إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا.

وقال أبو مخنف عن عبد الملك بن أبي حرّة أن علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة. ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، فقال سنان بن حمزة الأسدي: ياقوم أن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسناد، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها، فبعثوا إلى زيد بن حصين الطائي - وكان من رؤوسهم - فعرضوا عليه الإمارة عليهم فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، ثم عرضوها على حمزة بن سنان فأبى، ثم عرضوها على شريح بن أوفى العبسي فأبى ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت.

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصين الطائي السنبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] الآية. وقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] والتي بعدها وبعدها ﴿الظَّالِمُونَ﴾ ﴿الفاسقون﴾ ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى، ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، قال: فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن شجرة السُّلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم آتاكم اللهُ ثواب المطيعين له العاملين بأمره - وإن قتلتم فأي شيء أفضل من الصبر والمصير الله ورضوانه وجنته؟.

قلت: وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣].

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها ويتحصنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممن هو على ما هم عليه، من أهل البصرة وغيرها - فيوافوهم إليها. ويكون اجتماعهم عليها. فقال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يشعروا بكم، فكتبوا كتاباً عاماً إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأعمام والعمات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما يزيّنه لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمّارات وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وقراباتهم وإخوانهم فردوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة،

وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كاتبوه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة، وهم جند مستقتلون وفيهم شجاعة وثبات وصبر وعندهم أنهم متقربون بذلك إلى الله عزوجل. فهم قوم لا يصطلى لهم بنار، ولا يطمع أحد في أن يؤخذ منهم بثأر، وبالله المستعان.

وقال أبو مخنف عن أبي روق عن الشعبي أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى إلى مكة، ورد ابن عباس إلى البصرة، قام في الناس بالكوفة خطيباً فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله، أما بعد: فإن المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمري، ونخلتكم رأيي، فأبيتم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن فأجاد:

بذلتُ لهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحى الغدِ

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما فيما حكما به وأنبهما، وبين ما في ذلك من هوى وزور ومحبة للدنيا وقلّة نصح ونظر للأمة وحط عليهما، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى أهل الشام، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه، وكتب إلى ابن عباس والي البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما، وأنه قد عزم على الذهاب إلى أهل الشام، فهلموا حتى نجتمع على قتالهم. فكتبوا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فلما قرأ عليٌّ كتابهم يئس منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم وخرج من الكوفة إلى النخيلة في عسكر كثيف - خمسة وستين ألفا - وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتي فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخمسمائة، ومع أبي الأسود الدؤلي ألف وسبعمائة، فكمل جيشه في ثمانية وستين ألف فارس ومائتي فارس وقام علي في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند اللقاء، وهو عازم على غزو أهل الشام، فبينما هو عازم على غزو أهل الشام إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل واستحلوا المحارم وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وأنتم قد روعتموني فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي» فقادوه بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم بسيفه فشق جلده فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو للذمي؟ فذهب إلى ذلك الذمي فاستحله وأرضاه وبينا هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟ فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاؤوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله عز وجل، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بالقتال أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم ويفعلوا هذا الصنع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على عليّ بأن يبدأ بهم، ثم إذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام والناس آمنون من شرهم فاجتمع الرأي على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً إذ لو قَوَوْا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقاً وشاماً ولم يتركوا طفلا ولا طفلة ولا رجلا ولا امرأة لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلا القتل جملة فأرسل علي إليهم الحارث بن مرة العبدي، وقال له: اخبر لي خبرهم، واعلم لي أمرهم واكتب إلي به على الجلية فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه، فلما بلغ ذلك عليا سار إليهم وترك أهل الشام.

ذكر مسير أمير المؤمنين علي ﷺ إلى الخوارج

لما عزم علي ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج، نادى مناديه في الناس بالرحيل إليهم فعبر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك علي دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم على شاطئ الفرات، فلقيه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير في غيره، فإنه إن سار في غيره يخشى عليه فخالفه علي وسار على خلاف ما قال المنجم وقال نسير ثقة بالله وتوكلا عليه وتكذيباً لقول المنجم فأظفره الله، وقال علي: إنما أردت أن أبين للناس خطأه وخشيت أن يقول الناس، إنما ظفر لكونه وافقه، فيما أشار به، فيشركوا بالله غيره وسلك علي ناحية الأنبار وبعث بين يديه قيس بن سعد، وأمره أن يأتي المدائن وأن يلقاه بنائبها سعد بن مسعود، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي - في جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على علي، وبعث إلى الخوارج: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لنقتلهم بهم ثم إنا تاركوكم وذاهبون عنكم إلى الشام - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه. فبعثوا إليه يقولون: كلنا قتل إخواننا ونحن مستحلون دماءهم دماءكم، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما هم مرتكبوه من الأمر العظيم، والخطب الجسيم، فلم ينفع ذلك فيهم وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري أنبهم ووبخهم فلم ينجع فيهم، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتهدّدهم وتوعدهم وقال: إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم دعوتموني إليه وأبيتم إلا إياه فهيتكم عنه فلم تقبلوا وها أنا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ولا تركبوا محارم الله فإنكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيما عند الله، فكيف بدماء المسلمين؟.

فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤوا للقاء الرب عز وجل، الرواح الرواح إلى الجنة! وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي السنبسي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي. ووقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه.

وجعل علي على ميمنته حجر بن عدي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي أو معقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة - وكانوا في سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى

الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا في دمائكم إلا فيمن قتل إخواننا.

فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فزحفوا إلى علي فقدّم علي بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصف الرجال وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج وهم يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن شجرة السلمي، قبحهم الله.

قال أبو أيوب: وطعنت رجلا من الخوارج بالرمح فانفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها صلياً.

قالوا: ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر.

وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول: بؤساً لكم! لقد ضركم من غركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ومن غرهم؟ قال: الشيطان وأنفسٌ بالسوء أمارة، غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون. ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

وقال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج: وحدثنا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن دينار عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهليهم كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتي به فرده.

وقال أبو مخنف: حدثني عبد الملك بن أبي حرة أن علياً خرج في طلب ذي الثُّدَيَّة ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جَبْرَة والريان بن صبرة بن هوذة فوجده الريان في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلا، قال: فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له حَلَمة كحَلَمة الثدي عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الأخرى ثم تنزل فتعود إلى منكبه كثدي المرأة، فلما رآه علي قال: أما والله وما كذبت ولا كُذبت أما والله لولا أن تتكلوا على غير العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق.

وقال الهيثم بن عدي في كتابه في الخوارج: وحدثني محمد بن ربيعة الأحمسي عن نافع بن مسلمة الأحمسي قال: كان ذو الثدية رجلا من عُرينة من بني بجيلة، وكان أسود شديد السواد، له ربح منتنة معروف في العسكر، يرافقنا على ذلك وينازلنا وننازله.

وحدثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريان بن صبرة الحنفي. قال: شهدنا النهروان مع علي، فلما وجد المُخْدَج سجد سجدة طويلة شكراً لله.

وحدثني سفيان الثوري عن محمد بن قيس الهمداني عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد المخدج سجد.

وحدثني يونس بن أبي إسحاق حدثني إسماعيل بن سعيد بن عسروة عن حية العرني. قال لما قتل علي أهل النهروان جعل الناس يقولون: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي دابرهم. فقال علي: كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقلّما يقاتلون أحداً إلا ألفوا أن يظهروا عليه.

قال: وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة سجوده، وكان يقال له: ذو المنقبات.

وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال: ما كان عبد الله بن وهب من بغضه لعلي يسميه إلا الجاحد.

وقال الهيثم بن عدي: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: سئل علي عن أهل النهروان: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، قيل: أفمنافقون هم؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا: فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا.

فهذا ما أورده ابن جرير [تاريخه: ٥/٧٢-٩٢] وغيره في هذا المقام.

ولنذكر الآن ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ

الحديث الأول عن علي رضي الله عنه

ورواه عنه زيد بن وهب، وسويد بن غفلة، وطارق بن زياد، وعبد الله بن شداد، وعبيد الله بن أبي رافع، وعَبِيدة بن عمرو السلماني، وكليب أبو عاصم، وأبو كثير وأبو مريم، وأبو موسى، وأبو وائل وأبو الوضيء فهذه اثنا عشر طريقا إليه سنراها بأسانيدها وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر.

الطريق الأولى:

قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل [١/٩١، ٩٢]: حدثنا أبو يوسف، أنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غَنِيّة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب قال: لما خرجت الخوارج بالنهروان قام علي في أصحابه فقال: إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على سرح الناس، وهم أقرب العدو إليكم، فإن تسيروا إلى عدوكم فإنا نخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تخرج خارجة من أمتي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ولا قراءتكم إلى قراءتهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع عليها مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما لهم على لسان نبيهم لاتكلوا على العمل فسيروا على اسم الله».

وذكر الحديث بطوله، هكذا رواه عبد الله بن أحمد إلى هنا.

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه [١٠٦٦]: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق بن همام حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان حدثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي: يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز

صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا على العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة: فنزلني زيد بن وهب منزلاً منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا - وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي - فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم. قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم علي بعض، فقال: أخروهم فوجدوهم مما يلي الأرض فكبر، قال: صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، فاستحلفه ثلاثا وهو يحلف له. هذا لفظ مسلم.

وقد رواه أبو داود [٤٧٦٨] عن الحسن بن علي الخلال عن عبد الرزاق بنحوه.

طريق أخرى عن علي

قال الإمام أحمد [١٣١/١]: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال قال علي: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال عبد الرحمن: لا يجاوز إيمانهم حناجرهم - يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة».

وأخرجاه في الصحيحين [خ (٣٦١١)، م(١٠٦٦)] من طرق عن الأعمش به.

قال الإمام أحمد [١٤٧/١، ١٥٧]: حدثنا أبو نعيم وحدثنا الوليد بن القاسم الهمداني حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال: سار علي إلى النهروان - قال الوليد في روايته: وخرجنا معه - فقتل الخوارج فقال: اطلبوا المخدج فإن رسول الله ﷺ قال: «سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلوقهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد في يده شعرات سود». إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس». قال الوليد في روايته: فبكينا قال: ثم إنا وجدنا المخدج قال: فخررنا سجوداً وخر علي ساجداً معنا.

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى:

رواه عبد الله بن شداد عن علي كما تقدم قريبا إيراده بطوله.

طريق أخرى عن علي رضي اله عنه:

قال مسلم [١٠٦٦] حدثني أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى قالا: حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بسر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون: «الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي» فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال: ارجعوا، فوالله ما كَذَبت ولا كُذِبتُ - مرتين أو ثلاثا - ثم وجدوه في خربة فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم. زاد يونس في روايته قال بكير: وحدثني رجل عن ابن حنين أنه قال: رأيت ذلك الأسود. تفرد به مسلم.

طريق أخرى قال أحمد [٨٣/١]: حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن محمد عن عبيدة عن علي قال: ذكر الخوارج عند علي فقال: فيهم مخدج اليد أو مثدون اليد؟ - أو قال: مودن اليد - ولولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ، قال قلت: أنت سمعته من محمد ﷺ؟ قال: إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة.

وقال أحمد [٩٥/١]: حدثنا وكيع حدثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه ﷺ». قال عبيدة: قلت لعلي: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة إي وربُّ الكعبة.

وقال أحمد [١٤٤/١]: حدثنا يزيد حدثنا هشام عن محمد عن عبيدة قال: قال علي لأهل النهروان: فيهم رجل مثدون اليد أو مخدوج اليد، ولولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قتلهم. قال عبيدة: فقلت لعلي: أنت سمعته؟ قال: إي ورب الكعبة. يحلف عليها ثلاثا.

وقال أحمد [١٥٥/١]: حدثنا ابن أبي عدي عن ابن عون عن محمد قال: قال عبيدة: لا أحدثك إلا ما سمعت منه، قال محمد: فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات، وحلف له علي قال قال: لولا أن تبطروا لأنبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ قال: قلت: أنت سمعته؟ قال: إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة، فيهم رجل مخدج اليد أو مثدون اليد أحسبه قال: أو مودن اليد.

وقد رواه مسلم [١٠٦٦] من حديث إسماعيل بن علية وحماد بن زيد كلاهما عن أيوب وعن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي عن ابن عون كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي.

وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين. وقد حلف أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من علي وحلف عليٌّ أنه سمعه من رسول الله ﷺ، وقد قال علي: لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب على رسول الله ﷺ.

طريق أخرى:

قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل [١٦٠/١]: حدثني إسماعيل أبو

معمر حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال: كنت جالساً عند علي إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن على علي وهو يكلم الناس فشُغل عنه فقال علي: إني دخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة فقال لي: «كيف أنت وقوم كذا وكذا؟» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: فقال: «قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل مخدج اليد كأن يده ثَدْيُ حبشية»، أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم؟ فذكر الحديث بطوله.

ثم رواه عبد الله بن أحمد [١٦٠/١] عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن علي. فذكر نحوه وإسناده جيد ولم يخرجوه.

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٩٩/١، ٢٠٠]: أخبرنا أبو القاسم الأزهري أنا علي بن عبد الرحمن البكائي أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جُحيفة: قال علي حين فرغنا من الحرورية إن فيهم رجلا مخدجاً ليس في عضده عظم ثم عضده كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف، فالتمسوه فلم يجدوه قال: فما رأيت عليا جزع جزعاً أشد من جزعه يومئذ، فقالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين.فقال: ويلكم ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان، قال: كذبتم إنه لفيهم، فثورنا القتلى فلم نجده فعدنا إليه فقلنا: يا أمير المؤمنين ما وجدناه، قال: ما اسم هذا المكان؟ قلنا: النهروان، قال: صدق الله ورسوله وكذبتم، إنه لفيهم فالتمسوه، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدي المرأة عليها شعرات طوال عقف.

طريق أخرى

قال الإمام أحمد [٨٨/١]: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدي حدثنا أبو كثير مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي مع علي بن أبي طالب حيث قتل أهل النهروان، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال علي: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فُوقه، وإن آية ذلك أن فيهم رجلا أسود مخدج اليد إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات فالتمسوه فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فكبر علي، فقال: الله أكبر! صدق الله ورسوله. وإنه لمتقلد قوساً له عربية فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجته ويقول: صدق الله ورسوله. وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ماكانوا يجدون.

تفرد به أحمد.

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد [١٥١/١]: حدثنا أبو خيثمة حدثنا شبابة بن سوار حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم حدثنا علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «إن قوماً يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم رجل مخدج اليد».

وقال أبو داود في سننه [٤٧٧٠]: حدثنا بشر بن خالد حدثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم قال: إن كان ذاك المخدج لمعنا يومئذ في المسجد نجالسه الليل والنهار، وكان فقيراً، ورأيته مع المساكين يشهد طعام علي مع الناس، وقد كسوته برنساً لي، قال أبو مريم: وكان المخدج يسمى نافعاً ذا الثدية، وكان في يده مثل ثدي المرأة، على رأسه حلمة مثل الثدي عليه شعرات مثل سبالة السنور.

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل [٤٣٣/٦]: أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن شوذب المقرئ الواسطي بها حدثنا شعيب بن أيوب حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين عن سفيان - هو الثوري - عن محمد بن قيس عن أبي موسى رجل من قومه قال: كنت مع علي فجعل يقول: التمسوا المخدج. فالتمسوه فلم يجدوه، قال: فأخذ يعرق ويقول: والله ما كذبت ولا كذبت. فوجدوه في نهر أو دالية فسجد.

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار: حدثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر حدثنا عبد الصمد حدثنا سويد بن عبيد العجلي حدثنا أبو مؤمن. قال: شهدت علي بن أبي طالب يوم قتل الحرورية وأنا مع مولاي فقال: انظروا فإن فيهم رجلا إحدى يديه مثل ثدي المرأة، وأخبرني النبي ﷺ أني صاحبه، فقلبوا القتلى فلم يجدوه، وقالوا: سبعة نفر تحت النخلة لم نقلبهم بعد، قال: ويلكم انظروا، قال أبو مؤمن: فرأيت في رجليه حبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه فخر علي ساجداً وقال: أبشروا قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. ثم قال البزار: لا نعلم روى أبو مؤمن عن علي غير هذا الحديث.

طريق أخرى

قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي سمعت أبا سنان عن حبيب بن أبي ثابت قال: قلت لشقيق بن سلمة - يعني أبا وائل - حدثني عن ذي الثدية، قال: لما قاتلناهم قال علي: اطلبوا رجلا علامته كذا وكذا، فطلبناه فلم نجده، فبكى عليٌّ وقال: اطلبوه، فوالله ما كذبت ولا كذبت، قال: فطلبناه فلم نجده فبكى وقال: اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت، قال: فطلبناه فلم نجده قال: وركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بَرْديٍّ فلما رآه سجد. ثم قال البزار: لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث.

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد [١٣٩/١]: حدثني عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا حماد بن زيد حدثنا جميل بن مرة عن أبي الوضيء قال: شهدت علياً حيث قتل أهل النهروان قال: التمسوا المخدج: فطلبوه في القتلى فقالوا: ليس نجده فقال: ارجعوا فالتمسوه فوالله ماكذبت ولا كذبت، فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً، كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجيء به، قال أبو الوضيء: فكأني أنظر إليه حبشي عليه ثدي قد طبق إحدى يديه مثل ثدي المرأة عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع.

وقد رواه أبو داود [٤٧٦٩] عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد حدثنا جميل بن مرة حدثنا أبو الوضيء - واسمه عباد بن نُسيب - ولكنه اختصره

وقال عبد الله بن أحمد [١٤٠/١، ١٤١] أيضاً: حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضيء عباداً حدثه أنه قال: كنا عائدين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شذ منا ناس كثير، فذكرنا ذلك لعلي فقال: لا يهولنكم أمرهم فإنهم سيرجعون. فذكر الحديث بطوله قال: فحمد الله علي بن أبي طالب وقال: إن خليلي أخبرني أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع، فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه فقلنا: إنا لم نجده، فقال: فالتمسوه، فوالله ما كذبت ولا كَذِبتُ - ثلاثاً، فقلنا: لم نجده، فجاء عليٌ بنفسه فجعل يقول: اقلبوا ذا، اقلبوا ذا، حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال: هو هذا؟ فقال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هذا مالك، هذا مالك، فقال علي: ابن من هو؟

وقال عبد الله بن أحمد أيضاً [١٤١/١]: حدثني حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضيء عباداً حدثه أنه قال: كنا عامدين إلى الكوفة مع علي فذكر حديث المخدج قال علي: «فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثا، ثم قال علي: أما إن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير، والثالث فيه ضعف» وهذا السياق فيه غرابة شديدة جداً. وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الإنس أو شياطين الجن، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم.

والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله ﷺ أنه أخبره عن صفة الخوارج وصفة ذي الثدية الذي هو علامة عليهم.

وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير علي كما ستراها بأسانيدها وألفاظها وبالله المستعان.

وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، ورافع بن عمرو الغفاري، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، وصاحب القصة. ولنذكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج.

الحديث الثاني عن ابن مسعود ﷺ

قال الإمام أحمد [٤٠٤/١]: حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زرّ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام، أحداث - أو قال: حدثاء - الأسنان يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن أدركهم فليقتلهم فإن في قتلهم أجراً عظيما عند الله لمن قتلهم».

وقد رواه الترمذي [٢١٨٨] عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه [١٦٨] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عياش به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين فحديثه في ذلك من أقوى الأسانيد.

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الإمام أحمد [١٨٩/٣]: حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمي حدثنا أنس قال: ذكر لي أن نبي الله ﷺ قال - ولم أسمعه منه -: «إن فيكم قوماً يتعبدون ويدأبون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»

طريق أخرى

قال الإمام أحمد [٢٢٤/٣]: حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي حدثنا قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد - قال أحمد: وقد حدثنا أبو المغيرة فقال: عن أنس عن أبي سعيد، ثم رجع أن النبي ﷺ قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، وطوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم»، قالوا: يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: «التحليق».

وقد رواه أبو داود في سننه [٤٧٦٥] عن نصر بن عاصم الأنطاكي عن الوليد بن مسلم ومبشّر بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي عن قتادة عن سعيد وأنس به.

وأخرجه أبو داود [٤٧٦٦] وابن ماجه [١٧٥] من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وحده.

وقد روى البزار من طريق أبي سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثا في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله ﷺ

قال الإمام أحمد [٣٥٣/٣]: حدثنا حسن بن موسى حدثنا أبو شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: كنت مع رسول الله ﷺ عام الجعرانة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟! لقد خبت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق، فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، أو تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»

وقال أحمد [٣٥٤/٣]: حدثنا علي بن عياش حدثنا إسماعيل بن عياش حدثني يحيى بن سعيد أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابراً يقول: بصر عيني وسمع أذني رسول الله ﷺ بالجعرانة وفي ثوب بلال فضة ورسول

اللّه ﷺ يقبضها للناس يعطيهم، فقال رجل: اعدل فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟» فقال عمر بن الخطاب: دعني أقتل هذا المنافق الخبيث، فقال رسول اللّه ﷺ: «معاذ اللّه أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

ثم رواه أحمد [٣/٣٥٤، ٣٥٥] عن أبي المغيرة عن معان بن رفاعة حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد اللّه قال: لما قسم رسول اللّه ﷺ غنائم هوازن بالجعرانة قام رجل من بني تميم فقال: اعدل يا محمد فقال: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل» قال: فقال عمر: يا رسول اللّه ألا أقوم فأقتل هذا المنافق؟ قال: «معاذ اللّه أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه»، ثم قال رسول اللّه ﷺ: إن هذا وأصحاباً له يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قال مُعَانٌ: فقال لي أبو الزبير: فعرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني، إلا أنه قال النَّضِيُّ وقلت القدح قال: ألست رجلا عربياً؟!.

وقد رواه مسلم [١٠٦٣] عن محمد بن رمح عن الليث وعن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب الثقفي.

وأخرجه النسائي [كبرى (٨٠٨٧، ٨٠٨٨)] من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه.

حديث رافع بن عمرو الغفاري سيأتي مع حديث أبي ذر رضي اللّه عنهما.

الحديث الخامس عن سعد بن مالك بن أُهيب الزهري وهو سعد بن أبي وقاص ﷺ

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان - هو ابن عيينة - حدثني العلاء بن أبي عياش أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال: ذكر رسول اللّه ﷺ ذا الثدية فقال: «شيطان الردهة كراعي الخيل يحتدره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة» قال سفيان: فأخبرني عمار الدُّهني أنه جاء به رجل يقال له: الأشهب أو ابن الأشهب.

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد [١/١٧٩] عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه «شيطان الردهة يحتدره» يعني: رجلاً من بجيلة.

تفرد به أحمد وحكى البخاري [التاريخ الكبير: ٢/٩٤] عن علي بن المديني قال: لم أسمع بذكر بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث.

وروى يعقوب بن سفيان عن عبيد اللّه بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: «قتل علي شيطان الردهة»

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: يريد واللّه أعلم قتله أصحاب علي بأمره.

وقال الهيثم بن عدي: حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل قال: بلغ سعد بن أبي وقاص أن علياً بن أبي طالب قتل الخوارج فقال: قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة.

الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ﷺ

وله طرق عنه الأولى منها

قال الإمام أحمد [٣/١٥]: حدثنا بكر بن عيسى حدثنا جامع بن مطر الحبطي حدثنا أبو رؤية شداد بن عمران القيسي عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي، فقال له رسول اللّه ﷺ: «اذهب إليه فاقتله» قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله. فرجع إلى رسول اللّه ﷺ فقال النبي ﷺ لعمر: «اذهب إليه فاقتله» قال: فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال: يا رسول اللّه إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله. قال: «يا علي اذهب فاقتله» فذهب علي فلم يره فرجع، فقال: يا رسول اللّه إني لم أره فقال رسول اللّه ﷺ «هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية».

تفرد به أحمد.

وقد روى البزار في مسنده [كشف الأستار (١٨٥١)] من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك. وأبو يعلى [مسنده: (٤١٢٧)] عن أبي خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار عن يزيد الرقاشي عن أنس نحواً من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات أخر.

الطريق الثاني

قال الإمام أحمد [٣/٨٢]: حدثنا أبو أحمد، ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث ذكره «قوم يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق» أخرجاه في الصحيحين كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد.

الطريق الثالث

قال الإمام أحمد [٣/٣٣، ٤٨]: حدثنا وكيع حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا عاصم بن شميخ عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا حلف فاجتهد في اليمين قال: «والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمتي تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال: فيهم رجل ذو يدية أو ثدية محلقي رؤوسهم» قال أبو سعيد: فحدثني عشرون أو بضع وعشرون من أصحاب النبي ﷺ أن علياً ولي قتلهم قال: فرأيت أبا سعيد بعدما كبر ويديه ترتعش ويقول: قتالهم أحل عندي من قتال عدتهم من الترك. وقد رواه أبو داود [٣٢٦٤] عن أحمد بن حنبل به.

الطريق الرابع

قال الإمام أحمد [٣/٦٨، ٧٢، ٧٣]: حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نُعم عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي وهو باليمن إلى رسول اللّه ﷺ بذهبية في تربتها فقسمها رسول اللّه ﷺ بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وبين زيد الخير الطائي، ثم

أحد بني نبهان. قال: فغضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال: «إنما أتألفهم». قال: فأقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال: يامحمد اتق اللّه فقال: «من يطيع اللّه إذا عصيته؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني»، قال: فسأل الرجل من القوم قتله النبيّ ﷺ - أراه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال: «إن من ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

رواه البخاري [٧٤٣٢] من حديث عبد الرازق به.

ثم رواه أحمد [٤/٣، ٥] عن محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل، ولا ينافي سؤال عمر بن الخطاب.

وهو في الصحيحين [خ: (٤٣٥١)، م(١٠٦٤)] من حديث عمارة بن القعقاع بن شُبرمة: وقال فيه «إنه سيخرج من ضئضىء هذا قوم يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم».

وليس المراد به أنه يخرج من صلبه ونسله لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما المراد: «من ضئضئ هذا» أي من شكله وعلى صفته فعلا وقولا فاللّه أعلم. وهذا الشكل وهذه الصفة كثيرة في الناس جداً في كل زمان وكل مكان في قراء القرآن وغيرهم لمن تأملها، واللّه أعلم. وهذا الرجل المذكور هو ذو الخويصرة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً فاللّه أعلم.

الطريق الخامس

قال الإمام أحمد [٦٤/٣]: حدثنا عفان حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه» قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق والتسبيد»

ورواه البخاري [٧٥٦٢] عن أبي النعمان محمد بن الفضل عن مهدي بن ميمون به.

الطريق السادس

قال الإمام أحمد [٥٢/٣]: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سويد بن نجيح عن يزيد الفقير قال: قلت لأبي سعيد: إن منا رجالا هم أقرؤنا للقرآن، وأكثرنا صلاة وأوصلنا للرحم، وأكثرنا صوما، خرجوا علينا بأسيافهم. فقال أبو سعيد: سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

تفرد به أحمد ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيح هذا مستور.

الطريق السابع

قال الإمام أحمد [٥٦/٣]: حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال: بينا رسول اللّه ﷺ يقسم قسما إذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول اللّه. فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول اللّه أتأذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود في إحدى يديه - أو قال: إحدى ثَدْيَيْه - مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فترة من الناس، فنزلت فيه ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية [التوبة: ٥٨] الآية قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول اللّه ﷺ وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول اللّه ﷺ.

ورواه البخاري [٦٩٣٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر، به.

ورواه البخاري أيضا [٣٦١٠] من حديث شعبة، ومسلم [١٠٦٤] من حديث يونس بن يزيد عن الزهري به،لكن في رواية مسلم عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة، والضحاك الهمداني عن أبي سعيد به.

ثم رواه أحمد [٦٥/٣] عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك المشرقي عن أبي سعيد فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق، وفيه أن عمر هو الذي استأذن رسول اللّه ﷺ في قتله، وفيه «يخرجون على فرقتين من الناس يقتلهم أولى الطائفتين باللّه» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول اللّه ﷺ، وأني شهدت عليا حين قتلهم، فالتمس في القتلى فوجد على النعت الذي نعته رسول اللّه ﷺ.

ورواه البخاري [٦١٦٣] عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي كذلك.

وقال أحمد [٦٠/٣]: قرأت على عبد الرحمن عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد أنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في القدح فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في الريش فلا يرى شيئاً ويتمارى في الفوق» قال عبد الرحمن: حدثنا به مالك - يعني هذا الحديث -.

ورواه البخاري عن عبد اللّه بن يوسف عن مالك به [٥٠٥٨].

ورواه البخاري [٦٩٣١] ومسلم [١٠٦٤] عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة وعطاء بن يسار عن أبي سعيد به

وقال الإمام أحمد [٣٣/٣، ٣٤]: حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى أبي سعيد فقال: هل سمعت رسول اللّه ﷺ يذكر في الحرورية شيئاً؟ فقال: سمعته يذكر قوماً يتعمقون في الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم، وصومه عند صومهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أخذ سهمه فنظر في نصله فلم ير شيئاً ثم فنظر في رصافة فلم ير شيئاً، ثم فنظر في القذذ فتمارى هل يرى شيئاً أم لا».

ورواه ابن ماجه [١٦٩] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به

الطريق الثامن

قال الإمام أحمد [٥/٣]: حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول اللّه ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق، هم شر الخلق، أو من شر الخلق،

تقتلهم أدنى الطائفتين بالحق، قال: فضرب النبي ﷺ لهم مثلا - أو قال قولا - الرجل يرمي الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضيّ فلا يرى بصيرة، وينظر في القُذَذ فلا يرى بصيرة» فقال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق.

وقد رواه مسلم[١٠٦٥] عن محمد بن المثنى عن محمد بن أبي عدي عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمي - عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قُطَعة عن أبي سعيد الخدري بنحوه.

الحديث الثامن عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: جاء رجل إلى قوم فقال: لمن هذه الخباء؟ قالوا: لسلمان الفارسي، قال: أفلا نتطلقون معي فيحدثنا ونسمع منه؟ فانطلق معه بعض القوم فقال: يا أبا عبد الله لو أدنيت خِباءك إلينا وكنت منا قريباً فحدثتنا وسمعنا منك؟ فقال: ومن أنت؟ قال: فلان بن فلان. قال سلمان: قد بلغني عنك معروف. بلغني أنك تَخِفُّ في سبيل الله، وتقاتل العدو، وتخدم أصحاب رسول الله ﷺ، فإن أخطأتك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ. قالوا: فوجد ذلك الرجل قتيلا في أصحاب النهروان.

الحديث التاسع عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الإمام أحمد [٤٨٦/٣]: حدثنا أبو النضر حدثنا حزام بن إسماعيل العامري عن أبي إسحاق الشيباني عن يُسَير بن عمرو قال: دخلت على سهل بن حنيف فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ قال في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت من النبي ﷺ لا أزيدك عليه شيئاً، سمعت رسول الله ﷺ يذكر قوما يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال: قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه.

وقد أخرجاه في الصحيحين [خ: (٦٩٣٤)، م(١٠٦٨)] من حديث عبد الواحد بن زياد ومسلم [(١٠٦٨)(١٥٩، ١٦٠)] من حديث علي بن مسهر والعوام بن حوشب والنسائي [كبرى (٨٠٩٠)] من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبي إسحاق الشيباني به.

وقد رواه مسلم [(١٠٦٨)(١٥٩)] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن يُسَير بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف: سمعتَ رسول الله ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال: سمعته - وأشار بيده نحو المشرق - «قوم يقرؤن القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وحدثناه أبو كامل حدثنا عبد الواحد حدثنا سليمان الشيباني بهذا الإسناد [(١٠٦٨) (...)] وقال: «يخرج منه أقوام».

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر: حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن أُسير بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «يَنيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم» [(١٠٦٨)(١٦٠)]

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يقرأ القرآن أقوام من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

ورواه ابن ماجه [١٧١] عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص بإسناده مثله.

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الإمام أحمد [٨٤/٢]: حدثنا يزيد حدثنا أبو جناب يحيى بن أبي حَيّة عن شهر بن حوشب قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: «يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الإسلام فإذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم، فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قطعه الله». فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع.

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» وأشار بيده نحو المشرق [خ: (٧٠٩٢، ٧٠٩٣)، م(٢٩٠٥)(٤٥)]

الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو

قال الإمام أحمد [١٩٨/٢، ١٩٩]: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي، فجئته فجاء رجل فانتبذ عن الناس عليه خميصة فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضهم، تقذرهم نفس الرحمن، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف» قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج ناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قُطع، كلما خرج منهم قوم قُطع - حتى عدها زيادة على عشر مرات - كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم».

وقد روى أبو داود أوله في كتاب الجهاد من سننه [٢٤٨٢] عن القواريري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة، به. وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

قال مسلم بن الحجاج [(١٠٦٧)(١٥٨)]: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا سليمان بن المغيرة ثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة» قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري أخا الحكم الغفاري ما حديث سمعته من أبي ذر كذا كذا؟ فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

لم يروه البخاري.

الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

قال الحافظ البيهقي [دلائل: ٦/ ٤٣٤]: أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا السري بن يحيى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا علي بن عياش عن حبيب عن سلمة. قال: قال لي علي: لقد علمت عائشة أن جيش المروة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ قال ابن عياش: جيش المروة قتلة عثمان رضي الله عنه.

وقال الهيثم بن عدي: حدثني إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل عن عائشة قال: بلغنا قَتْل عليّ الخوارج فقالت: قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة - تعني المخدج.

وقال البزار: حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح حدثنا سهل بن عامر البجلي حدثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: «شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي».

قال: وحدثناه إبراهيم بن سعيد حدثنا حسين بن محمد حدثنا سليمان بن قرم حدثنا عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ فذكر نحوه قال: فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان. ثم قال البزار: لا نعلم روى عطاء عن أبي الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم.

قلت: وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الإسناد الأول يشهد له كما أن هذا يشهد لذاك فهما متعاضدان، وهو غريب من حديث عائشة، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شداد عن علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولا سيما خبر ذي الثدية كما تقدم، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة، كما ذكره غير واحد من الأئمة في دلائل النبوة والله تعالى أعلم.

وقد سئلت: سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الثدية فتيقنته من طرق متعددة.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل [٦/٤٣٤، ٤٣٥]: أنا أبو عبد الله الحافظ أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سماعه حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة الكاتب حدثني عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح، قال: هذا كتاب جدّي محمد بن أبان فقرأت فيه: حدثني الحسن بن الحر، حدثني الحكم بن عتيبة وعبد الله بن أبي السفر عن عامر الشعبي عن مسروق قال: قالت عائشة: عندك علم من ذي الثدية الذي أصابه علي في الحرورية قال: قلت: لا قالت: فاكتب لي بشهادة من شهدهم، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سُبع ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها، قالت: أكل هؤلاء عاينوه؟ قلت: لقد سألتهم فأخبروني بأن كلهم قد عاينه، فقالت: لعن الله فلانا فإنه كتب إلي أنه أصابهم بنيل مصر. ثم أرخت عينيها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت: رحم الله عليا لقد كان على الحق، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها.

حديث آخر عن رجلين مُبهمَيْن من الصحابة

قال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج: حدثني سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما: ما أقدمكما العراق؟ قالا: رجونا أن ندرك هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ، فوجدنا علي بن أبي طالب قد سبقنا إليهم - يعنيان أهل النهروان -.

حديث آخر في مدح علي رضي الله عنه على قتال الخوارج

قال الإمام أحمد [٣/٨٢]: حدثنا حسين بن محمد حدثنا فطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الربيدي عن أبيه قال: سمعت أبا سعيد يقول: كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بيوت بعض نسائه قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرفنا لها وفينا أبو بكر، وعمر فقال: «لا ولكنه خاصف النعل»، قال: فجئنا نبشره قال: فكأنه قد سمعه.

ورواه أحمد [٣/٣٣ و٦/٢٤٤] عن وكيع وأبي أسامة عن فطر بن خليفة.

فأما الحديث الذي قال الحافظ أبو يعلى [مسنده (٥١٩)]: حدثنا إسماعيل بن موسى حدثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة قال: سمعت عليا على منبركم هذا يقول: عهد إلي النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن إسماعيل بن عبّاد البصري نا عباد بن يعقوب عن الربيع بن سهل الفزاري به، فإنه حديث غريب ومنكر، على أنه قد روي من طرق عن علي وعن غيره ولا تخلو واحدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعني أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام والقاسط هو الجائر الظالم، وبالمارقين الخوارج، لأنهم مرقوا من الدين وأما الناكثون فهم أصحاب الجمل الذين عقدوا البيعة له ثم نكثوا، والله أعلم.

وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو أحمد بن عدي في كامله عن أحمد بن جعفر البغدادي عن سليمان بن سيف عن عبيد الله بن موسى عن فطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن علي قال: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٨/٣٤٠، ٣٤١]: أخبرني الأزهري حدثنا محمد بن المظفر حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال: وجدت في كتاب جدي محمد بن ثابت حدثنا أشعث بن الحسن السلمي عن جعفر الأحمر عن يونس بن الأرقم عن أبان عن خليد العصري قال: سمعت عليا أمير المؤمنين يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجنديسابوري أنا هارون بن إسحاق حدثنا أبو غسان عن جعفر - أحسبه

الأحمر ـ عن عبد الجبار الهمداني عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي. قال: أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين».

وقال الحاكم أبو عبد الله: أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي بقنطرة بردان حدثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي حدثني أبي حدثني عمي عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثني جدي سعد بن جنادة عن علي رضي الله عنه قال: أمرت بقتال ثلاثة، القاسطين، والناكثين، والمارقين. فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فذكرهم، وأما المارقون فأهل النهروان ـ يعني الحرورية ـ.

وقال الحافظ ابن عساكر: أنا أبو القسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين حدثنا محمد بن أحمد الصوفي حدثنا محمد بن عمرو الباهلي حدثنا كثير بن يحيى حدثنا أبو عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحاكم: حدثنا الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنا الحسن بن علي حدثنا زكريا بن يحيى الحرار المقرئ حدثنا إسماعيل بن عباد المقرئ حدثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة فجاء علي فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي»

حديث أبي سعيد في ذلك

قال الحاكم: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني حدثنا الحسين بن الحكم الحبري حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: «مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر»

حديث أبي أيوب في ذلك

قال الحاكم: أنا أبو الحسن علي بن حمشاذ العدل حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا محمد بن كثير عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن مخنف بن سُليم. قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: «أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

وقال الحاكم: وحدثنا أبوبكر محمد بن أحمد بن بالويه حدثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمري حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل حدثني أبو زيد الأحول عن عتاب بن ثعلبة حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب».

وقال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٨٦/١٣، ١٨٧]: حدثنا الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا محمد بن جعفر المطيري حدثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من رأى حدثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد حدثنا شريك عن سليمان بن مهران الأعمش قال: حدثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب! إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلا من الله وإكراماً لك حين أناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل، طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ـ يعني معاوية وعمراً ـ وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهرونات، والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي فإنه لن يدليك في ردي ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به عليا على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار» فقلنا: يا هذا! حسبك رحمك الله! حسبك رحمك الله».

هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من جهة المعلى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث، والله أعلم.

قلت: هذا الحديث إن صح بعضه ففي بعضه زيادات موضوعة من وضع الرافضة، والمعلى بن عبد الرحمن لا يلتفت إليه.

خطبةُ علي بعد النهروان

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال: وذكر عيسى بن داب قال: لما انصرف علي رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ.

أما بعد: فإن الله قد أعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا: ياأمير المؤمنين نفد نَبْلُنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنتنا، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من فارقنا وهلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا ـ وكان الذي تكلم بهذا الأشعث بن قيس الكندي فبايعهم وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم، فأقاموا معه أياما مستمسكين برأيه وقوله، ثم تسللوا حتى لم يبق معه منهم أحد إلا رؤوس أصحابه، فقام علي فيهم خطيباً فقال: الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح وناشر الموتى وباعث من في القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائضه، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة في المال، منساة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفير

للخطيئة وتطفئ غضب الرب وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد الله المتقين فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدي، واستنّوا بسنته فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علم كالجاهل الحائر الذي لا يستقيم من جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه وضرره على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما حائر مضلل مثبور، لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا، ولا تذهلوا في الحق فتخسروا، الا وإن من الحزم أن تتقوا، ومن الثقة أن لا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخف ويندم، سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية، وخير ما دام في القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرُّها وكل محدثة بدعة وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة، المغبون من غبن دينه، والمفتون من خسر نفسه، وإن الرياء من الشرك، وإن الإخلاص من العلم والإيمان، ومجالس اللهو تنسي القرآن، ويحضرها الشيطان، وتدعو إلى كل غي، ومحادثة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليهن الأبصار، وهي مصائد الشيطان، فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب للإيمان الا إن الصادق على شرف منجاة وكرامة، وإن الكاذب على شرف ردىً وهلكة، الا وقولوا الحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يغضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى البر والتَّقْوى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَانِ واتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] وأكرموا الضيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنائز، وكونوا عباد الله إخوانا.

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة والغاية الجنة أو النار، الا وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل حثيث عجل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله، وضره أمله، الا فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزيادة، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكيسُ من مكتسب يكتسب شيئاً اليوم يدخره ليوم تنفع فيه الذخائر، وتبلى فيه السرائر، يُجمع فيه المؤمن والكافر ألا، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فغاربه عنه أعوز، وغائبه عنه أعجز: ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد فاعملوا على المراد، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى، فطول الأمل يُنسي الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر. وقد روي لها شواهد من وجوه أخر متصلة ولله الحمد والمنة.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٥/٩٠، ٩١]: أن عليا رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب معه إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وتهددهم وتلا عليهم في الجهاد آيات من من القرآن من سور متفرقة، وحثهم على المسير إلى عدوهم وتأبّوا على ذلك وخالفوه ولم يوافقوه، واستمروا في بلادهم، وانصرفوا عنه ها هنا وها هنا، قيل: إن ذلك بسبب قتله الخوارج لأنهم كانوا قراباتهم وإخوانهم، ويرونهم أفضلهم وأخيرهم لعبادتهم وقراءتهم فتثاقلوا عنه وهجروه فدخل عليّ الكوفة في حالة الله بها أعلم.

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي ﷺ بعد قتله أهل النهروان رجل يقال له: الحارث بن راشد الناجي، قدم مع أهل البصرة، فقال لعلي: إنك قد قاتلت أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك قصة قضية التحكيم وتزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهودك ومواثيقك، وأنك لست بناقضها، وهذان الحكمان قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا في ولاية معاوية فولاه عمرو وامتنع أبو موسى من ولايته، فأنت مخلوع باتفاقهما، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك، واتبع الحارث على مقالته هذه بشر كثير من قومه - بني ناجية وغيرهم وتحيزوا ناحية، فبعث إليهم علي معقل بن قيس الرياحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلا ذريعاً وسبى من بني ناجية خمسمائة أهل بيت فقدم بهم على علي فتلقاه رجل يقال له: مصقلة بن هبيرة أبو المغلس - وكان عاملاً لعلي على بعض الأقاليم - فتضرّع السبي إليه وشكوا ما هم فيه، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمائة ألف وأعتقهم، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة، فكتب معقل إلى ابن عباس في ذلك فقال له مصقلة: إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب من ابن عباس إلى علي فطالبه علي بالثمن فدفع إليه من الثمن مائتي ألف ثم هرب فلحق بمعاوية بن أبي سفيان بالشام، فأمضى عليّ عتقهم وقال: ما بقي من المال في ذمة مصقلة؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت.

وقد روى الهيثم عن سفيان الثوري وإسرائيل عن عمار الدُّهني عن أبي الطفيل أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم معقل بن قيس فسباهم فاشتراهم مصقلة من علي بثلاثمائة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية. قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحيٍّ من العرب ارتدوا عن الإسلام بعد الردة التي كانت في أيام الصديق.

وقال الهيثم: حدثني عبيد الله بن تميم بن طرفة الطائي حدثني أبي أن عدي بن حاتم قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يخطب: قتلت أهل النهروان على إنكار الحكومة، وقتلت الخرِّيت بن راشد على مسألته إياك الحكومة، والله ما بينهما موضع قدم. فقال له علي: أسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبلي طيئ بالأمس. فقال له عدي: وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة. قال الهيثم: ثم خرج رجل على عليٍّ من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني، فقتل هو وأصحابه، قال: ثم خرج عليه الأشهب بن بشر البجلي ثم أخذ عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه. قال: ثم خرج على علي سعيد بن بن قُفْل التيمي، تيم ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة دروزيجان فوق المدائن. قال الهيثم: أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته.

فصل

ذكر ابن جرير [تاريخه: ٩١/٥] عن أبي مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن- أن قتال علي للخوارج يوم النهروان، كان في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير: وأكثر أهل السير على أن ذلك كان في سنة ثمان وثلاثين. وصححه ابن جرير.

قلت: وهو الأشبه كما سنبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير [تاريخه: ٩٢/٥، ٩٣]: وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين - عبيد الله بن عباس نائب علي على اليمن ومخاليفها. وكان نائب مكة قثم بن العباس، وعلى المدينة تمام بن عباس، وقيل: سهل بن حنيف، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى مصر محمد بن أبي بكر الصديق، وأمير المؤمنين علي مقيم بالكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام. قلت: ومن نيته أن يأخذ بلاد مصر من محمد بن أبي بكر الصديق.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة: كان قد أصابه سباء في الجاهلية فاشترته أم أنمار الخزاعية التي كانت تختن النساء، وهي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد حالف خبّاب بني زهرة.

أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم، وكان ممن يؤذى في الله فيصبر ويحتسب، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد.

قال الشعبي: دخل خبّاب يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال. فقال: يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من يمنعه، وإني كنت لا ناصر لي والله لقد سلقوني يوماً في نار أججوها ووضع رجل منهم رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص رضي الله عنه.

ولما مرض دخل عليه ناس من الصحابة يعودونه فقالوا: أبشر غداً تلقى الأحبة محمداً وحزبه فقال: والله إخواني مضوا ولم يأكلوا من أجرهم شيئاً، وإنا قد أبقت لنا ثمرتها فنحن نهدبها، فهذا الذي يهمني.

قالوا: وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة.

■ خزيمة بن ثابت ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري ذو الشهادتين وكانت راية بني خطمة معه يوم الفتح، وشهد صفين مع علي، وقتل يومئذ رضي الله عنه.

■ سفينة مولى رسول الله ﷺ قد قدمنا ترجمته في الموالي المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه.

■ عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله ﷺ. وقد تقدم مع كتّاب الوحي

■ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلي فأخذها بعده الأشتر.

■ عبد الله بن خباب بن الأرت. ولد في زمن النبي ﷺ وكان موصوفاً بالخير، قتله الخوارج كما قدمنا بالنهروان في هذه السنة، فلما جاء علي قال لهم: أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا: كلنا قتله فقتلهم.

■ عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أحد كتاب الوحي أيضاً، أسلم قديماً وكتب الوحي ثم ارتد عن الإسلام ثم عاد إلى الاسلام عام الفتح واستأمن له عثمان - وكان أخاه لأمه - وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان نيابة مصر بعد عمرو بن العاص، فغزا إفريقية وبلاد النوبة، وفتح الأندلس وغزا ذات الصواري مع الروم في البحر فقتل منهم ما صبغ وجه الماء من الدماء، ثم لما حصر عثمان تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فمات في هذه السنة وهو معتزل عليا ومعاوية، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضي الله عنه.

■ عمار بن ياسر ابو اليقظان العبسي من عبس اليمن، وهو حليف بني مخزوم، أسلم قديماً وكان ممن يعذب في الله هو وأبوه وأمه سمية، ويقال: إنه أول من اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه، وقد شهد بدراً وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وكان مع علي، وأخبر رسول الله ﷺ أنه تقتله الفئة الباغية».

وروى الترمذي [٣٧٩٧] من حديث الحسن عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة، علي وعمار وسلمان»

وروى الثوري عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي أن عماراً استأذن على رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً بالطيب المطيب».

وقال إبراهيم بن الحسين: حدثنا يحيى حدثني نصر حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله ﷺ قال: «لقد ملئ عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه».

وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فإنه حشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً».

وحدثنا يحيى حدثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال: أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثني قال: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «ياخالد! لا تؤذ عماراً فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله، ومن يعاد عماراً يعاده الله» قال: فعرضت له بعد ذلك فسللت ما في نفسه.

وله أحاديث كثيرة في فضائله رضي الله عنه.

قتل بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتز رأسه، ثم اختصما إلى معاوية

أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص: ائتدا، فواللّه إنكما لتختصمان في النار. فسمعها منه معاوية فلامه على تسميعه إياهما ذلك، فقال له عمرو: واللّه إنك لتعلم ذلك، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

قال الواقدي: حدثني الحسن بن الحسين بن عمارة عن أبي إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يغسله وصلى معه على هاشم بن عتبة، فكان عمار مما يلي علياً، وهاشم إلى نحو القبلة. قالوا: وقبر هنالك، وكان آدم اللون، طويلا بعيداً ما بين المنكبين: أشهل العينين، رجلا لا يغير شيبه رضي اللّه عنه.

■ **الربيع بن معوّذ بن عفراء:** أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول اللّه ﷺ إلى الغزوات فتداوي الجرحى، وتسقي الماء للكلمى وغيرهم، وروت أحاديث كثيرة.

وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلق كثير وجم غفير.

فقيل: قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً وقيل: قُتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً. وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً - من مائة وعشرين ألفاً - وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفا. وبالجملة فقد كان في قتلى الفريقين أعيان ومشاهير يطول استقصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية واللّه تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستناب معاوية عمراً عليها، وذلك كما سنبينه، وقد كان علي رضي اللّه عنه استناب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانتزعها من يد محمد بن أبي حذيفة وقد كان بن أبي سرح نائب عثمان عليها، وكان عثمان قد عزل عنها عمرو بن العاص وكان عمرو هو الذي افتتحها، كما تقدم ذلك. ثم إن عليا عزل قيس بن سعد وولى عليها محمد بن أبي بكر وكان قيس كفؤاً لمعاوية وعمرو، فلما ولي محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى علي بالعراق فكان معه، وكان معاوية يقول: واللّه لقيس بن سعد عند علي أبغض إلي من مائة ألف مقاتل تكون معه بدله.

فلما فرغ علي من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاباً ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم علي على رد مصر إلى قيس بن سعد إليها، وكان عليٌ قد جعله على شرطته وقيل: إنه استمر بقيس عنده، وولّى الأشتر النخعي مصر، وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين، فكتب إليه فاستقدمه عليه وولاه مصر.

فلما بلغ معاوية تولية علي للأشتر النخعي مصر بدل محمد بن أبي بكر، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لجرأته وشجاعته، سار الأشتر إليها فلما بلغ القلزم استقبله الجايسار وهو مقدم عليٌ على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شراباً من عسل فمات منه، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا: إن للّه جنوداً من عسل.

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه [٥/٩٥] أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر فيقتله ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك.

وفي هذا نظر، وبتقدير صحته فإن معاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضي اللّه عنه.

والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعي.

ولما بلغ ذلك علياً تأسف على شجاعته وغنائه، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر، ولكنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف علي من صفين، وحين كان من أمر التحكيم ما كان، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام معه. وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بدومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوي أمرهم جداً، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه عمرو بن العاص وشرحبيل بن السمط وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والضحاك بن قيس، وبشر بن أبي أرطاة، وأبا الأعور السلمي، وحمزة بن سنان الهمداني وغيرهم، فاستشارهم في المسير إلى ديار مصر فاسجابوا له وقالوا: سر حيث شئت فنحن معك. وعين معاوية نيابتها لعمرو بن العاص إذا فتحها ففرح بذلك عمرو، ثم قال لمعاوية: أرى أن تبعث إليهم رجلاً معه جندٌ مأمون عارف بالحرب، فإن بها جماعة ممن يوالي عثمان فيساعدونه على حرب من خالفهم، فقال معاوية: لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتابا نعلمهم بقدومنا عليهم، ونبعث إلى مخالفينا كتابا ندعوهم فيه إلى الصلح. وقال معاوية لمعمر بن العاص: إنك ياعمرو رجل بورك لك في العجلة وإني امرؤ بورك لي في التؤدة، فقال عمرو: افعل ما أراك اللّه، وما أرى أمرك وأمرهم إلا سيصير إلى الحرب العوان.

فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وإلى معاوية بن حديج السكوني - وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر وكانا ممن لم يبايع عليا ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف - يخبرهم بقدوم الجيش إليهم سريعاً، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع. فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن حديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيش.

فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف، وخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى اللّه والرفق والمهل والتؤدة، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمن أدبر، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك.

فسار عمرو بن العاص، فلما دخل مصر، اجتمعت عليه العثمانية فقادهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: أما بعد فتنحَّ عَنّي بدمك، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان، فاخرج منها فإني لك لمن الناصحين والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه: أما بعد فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم فاعله من النقمة في الدنيا والتبعة الموبقة في الآخرة وإنا لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه، ثم أنت تظن أني عنك نائم أو لفعلك ناس ذلك لك، حتى تأتي فتتأمرُ على بلاد أنت بها جارى وجل أهلها أنصارى وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى اللّه بجهادك ولن يسلمك اللّه من القصاص أينما كنت والسلام.

قال: فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدوم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية، فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلي بأموال ورجال والسلام.

فكتب إليه عليٌ يأمره بالصبر ومجاهدة العدو، وأنه سيبعث إليه

الرجال والأموال، ويمده بالجيوش.

وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية كتابا في جواب ماقال وفيه غلظة، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص فيه كلام غليظ. وقام محمد بن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام.

وتقدم عمرو بن العاص إلى مصر في جيوشه، ومن لحق به من العثمانية، والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً، وركب محمد بن أبي بكر في قريب من ألفي فارس وهم الذين انتدبوا معه من أهل مصر وقدم بين يديه جيشه كنانة بن بشر فجعل لا يلقى أحداً من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو بن العاص، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن حديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع يمشي فرأى خربة فأوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعلوج في الطريق فقال لهم: هل مر بكم أحد تستنكرونه؟ قالوا: لا! فقال رجل منهم: إني رأيت رجلا جالساً في هذه الخربة، فقال: هو هو ورب الكعبة. فدخلوا عليه فاستخرجوه منها - وقد كاد يموت عطشا - فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان قد قدم معه إلى مصر - فقال: أيقتل أخي صبراً؟.

فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن حُديج أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله فقال معاوية: كلا والله، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر، وقد كان في مَن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء، فلم يسقوه؟ وقد سألهم محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية: لاسقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٥/١٠٤] أن محمد بن أبي بكر نال من معاوية بن حديج هذا وشتمه ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً، فعند ذلك غضب معاوية بن حديج فقدمه فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلوات.

وذكر الواقدي أن عمرو بن العاص قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبوالأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالمسناة فاقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن غياث التجيبي، فهرب عند ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق، فدل عليه فجاء معاوية بن حديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل.

قال الواقدي: وكان ذلك في صفر من هذه السنة.

قال الواقدي: ولما قتل محمد بن أبي بكر بعث علي الأشتر النخعي إلى مصر فمات في الطريق فالله أعلم.

قال: وكانت أذرح في شعبان في هذه السنة أيضاً، فلما قتل محمد بن أبي بكر، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة.

وقد زعم هشام بن محمد الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبك، مَسيك في هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر - وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان - فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية فحبسه معاويه بفلسطين فهرب من السجن - وكان معاوية يحب نجاته فيما يرون - فلحقه رجل من خثعم يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام وكان عثمانياً شجاعاً - بأرض البلقاء من بلاد حوران فاختفى محمد بن أبي حذيفة بغار فجاءت حمر وحش لتأوى إلى ذلك الغار لما رأته فيه نفرتها فتعجب من نفرتها جماعة من الحصادين هنالك، فذهبوا إلى الغار محمد بن أبي حذيفة، فخشي عبد الله بن ظلام أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه، فضرب عنقه هنالك.

هكذا ذكر ذلك ابن الكلبي. وقد ذكر الواقدي وغيره أن محمد بن أبي حذيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قدمنا فالله أعلم.

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه: حدثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين - يكتب إليهم بذلك - فاستخرج منه بضعاً وخمسين إردبا دنانير، قال أبوصالح: والإردب ست ويبات والويبة مثل القفيز واعتبرنا الويبة فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار.

قلت: فعلى هذا يكون مبلغ ما أُخذ منه ثلاثة عشر ألف ألف دينار.

قال أبو مخنف بإسناده: ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان بمصر من الأمر، وتملك عمرو مصر، واجتماع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة، فلما كان الغد خرج يمشي إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه منهم أحد، فلما كان العشي بعث إلى أشرافهم فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال: الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاني بكم وبمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغاة فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة، ويجيبونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء؟ وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهى وبقية الناس على المعونة والعطاء فتتفرّقون وتنفرون عني وتعصونني وتختلفون علي؟ فقام إليه مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي فندب الناس إلى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً، ثم قدم على علي جماعة ممن كان محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو بها، فبعث إلى مالك بن كعب فرده من الطريق - وذلك أنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر.

واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، والخروج عليه وانتقاد أحكامه ورد وأقواله وحلّ إبرامه؛ لجهلهم وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم، ولما جاء علياً الخبر من مصر، وما حلّ بها، وقتل محمد بن أبي بكر حزن على محمد حزناً كثيراً، وترحم ورُئي الحزن والكآبة عليه مع ما اجتمع عليه من مخالفة أهل العراق له، ثم قال للناس: إني والله بمواضع الحرب لجدير خبير، وإني لأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فأستصرخكم معلناً وأناديكم نداء المستغيث، ولا أرى فيكم مغيثاً، ولا تسمعون لي قولا، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة فأنتم والله القوم لا يدرك بكم ثار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ خمسين كلية فتجرجرتم جرجرة

الحمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر. ثم خرج إلي منكم مرايب كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون فأفّ لكم.

ثم كتب علي عند ذلك إلى ابن عباس وهو نائبة على البصرة يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة، ويقول:

إني دعوتهم إلى غوث إخوانهم فمنهم من أتى كارهاً، ومنهم المعتذر كاذباً. أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً ومخرجاً، وأن يريحني منهم عاجلا. ولولا ما أحاول من الشهادة لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً. عزم الله لنا ولكم ذلك على تقواه وهداه إنه على كل شيء قدير والسلام.

فرد عليه ابن عباس يسليه عن الناس، ويعزيه في محمد بن أبي بكر ويحثه على ملاحظة الناس والصبر على مسيئهم فإن ثواب الله خير وأبقى، وقال له: إن الناس ربما تثاقلوا ثم نشطوا، فارفق بهم يا أمير المؤمنين. ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زياداً.

وفي هذا الحين بعث معاوية بن أبي سفيان كتابا مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعوهم إلى الإقرار بما حكم له به عمرو بن العاص، فلما قدمها نزل على بني تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه عليّ بن أبي طالب أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس فثاروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة، أمير السرية التي بعثها علي فكتب نائب ابن عباس زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة من المخالفة بعد خروج ابن عباس منها، فبعث عند ذلك علي جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلا إلى قومه بني تميم، وكتب معه كتابا إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي فقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه، قيل: كان عددهم أربعين رجلاً، وقيل سبعين، فحرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤوا له من جهه معاوية.

قتالُ أهل النهروان، وغير ذلك

وقد صححح ابن جرير [تاريخه: ٩١/٥] أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة، وكذلك خروج الخِرِّيت بن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً، وكان مع الخِرِّيت ثلاثمائة رجل من قومه بني ناجية - وكان مع علي بالكوفة - فجاء إلى علي فقام بين يديه وقال: والله ياعلي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك، إني لك غدا لمفارق. فقال له علي: ثكلتك أمك إذاً تعصي ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلا نفسك، ولم تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد، وركنت إلى القوم الظالمين، فأنا عليك زار وعليك ناقم، وإنا لكم جميعاً مباينون. ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم عليٌّ معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائي - وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة - وأمره أن يسمع له ويطيع، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً، ثم خرجوا في آثار الخِرِّيت وأصحابه فلحقوهم - وقد أخذوا في جبال رامهرمز قال: فصففنا لهم ثم أقبلنا إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي، ووقف الخِرِّيت فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة، وجعل من اتبعه من الأكراد والعلوج ميسرة، قال: وسار فينا معقل بن قيس فقال: عباد الله! لا تبدؤوا القوم وغضوا أبصاركم، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا في قتالهم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين، وعلوجاً كسروا الخراج، ولصوصاً وأكراداً، فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد. ثم تقدم فحرك دابته تحريكتين ثم حمل عليهم في الثالثة وحملنا معه جميعاً، فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلاثمائة، وفر الخِرِّيت منهزما حتى لحق بأسياف - وبها جماعة من قومه كثيرة - فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر، قتله النعمان بن صهبان، وقتل معه في المعركة مائة وسبعون رجلا. ثم ذكر ابن جرير [تاريخه: ١٢٢/٥] وقعات كثيرة كانت فيها بين أصحاب علي والخوارج.

ثم قال: حدثني عمر بن شبّة حدثنا أبو الحسن - يعني المدائني - علي بن محمد عن علي بن مجاهد قال: قال الشعبي: لما قتل علي أهل النهر خالفه قوم كثيرون، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة، وانتقض أهل الجبال، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملا عليها لعليّ - فأشار ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها في السنة الآتيه في جمع كثير، فوطئهم حتى أدوا الخراج.

قال بن جرير [تاريخه: ١٣٢/٥] وغيره: وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس، نائب علي على مكة، وكان أخوه عبيد الله بن عباس نائب اليمن، وأخوهما عبد الله بن عباس نائب البصرة، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة، وعلى خراسان خالد بن قُرّة اليربوعي وقيل: ابن أبزى، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص والله أعلم.

ذِكْرُ من تُوفي في هذه السَّنةِ مِن الأعيان

■ سَهْل بنُ حنيف بن واهب بن العُكيم بن ثعلبة الأنصاريُّ الأوْسيُّ، شهد بدراً، وثبت يومَ أُحدٍ، وحضَر بَيْعَةَ المشاهِدِ، وكان صاحباً لعليِّ بن أبي طالبٍ، وقد شهد معه مشاهدَ كلَّها أيضاً غير الجمل، فإنَّه كان قد استخلفه على المدينة. ومات سهلُ بنُ حُنيفٍ في هذه السنة بالكوفة، وصلَّى عليه عليٌّ فكبَّر عليه خمساً، وقيلَ ستّاً. وقال: إنَّه من أهلِ بدرٍ. رضي اللَّهُ عنه.

■ صَفوانُ ابنُ بيضاء أخو سُهيل ابنِ بيضاء شهد المشاهدَ كلَّها مع رسول اللَّه ﷺ ، وتوفِّي في هذه السنة في رمضان منها، وليس له عقبٌ.

■ صُهَيْبُ بنُ سنانِ بنِ مالكٍ أبو يحيى الروميُّ، وأصلُه من اليمن، من قاسطَ، وكان أبو أو عمُّه عاملاً لكِسْرَى على الأُبُلَّةِ، وكانت منازلهم على دِجلةَ عندَ الموصلِ - وقيلَ: على الفُرات - فأغارت على بلادهم الرومُ فأسَرتْه وهو صغيرٌ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بن كلبٍ فحملوه إلى مكة فابتاعه عبدُ اللَّه بنُ جُدْعانَ فأعتَقَه وأقام بمكةَ حيناً، فلمَّا بعث رسولُ اللَّهِ ﷺ ، آمَن به قديماً هو وعمارُ بنُ ياسرٍ في يومٍ واحدٍ بعدَ بضعةٍ وثلاثين رجلاً، وكان مِن المستضعفين الذين يُعَذَّبون في اللَّه عزَّ وجلَّ، ولما هاجر رسولُ اللَّه ﷺ هاجرَ صُهيبٌ بعده بأيام فلحِقه قومٌ من المشركين يريدون أن يَصُدُّوه عن الهجرة، فلمَّا أحسَّ بهم نثَل كِنانته بينَ يديه وقال لهم: واللَّه لقد علِمتُم أنِّي مِن أرماكم رجلاً، ووايْمُ اللَّهِ لا تَصلون إليَّ حتى أَقتُلَ بكلِّ سهمٍ من هذه رجلاً منكم، ثم أقاتلكم بسيفي حتى أُقتَلَ، وإن كنتم تُريدون المال فأنا أدُلُّكم على مالي، هو مدفونٌ في مكان كذا وكذا، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله، فلمَّا قدِم على رسول اللَّهِ ﷺ قال له: «رَبِح

البيعُ أبا يَحيى». وأنزل اللّهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ورواه حمادُ بنُ سَلَمةَ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن سعيد بنِ المُسيبِ قال: وشهد صهيبٌ بدراً وما بعدها، وأمّا طعنِ عمرُ، كان صهيبٌ هو الذي يصلّي بالناس أيامَ الشورى حتى تعيَّنَ عثمانُ، وهو الذي صلّى على عمر، وكان له صاحباً وصديقاً.

وكان صُهَيبٌ أحمرَ شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أقرنَ الحاجبين كثيرِ الشعر، وكان لسانه عُجمةٌ شديدةٌ، وكان مع فضلِه ودينه فيه دُعابةٌ وفكاهةٌ وانشراحٌ. رُوي أنّ رسولَ اللّه ﷺ رآه يأكلُ بقِثّاء رُطباً وهو أرمَدُ إحدى العينين، فقال: «أتأكلُ رُطباً وأنتَ أرمَدُ؟» فقال: إنّما آكلُ من ناحيةِ عَيْنِي الصحيحة. فضحِك رسولُ اللّهِ ﷺ مِن قوله.

وكانت وفاتُه بالمدينة سنةَ ثمانٍ وثلاثين، وقيل: سنة تِسْعٍ وثلاثين. وقد نَيّف على السبعين.

■ محمدُ بنُ أبي بكر الصدّيق ولد في حياة النبيِّ ﷺ في حَجةِ الوداع، تحتَ الشجرة عندَ المحرم. وأمُّه أسماءُ بنتُ عُميس، ولّما احتُضر الصّديقُ أوصَى أن تغسِّلَه فغسّلَتْه، ثم لّما انقَضَت عدّتُها تزوّجها عليٌّ فنشأ محمدٌ في حَجْرِه، فلمّا صارت إليه الخلافةُ استنابه على مصرَ بعدَ قيس بن سعد بن عُبادة، كما تقدّم ذلك، فلمّا كانت هذه السّنةُ قتِل بِبلاد مصرَ، وله من العمر دون الثلاثين سَنَةً، رحمه اللّهُ ورضي عنه. وحزنت عليه عائشةُ وعليٌّ وغيرهما.

■ أسماءُ بنتُ عُميس بنِ مَعْدِ بن الحارث، الخثعمية وهي أمُّ محمدٍ المذكور، أسلمت قديماً بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدِمت معه إلى خيبر، ولها منه عبدُ اللّه، ومحمدٌ، وعَوْنٌ. ولما قُتِل جعفرٌ بمُؤْتَةَ، تزوجها بعده أبو بكر الصديقُ فولَدَت له محمد بنَ أبي بكر أميرَ مصرَ. ثم لّما مات الصدّيقُ تزوّجها بعده عليٌّ بنُ أبي طالبٍ فولَدَتْ له يحيى وعَوْنَاً، وهي أختُ ميمونة بنت الحارث أمِّ المؤمنين لأمّها. وكذلك هي أختُ أمِّ الفَضْلِ امرأةِ العباس لأمها، وكان لها من الأخوات لأمها تسعُ أخواتٍ، وهي أخت سَلْمى بنتِ عُميس امرأة العباس، التي له منها بنتٌ اسمُها عُمارة.

ثم دخلت سنةُ تسعٍ وثلاثينَ

فيها فَرّق معاويةُ بنُ أبي سفيانَ جيوشاً كثيرةً في أطراف مُعاملات عليِّ بن أبي طالب، وذلك أنّ معاويةَ رأى بعدَ ان ولاّه عمرُو بنُ العاص الخلافة بعدَ اتفاقه هو وأبو موسى علي خَلْعِ عليٍّ وعزله عن الأمرِ - أنّ ولايته صحيحةٌ، وقد وقعت الموقع، فهو الذي تجبُ طاعتُه فيما يعتقده، ولأنّ أهلَ العراق قد خالفوا عليّاً فلا يطيعونه، ولا يأتمرون بأمره، فلا يحصُلُ بمباشرته مقصودُ الولايةِ والإمارة، والحالةُ هذه، فأنا أولى منه؛ إذ كانت كلمةُ أهل الشام ومصرِ مجموعةً عليّ، وهم طائعون لي، يأتمرون بأمري، وكلمتي نافذةٌ فيهم. فعند ذلك جهّز الجيوش إلى أطراف مملكة عليٍّ، فكان ممّن بعثه في هذه السنةِ النّعمانُ بنُ بشيرٍ في ألفي فارس إلى عين التّمر، وعليها مالكُ بنُ كعبٍ في ألف فارس مَسْلَحَةً لعلي، فلمّا سمِعوا بقُدوم الشّاميين ارْفَضُّوا عنه فلم يبقَ مع مالكٍ إلاّ مائةُ رجلٍ، فكتبَ عندَ ذلك إلى عليٍّ يخبُره بأمرِ النعمان، فندبَ عليٌّ الناس إلى إغاثةِ مالِك بن كعب، فتثاقلوا عليه ونكَلُوا، ولم يُجيبوا إلى الخروج، فخطبهم عليٌّ عند ذلك، فقال في خُطبته: يا أهلَ الكوفة، كلّما سمعتُم بمنْسَرٍ من مناسر أهلِ الشام قد أظلّكم، انْجَحر كلُّ امرئ منكم في بيته، وغلق عليه بابه، انجحار الضّبِّ في جُحره، والضّبُع في وجارِه، المغرورُ واللّه من غررْتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرارٌ عندَ النداء، ولا إخوانٌ ثقةٌ عندَ النّجاء، إنّا للّهِ وإنّا إليه راجعون، ماذا مُنِيبُ به منكم؟ عُمْيٌ لا تبصرون، وبُكْمٌ لا تنطقون، وصُمٌّ لا تسمعون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ودهمهم النعمانُ بنُ بشير في ألفي مقاتلٍ وليس مع مالك بن كعب إلا مائةُ رجلٍ قد كسروا جُفون سيوفهم واستقتلوا أولئك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فبينما هم كذلك إذ جاءهم نجدةٌ من جهة مِخنف بن سُليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، فلمّا رآهم الشاميُّون ظنُّوا أنّهم مَدَدٌ عظيمٌ، ففرُّوا هراباً على وجوههم، فاتّبعَهم مالكُ بنُ كعبٍ فقتل منهم ثلاثةَ أنفس، وذهب الباقون لا يَلوون على أحدٍ حتى قدمُوا الشام ولم يتمّ لهم ما رَجَوْا من هذا الوجه.

وفيها: بعَث معاويةُ سفيان بنَ عوفٍ في ستة آلافٍ إلى هيت فيُغيرُ عليها، ثم يأتي الأنبار والمدائن. فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مَسْلَحَةٌ لعليٍّ نحوٌ من خمسمائةٍ فتفرّقوا ولم يبق فيها إلاّ مائةُ رجل، فقاتلوا مع قلّتِهم وصبروا حتى قُتِل أميرُهم - وهو أشرسُ بنُ حسّانَ البكريُّ - في ثلاثين رجلاً من أصحابه، واحتمل الشاميُّون ما كان بالأنبار من الأموال وكرُّوا راجعين إلى الشام، فلمّا بلغ عليّاً ما جرى لأهل الأنبار، ركِب بنفسه فنزل النُّخيلة، فقال له الناسُ: نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين. فقال: واللّه ما تكفُونني ولا أنفسكم. وسرّح سعيد بن قيسٍ في أثر القوم، فسار وراءهم حتى بلَغ هيتَ فلم يلحقهم فرجَع.

وفيها: بعث معاويةُ عبدَ اللّهِ بنَ مَسْعَدةَ الفزاريَّ في ألفٍ وسبعمائةٍ إلى تَيماءَ وأمَره أن يُصَدِّقَ أهلَ البوادي، ومَن امتنَع من إعطائه فليقتُلْه ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز. فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشرٌ كثيرٌ، فلمّا بَلغ عليّاً خبرُه بعث المسيَّبَ بنَ نَجَبَةَ الفَزاريَّ في ألفي رجلٍ، فالتقوا بتَيماء فاقتتلوا قتالاً شديداً عندَ زوال الشمس، وحمل المسيَّبُ بنُ نَجَبَةَ على ابن مَسْعَدَةَ فضربه ثلاثَ ضربات وهو لا يريدُ قتله بل يقول له: النّجاء النّجاء. فانحاز ابنُ مَسْعَدةَ في طائفةٍ من قومه إلى حصنٍ هناك فتحصّنوا به، وهرَب بقيّتهم إلى الشام، وانتهبت الأعرابُ ما كان جَمَعه ابنُ مَسْعَدة من إبل الصدقة، وحاصرهم المسيَّبُ ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب على الباب وألهب فيه النار، فلمّا أحسُّوا بالهلاك أشرفوا من الحصن، ومَنّوا إليه بأنّهم مِن قومه، فرَقّ لهم وأطفأ النارَ، فلمّا كان الليلُ فتح بابَ الحصن وخرجوا منه هراباً إلى الشام، فقال عبدُ الرحمن بنُ شبيبٍ للمسيَّب بن نَجَبَةَ: سَرّحْني لألحقَهم. فقال: لا. فقال: غَشَشْتَ أميرَ المؤمنين وداهنت في أمرهم.

وفيها: وجّه معاويةُ الضّحّاكَ بنَ قيسٍ في ثلاثة آلافٍ، وأمره يُغير على أطراف جيش عليٍّ، فبعَث إليه عليٌّ حُجْرَ بنَ عدي في أربعة آلافٍ وأنفق فيهم كلَّ واحدٍ خمسين درهماً خمسينَ درهماً، فالتقوا بتَدْمر فقَتَلَ حُجْرٌ من أصحاب الضّحاك تسعةَ عشرَ رجلاً، وقتل من أصحاب حُجْرٍ رجلان، وغَشِيهم الليلُ فتفرقوا، وانشمر الضحاكُ بأصحابه فاراً إلى الشام.

وفيها: سار معاويةُ بنفسه في جيشٍ كثيفٍ حتى بلغ دِجلةَ ثم كرّ راجعاً. ذكره محمدُ بنُ سعدٍ، عن الواقديِّ بإسناده، وأبو معشرٍ معه أيضاً.

وفيها وَلّى عليُّ بنُ أبي طالبٍ زيادَ بنَ أبيه على أرض فارس، وكانوا قد منَعوا الخراج والطاعة، وسببُ ذلك ما تقدّم من قتل العلاء بن الحضرمي وأصحابه بالنار حينَ حرقهم جاريةُ بنُ قدامة، كما تقدّم، فلمّا

اشتهر هذا الصنيعُ في البلاد شوَّشَ قلوبَ كثيرٍ من الناس وأنكروه جدّاً، واختلفوا على عليٍّ، ومنَع أكثرُ أهلِ تلك النَّواحي الخراجَ، ولا سيما أهلُ فارس فإنَّهم تمرَّدوا وأخرجوا عاملهم سهلَ بنَ حُنَيْفٍ عنهم، فاستشار عليٌّ الناس في من يُوليه عليهم، فأشار ابنُ عباس وجاريةُ بنُ قدامة أن يُولى عليهم زيادَ بن أبيه، فإنَّه صَليبُ الرأي، علمٌ بالسياسة. فقال عليٌّ: هو لها. فولاَّه عليٌّ فارس وكَرْمان فجَّهزه إليها في أربعة آلاف فارس، فسار إليها في هذه السنةِ فدوَّخ أهلها وقهَرهم حتى استقاموا وأدَّوُا الخراجَ، ورَجعوا إلى السمع والطاعة، وسار فيهم بالمعدَلةِ والأمانة، حتى كان أهلُ تلك البلاد يقولون: ما رأينا سيرةً أشبَه بسيرةِ كسرى أنوشيروانَ من سيرة هذا العربيِّ في اللين والمُداراة والعلمِ بما يأتي وما يذرُ، وصَفَتْ له تلك البلادُ بعدله وعلمه وصرامته، واتخذ للمال قلعةً حصينةً، فكانت تُعرفُ بقلعةِ زيادٍ، ثم لمَّا تحصَّنَ فيها منصورٌ البشكريُّ فيما بعدَ ذلك، عُرفت به، فكان يقال لها: قلعةُ منصور.

قال الواقديُّ: وفي هذه السنةِ بَعث عليُّ بنُ أبي طالبٍ عبيدِ اللّه بن عباس على الموْسم، وبعث معاويةُ يزيد بنَ شجرةَ الرَّهاويَّ ليقيمَ للناس الحجَّ، فلمَّا اجتمعا بكةَ تنازعا، وأبى كلُّ واحدٍ منهما أن يُسَلِّمَ لصاحبه فاصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبي طلحةَ الحَجَبيِّ فحجَّ بالناس، وصلَّى بهم في أيام الموسم.

قال أبو الحسن المدائنيُّ: لم يشهدْ عبدُ اللّه بنُ عباس الموسم في أيام عليٍّ حتى قتل، والذي نازعه يزيدُ بنُ شجرة إنَّما هو قُثَمُ بنُ العباس، حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان قال ابنُ جرير: وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو معشر.

قال ابن جرير: وأما عُمَّالُ عليٍّ على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السَّنةِ الماضية، غيرَ أنَّ ابنَ عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة، واستخلف على البصرة زيادَ بنَ أبيه، ثم سار زيادٌ في هذه السنةِ إلى فارس وكَرْمان كما ذكرنا.

ذكرُ مَن تُوفي فيها من الأعيان

■ **سعدُ القَرَظِ** مؤذنُ مسجدِ قباء في زمان رسول اللّهِ ﷺ ، فلمَّا ولي عمرُ الخلافة ولاَّه أذانَ المسجد النبويِّ، وكان أصلُه مولىً لعمَّار بن ياسر، وهو الذي كان يحملُ العَنَزَةَ بينَ يدي أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ إلى المصلَّى يومَ العيد، وبقي الأذان في ذرِّيته مدةً طويلةً.

■ **عقبةُ بنُ عمرو بن ثعلبة، أبو مسعودٍ البَدْريُّ** سكن ماءَ بدرٍ فنُسب إليه، ولم يَشْهَدِ الوقعةَ ببدر على الصحيح، وقد شهد العقبةَ، وهو من سادات الصحابة، وكان ينوبُ لعليٍّ بالكوفة إذا خرَج منها إلى القتال.

سنة أربعين من الهجرة النبوية

فيها كان مقتلُ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ، رضي اللّهُ عنه، على ما سنذكرُه مُفَصَّلاً إن شاء اللّه تعالى.

قال ابنُ جرير: فيمَّا كان في هذه السَّنةِ، من الأمور الجليلةِ، توجيهُ معاويةَ بُسرَ بنَ أبي أرطاةَ في ثلاثة آلافٍ من المقاتِلةِ إلى الحجاز، فذكر عن زياد ابن عبدِ اللّه البكَّائيِّ، عن عوانة قال: أرسَل معاويةُ بعدَ تحكيم الحكمينِ بُسر ابن أبي أرطاة - وهو رجلٌ من بني عامر بن لؤيٍّ - في جيش، فساروا من الشام حتى قَدِموا المدينة وعاملُ عليٍّ عليها يومئذ أبو أيوب الأنصاريُّ، ففرَّ منهم أبو أيوب فأتى عليّاً بالكوفة، ودخل بُسرٌ المدينة ولم يُقاتلْه أحدٌ، فصعد مِنبرها، فنادى على المنبر: يا دينارُ، ويانجَّارُ، ويازريقُ، شيخي شيخي! عَهدي به ههنا بالأمس، فأين هو؟ يعني عثمان بن عفان، ثم قال: يا أهلَ المدينة، واللّه لولا ما عهد إليَّ معاويةُ فيكم ما تركتُ بها مُخْتِلماً إلاَّ قَتَلْتُه. ثم بايع أهلُ المدينة، وأرسل إلى بني سَلِمةَ، فقال: واللّه ما لكم عندي من أمانٍ ولا مُبايعةٍ حتى تأتُوني بجابر بن عبد اللّهِ، يعني حتى يبايعه، فانطلق جابرٌ إلى أمِّ سَلَمةَ فقال لها: ماذا تَرَيْن؟ إني خشيتُ أن أُقتلَ، وهذه بَيْعةُ ضلالةٍ. فقالت: أرى أن تُبايعَ، فإني قد أمَرتُ ابني عمر، وختَنى عبدَ اللّهِ بنَ زَمْعَةَ؛ وهو زوجُ ابنتها زينب، أن يبايعا. فأتاه جابرٌ فبايَعَه.

قال: وهدَّم بُسْرٌ دوراً بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مَكَّةَ، فخافه أبو موسى الأشعريُّ أن يقتُله، فقال له بُسْرٌ: ما كنت لأفعل بصاحب رسول اللّه ﷺ ذلك. فخلى عنه، وكتَب أبو موسى قبلَ ذلك إلى أهل اليمن أنَّ خيلاً مبعوثةً من عند معاويةَ تَقْتُلُ من أبى أن يُقرَّ بالحكومة، ثم مضى بُسْرٌ إلى اليمن، وعليها عبيدُ اللّهِ بن عباس فَفَرَّ إلى الكوفةِ حتى لحق بعليٍّ، واستخلف على اليمن عبدَ اللّهِ بن عبد المدان الحارثي. فلمَّا دخل بُسْرٌ اليمن قتله، وقتل ابنه، ولقى بُسْرٌ ثَقَلَ عبيدِ اللّه بن عباس وفيه ابنان له صغيران فقتلهما، وهما؛ عبدُ الرحمن، وقُثَمُ، وقيل: إنَّه ذَبحهما بينَ يدي أُمِّهما فزاغ عقلُها ووَسْوَسَتْ ممّا رأت، فكانت بعد ذلك تَقِفُ في المواسم مبهوتةً زائغةَ العقل، تندبُ ولديها. ويقال: إنَّ بُسراً قتل في مسيره هذا خلقاً من شيعةِ عليٍّ. وهذا الخبرُ مشهورٌ عندَ أصحاب المغازي والسِّيَر، وفي صحته عندي نظرٌ. واللّهُ تعالى أعلمُ. ولمَّا بلغ علياً خبرُ بُسْرٍ وجَّه جاريةَ بنَ قُدامةَ في ألفين، ووَهْبَ بنَ مسعودٍ في ألفين، فسار جاريةُ حتى بلغ نجرانَ فحرَّق بها، وقتل ناساً من شيعةِ عثمان، وهرب بُسْرٌ وأصحابُه، فأتْبَعَهم حتى بلغ مَكَّةَ. فقال لهم جاريةُ: بايعُوا. فقالوا: لمن نُبايعُ وقد هلك أميرُ المؤمنين! فلِمن تُبايعُ؟ فقال: بايعُوا لِمن بايع له أصحاب عليٍّ. فتثاقلوا، ثم بايعوا حينَ خافوا. ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يُصلي بهم، فهرب منه، فقال جاريةُ: واللّه، لو أخذتُ أبا سنَّور لضربتُ عُنُقَه. ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بنَ عليٍّ. فبايعوا، وأقام عندهم يوماً، ثم خرج مُنْصَرِفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة يُصلِّى بهم.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة جرت بين عليٍّ ومعاوية المُهادنة بعدَ مُكاتبات يَطول ذِكْرُها،على وضع الحرب بينهما، وأن يكون مُلك العراق لعليٍّ، ولمعاوية مُلك الشام، ولا يدخل أحدُهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوةٍ.

ثم ذكَر عن زيادٍ، عن ابن إسحاق ما هذا مَضْمُونُه، أن معاوية كتب إلى عليٍّ: أما بعدُ، فإنَّ قد قتل بعضُها بعضاً بيني وبينك، فلك العراق ولي الشَّام. فأقره عليٌّ على ذلك. وأمسك كل منهما عن قتال الآخر، وبعث الجيوش إلى بلاده، واستقرَّ الأمرُ على ذلك.

قال ابنُ جرير: وفي هذه السنة خرَج ابنُ عباس من البصرة إلى مَكَّة، وترك العمل، في قول عامَّة أهلِ السِّير، وقد أنكر ذلك بعضهم، وزعم أنه لم يَزَل عاملاً على البصرة حتى صالح الحسنُ بنُ عليٍّ معاويةَ، وأنَّه كان شاهداً الصُّلح، كما نصَّ على ذلك أبو عبيدة، وغيرُه.

ثم ذكر ابنُ جرير سببَ خروج ابنُ عباس عن البصرة؛ وذلك أنه كلَّم أبا الأسود الدؤليَّ - وكان قاضيّاً عليها - بكلامٍ فيه غَضٌّ من أبي الأسود، فكتب أبو الأسود إلى عليٍّ يَشكو إليه ابنَ عباس، وينالُ من عِرْضه؛ بأنه

تناول شيئاً من أموال الناس من بيت المال، فبعث عليٌّ إلى ابن عباس، فعاتبه في ذلك، وحرَّر عليه القضية، فغضب ابنُ عباس من ذلك، وكتبَ إلى عليٍّ أن ابعَث إلى عملك من أحببت فإنّي ظاعنٌ عنه. والسلام. ثم سار ابنُ عباس إلى مكة مع أخواله بني هلالٍ وتبعتهم قيسٌ كلُّها، وقد أخذ شيئاً من بيت المال ممّا كان اجتمع له من العمالة والفيء، ولما سار تبعته أقوامٌ أُخرُ، فلحقهم بنو تميم وأرادوا ردَّهم ومنعهم من المسير، فكان بينهم بعضُ قتال، ثم تحاجزوا، ودخل ابنُ عباس مكةَ.

ذكْرُ مقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، وما ورد في ذلك وفي فضله من الأحاديث النبوية، وما في ذلك من دلائل النبوة وآياتِ المعجزةِ

كان أميرُ المؤمنين، رضي الله عنه، قد انتقَضَت عليه الأمورُ، واضطربتْ عليه الأحوالُ، وخالفه جيشُه من أهل العراق وغيرهم، ونكلوا عن القيام معه، واستَفْحل أمرُ أهل الشام، وصالُوا وجالُوا يميناً وشمالاً زاعمين أن الأمرَ لمعاوية؛ بُمقتَضَى حُكْم الحَكَمين في خلعهما عليّاً وتَوْلية عمرو بن العاص مُعاوية عندَ خلْوِّ الإمرة عن أحَدٍ، وقد كان أهلُ الشام بعدَ التحكيم يُسَمُّون مُعاوية الأمير، وكلما ازداد أهلُ الشام قوةً ضعُف جَأشُ أهلِ العراق ووهنوا، هذا وأميرُهم عليُّ بنُ أبي طالب خيرُ أهل الأرض في ذلك الزمان، فهو أعبَدُهم وأزهَدُهم، وأعْلَمُهم وأخشاهم لله، عز وجل، ومع هذا كلِّه خَذَلوه وتَخلَّوا عنه، وقد كان يُعطيهم العطاء الكثير والمال الجزيل، فلا زال هذا دأبهم معه حتى كره الحياة وتَمَنَّى الموتَ؛ وذلك لكثرة الفتن وظُهور المِحن، فكان يُكثرُ أن يقول: ماذا يَحبسُ أشقاها - أي ما ينتظر - ما له لا يَقتُلُ؟ ثم يقول: والله لتُخَضَّبنَّ هذه - ويُشيرُ إلى لحيته - من هذه. ويُشير إلى هامته.

كما قال البيهقيُّ، عن الحاكم، عن الأصَمِّ، عن محمد بن إسحاق الصَّغانيِّ، حدثنا أبو الجوَّاب الأحْوَصُ بنُ جوَّابٍ، حدثنا عَمّار بنُ رزيق، عن الأعمش، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد قال: قال عليٌّ: والذي فلق الحبَّة وبرَأ النَّسمةَ لتُخضَبنَّ هذه من هذه - للحيته من رأسه - فما يحبسُ أشقاها؟ فقال عبدُ الله بنُ سَبْع: والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأبرنا عترته. فقال: أنشُدُكم بالله أن يُقتل بي غير قاتلي. فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا تَستَخلف؟ فقال: لا ولكني أترُكُكم كما تركَكم رسول الله ﷺ . قالوا: فما تقول لربِّك إذا لقيته وقد تركتنا هَمَلاً؟ قال: أقول: اللّهم استَخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم. فيه ضعفٌ في بعض ألفاظه.

طريقٌ أُخرى: قال أبو داودَ الطيالسيُّ في «مسنده» حدثنا شَريكٌ، عن عثمان بن المغيرة، عن زيدِ بن وهبٍ قال: جاء رأس الخوارج إلى عليٍّ فقال له: اتّقِ الله فإنك مَيِّتٌ. فقال: لا والذي فلق الحبَّة وبرأ النَّسمة، ولكن مَقتولٌ من ضربةٍ على هذه تُخضَبُ هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهدٌ معهودٌ، وقَضاءٌ مَقضيٌّ، وقد خاب من افترى.

طريقٌ أخرى عنه: قال الحافظُ أبو يعلى: حدثنا سويد بنُ سعيدٍ، حدثنا رشدينُ بنُ سعدٍ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامةَ، عن عثمان بن صهيبٍ، عن أبيه قال: قال عليٌّ: قال لي رسولُ الله ﷺ: «من أشقى الأوّلين؟» قلتُ: عاقرُ الناقةِ. قال: «صدقت، فمن أشقى الآخرين؟» قلت: لا علم لي يا رسول الله. قال: «الذي يَضْرِبُك على هذه». وأشار بيده على يافوخه، قال: فكان يقولُ: وددت أنه قد انبعث أشقاكم فيُخضَّبَ هذه من هذه. يعني لحيته من دم رأسه.

طريقٌ أخرى عن عليٍّ، رضي الله عنه: قال الإمام أحمدُ: حدَّثنا وكيعٌ، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سَبُع قال: سمِعْتُ عليّاً يقولُ: لتُخَضَّبنَّ هذه من هذه فما ينتظر بي الأشقى؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، أخبرنا به نُبِرْ عترته. قال: إذاً تالله تقتلون بي غير قاتلي! [٥٩/٦م] قالوا: فاستَخلف علينا. قال: لا، ولكن أترُكُكم إلى ما تركَكم إليه رسولُ الله ﷺ. قالوا: فما تقولُ لربِّك إذا أتيته؟ قال: أقولُ: اللّهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصْلحتهم، وإن شئت أفسدتهم.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا أسودُ بنُ عامر، حدثنا أبو بكر، عن الأعمش، عن سَلَمة بن كهيل، عن عبد الله بن سبُع قال: خطبنا عليٌّ فقال: والذي فلق الحبَّة وبرأ النَّسمة لتُخضبن هذه من هذه. قال: فقال الناسُ: فأعلمنا من هو، والله لنُبيدَنَّه أو لنُبيدَنَّ عِترته. قال: أنشدكم بالله أن يقتل غيرُ قاتلي. قالوا: إن كنت قد علمت ذلك فاستخلف إذاً. قال: لا، ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ. تفرَّد به أحمد.

طريقٌ أُخرى عن عليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا هاشمُ بنُ القاسم، حدثنا محمدٌ - يعني ابن راشدٍ - عن عبد الله ابن محمد بن عقيل، عن فضالة بن أبي فَضالة الأنصاري - وكان أبو فضالة من أهل بدر - قال: خرجتُ مع أبي عائداً لعليِّ بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه. قال: فقال له أبي: ما يُقيمك بمنزلك هذا؟ لو أصابكَ أجلك لم يلك إلا أعراب جُهينة، تُحملُ إلى المدينة، فإن أصابك أجلُك وليك أصحابُك وصَلَّوا عليك. فقال عليٌّ: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ ألا الأموات حتى أُؤمَرَ ثم تُخضب هذه - يعني لحيته - من دم هذه. يعني هامته، قال: فقُتل وقُتل أبو فضالة مع عليٍّ يوم صِفين. تفرَّد به أحمد أيضاً. وقد رواه البيهقيُّ في «الدلائل» عن الحاكم، عن الأصم، عن الحسن بن مُكرم، عن أبي النَّضر هاشم ابن القاسم به.

طريقٌ أُخرى عنه: قال الحافظُ أبو بكر البزّارُ في «مسنده» : حدثنا أحمدُ ابنُ أبان القُرشيُّ، حدثنا سفيانُ بنُ عيينة، حدثنا كوفيٌّ يقال له: عبدُ الملك بنُ أعينَ. عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه قال: سمِعْتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ يقولُ: قال لي عبدُ الله بنُ سلام وقد وَضَعْتُ رجلي في غرز الرِّكاب: لا تأت العراق؛ فإنك إن أتيتها أصابك بها ذُبابُ السَّيف. قال: وايمُ الله لقد قالها، ولقد قالها النبيُّ ﷺ لي قبله. قال أبو الأسود: فقلتُ: تالله ما رأيتُ رجلاً مُحارباً يُحدِّثُ بهذا غيرك. ثم قال البَزّارُ: لا نَعْلمُ رواه إلا عليُّ بنُ أبي طالبٍ بهذا الإسناد، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين، عن أبي حربٍ، ولا رواه عنه إلا ابنُ عيينة. هكذا قال، وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك. وقال البيهقيُّ بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق: وقد رُوِّينا في كتاب «السُّنن» بإسنادٍ صحيح عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان الدُّؤليِّ، عن عليٍّ في إخبار النبيِّ ﷺ بقتله.

حديثٌ آخر في ذلك: قال الخطيب البغداديُّ: أخبرني عليُّ ابنُ القاسم البصريُّ، حدثنا عليُّ بنُ إسحاق المادرائيُّ، أنا محمد بنُ إسحاق الصَّغانيُّ، حدثنا إسماعيل بنُ الوَرّاق، حدثنا ناصحٌ، أبو عبد الله المُحلّميُّ، عن سِماكٍ، عن جابر بن سَمُرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ: «من أشقى الأوّلين؟» قال: عاقرُ الناقة. قال: «فمن أشقى الآخرين؟» قال: اللّهُ

ورسوله أعلم. قال: «فاتلُك».

حديث آخر في معنى ذلك:

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٣٩/٦، ٤٤٠] من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الحماني قال سمعت عليا على المنبر وهو يقول: والله إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «إن الأمة ستغدر بك بعدي».

قال البخاري [التاريخ الكبير: ١٧٤/٢]: ثعلبة بن يزيد الحماني في حديثه هذا نظر.

قال البيهقي [الدلائل: ٤٤٠/٦]: وقد رويناه بإسناد آخر عن علي إن كان محفوظا. أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد بن شوذب الواسطي بها حدثنا شعيب بن أيوب حدثنا عمرو بن عون عن هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي. قال: «إن مما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن الأمة ستغدر بك بعدي» قال البيهقي: فإن صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في إمارته، ثم في قتله.

وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر. قال: خطبنا علي يوم جمعة فقال نبئت أنّ بسراً قد طلع اليمن، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم في أرضهم، قد بعثت فلاناً فخان وغدر، وبعثت فلانا فخان وغدر، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقه، اللّهم سئمتهم وسئموني، وكرهتهم وكرهوني، اللّهم فأرحهم مني وأرحني منهم قال: فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه

صفة مقتله رضي الله عنه

ذكر ابن جرير [تاريخه: ١٤٣/٥-١٤٦] وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس: أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بني جبلة من كندة المصري وكان أسمر حسن الوجه أبلج شعره مع شحمة أذنيه وفي جبهته أثر السجود. والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي أيضاً - اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا من خير الناس وأكثرهم صلاة وكانوا دعاة الناس إلى ربهم، لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا؟ فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب. وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية: وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه.

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فبينما هو جالس في قوم من بني تيم الرباب وهم يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشجنة، قد قتل علي يوم النهروان أباها وأخاها، وكانت فائقة الجمال مشهورة به، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسي حاجته التي جاء لها، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة. وأن يقتل لها علي بن أبي طالب. قال: فهو لك ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها، من تيم الرباب يقال له وردان، ليكون معه رديءاً، واستمال ابن ملجم رجلا آخر يقال له شبيب بن بجرة الأشجعي الحروري قال له ابن ملجم: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ فقال: وما ذاك؟ قال: قتل علي، فقال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر عليه؟ قال: أكمُن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا. فقال: ويحك لو غير علي لكان أهون علي؟ قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ فما أجدني أنشرح صدراً لقتله. فقال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟ فقال: بلى قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه إلى ذلك بعد لأي ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت. وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي يقتل كل واحد منّا فيها صاحبه الذي ذهب إليه. ثم جاؤوا إلى قطام وهي امرأة ابن ملجم فدعت لهم بعصب الحرير فعصبتهم بها، وكانت في المسجد، فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم ابن ملجم، ووردان وشبيب - وهم مشتملون على سيوفهم فدخلوا المسجد الجامع فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة. فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوقع في الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه، ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة: ٢٠٧] ونادى علي: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس، ومسك ابن ملجم وقدم عليٌّ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر، وحمل علي إلى منزله، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبحه الله - فقال له: أي عدو الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلى: قال. فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صاحباً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال له علي: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه. ثم قال: إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.

وقال الإمام أحمد [٩٢/١، ٩٣]: حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال: لما ضرب ابن ملجم عليا قال لهم: افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال: «اقتلوه ثم احرقوه».

وقد روي أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف. ويحك! لم ضربت أمير المؤمنين؟ قال: إنما ضربت أباك فقالت: إنه لا بأس عليه، فقال: فلمَ تبكين؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف.

فقال جندب بن عبد الله: يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن؟ فقال

لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر. ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله، لا ينطق بغيرها. وقد قيل: إن آخر ما تكلم به ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾. [الزلزلة: ٧] وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به، وأن يعظمهما ولا يقطع أمراً دونهما. وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه.

وصورة الوصية: بسم الله الرحمن الرحيم! هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، أوصيك ياحسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب الله الله في الأيتام فلا تعفو أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم، مازال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم، والله الله في اصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم» الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله. ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض في شهر رمضان.

وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات.

قال الهيثم بن عدي: حدثني رجل من بجيلة عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجمل النساء ترى رأي الخوارج، قد قتل عليٌّ قومها على هذا الرأي فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت: لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة، وقتل علي بن أبي طالب فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له: يا هذا قد فرغت من حاجتك فافرغ من حاجتي. فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة في المسجد وخرج علي يقول: الصلاة الصلاة، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر: ـ قال ابن جرير [٥/١٥٠]: هو ابن مياس المرادي.

فلم أر مهراً ساقهُ ذو سماحةٍ كمهرِ قطامٍ بيناً غيرَ معجمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ وقتلُ علي بالحسامِ المصممِ
فلا مهرَ أغلى من علي وإن غلا ولا قتلَ إلا دون قتلِ ابن ملجمِ

ولابن مياس في قتلهم عليّاً

ونحنُ ضربنا يا لكَ الخير حيدراً أبا حسنٍ مأمومةً فتفطّرا
ونحن خلعنا ملكهُ من نظامهِ بضربةِ سيفٍ إذ علا وتجبرا
ونحنُ كرامٌ في الهياجِ أعزةٌ إذا الموتُ بالموت ارتدى وتأزرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروي عن عائشة في صحيح البخاري فقال فيه:

ياضربةً من تقي ما أرادَ بها إلا ليبلغَ من ذي العرشِ رضوانا
إني لأذكرهُ يوماً فأحسبهُ أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزانا

وأما صاحب معاوية ـ وهو البُرَك ـ فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف، وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربه في وركه فجرحت إليته ومسك الخارجي فقتل، وقد قال لمعاوية: اتركني فإني أبشرك ببشارة، فقال: وما هي؟ فقال: إن أخي قد قتل في هذه الليلة علي بن أبي طالب، قال: فلعله لم يقدر عليه، قال: بلى إنه لا حرس معه، فأمر به فقتل، وجاء الطبيب إلى معاوية فقال: إن جرحك مسموم فإما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه شربة فبرأ من آله وجراحه وانقطع النسل وسلم من ذلك رضي الله عنه. ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع بدمشق وجعل الحرس حولها في حال السجود، فكان أول من اتخذها معاوية لأجل هذه الحادثة.

وأما صاحب عمرو بن العاص ـ وهو عمرو بن بكر ـ فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في تلك الليلة فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة ـ وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص، فلما أخذ الخارجي قال: أردت عمراً وأراد الله خارجة. فأرسلها مثلاً، ثم قتل قبحه الله، وقد قيل: إن الذي قالها عمرو بن العاص، وذلك حين جيء بالخارجي فقال: ما هذا؟ قالوا: قتل نائبك خارجة، فقال الخارجي: والله ما أردت إلا إياك. فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة. ثم أمر به فضربت عنقه.

والمقصود ان عليا رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، هذا هو المشهور.

ومن قال: إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهبت فقد أخطأ وتكلف مالا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي

[تاريخ بغداد: ١/ ١٣٨] عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، هو مُطَيَّنٌ أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر: كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثا وستين سنة. قلت: أين دفن؟ قال: دفن بالكوفة ليلا وقد عُمِّي عني دفنه.

وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانيةً وخمسين سنة.

وقد قيل: إن عليا دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة.

قاله الواقدي، والمشهور أنه دُفِن بدار الإمارة.

وقيل بحائط جامع الكوفة.

وقد حكى الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١/١٣٧] عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة أمهما.

وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيئ يظنونه مالاً فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوا من هو دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره، حكاه الخطيب أيضا [تاريخ بغداد: ١/١٣٨] .

وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن بن علي قال: دفنت عليا في حجرة من دور آل جعدة.

وعن عبد الملك بن عمير قال: لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفونا أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه. قالو وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: صلّي على علي ليلا ودفن بالكوفة وعمِّي موضع قبره ولكنه عند قصر الإمارة.

وقال ابن الكلبي: شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنيفة وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم.

وحاصل الأمر أن علياً قتل ليلة الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين.

وقيل: إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم.

ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدي وابن جرير [تاريخه: ٥/١٥١] وغير واحد، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وخمسين سنة رضي الله عنه. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

فلما مات علي رضي الله عنه استدعى الحسن بن علي بابن ملجم فقال له ابن ملجم: إني أعرض عليك خصلة قال: وما هي؟ قال: إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما، فإنْ خليتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فللّه علي عهد الله أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك، فقال له الحسن: كلا والله حتى تعاين النار، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه في بواري ثم أحرقوه بالنار.

وقد قيل: إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ إلى آخرها ثم جاؤوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال: إني أخشى أن تمر علي ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة والله أعلم. وروى ابن جرير [تاريخه: ٥/١٥٢] قال: حدثني الحارث حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال: ضرب علي يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة، وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة.

قال الواقدي: وهو المثبت عندنا. والله أعلم بالصواب.

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم أجمعين

قال الإمام أحمد [١/١١٨]: حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانىء بن هانىء عن علي قال: لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ماسميتموه؟» فقلت: سميته حربا، فقال: «بل هو حسن»، فلما ولد الحسين قال: «أروني ابني، ماسميتموه؟» فقلت: سميته حربا قال: «بل هو حسين»، فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» فقلت: حربا فقال: «بل هو محسِّن»، ثم قال: «إني سميتهم باسم ولد هارون شبّر وشبَير ومشبر».

وقد رواه محمد بن سعد عن يحيى بن عيسى التيمي عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي: كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث.

وقد ورد في بعض الأحاديث أن عليا سمى الحسن أولا بحمزة وحسينا بجعفر فغير اسميهما رسول الله ﷺ.

فأول زوجه تزوجها علي رضي الله عنه

■ فاطمة بنت رسول الله ﷺ بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسينا وبقال ومحسِّنا ومات وهو صغير، وولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وهي وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم.

ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها، وتوفي عن أربع كما سيأتي.

فمن زوجاته

■ أم البنين بنت حرام وهو الجل بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان. وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكربلاء ولا عقب لهم سوى العباس.

ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر.

قال هشام بن الكلبي: وقد قتلا بكربلاء أيضاً.

وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم المَذَار.

ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي.

وقال الواقدي: ولدت له يحيى وعونا.

قال الواقدي: فأما محمد الأصغر فمن أم ولد.

ومنهن

■ أم حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر ـ وقد عمر خمساً وثلاثين سنة ـ ورقية.

ومنهن

■ أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى.

ومنهن

ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها: من أخوالك؟ فتقول: وه وه تعني بني كلب.

ومنهن

■ أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها فولدت له محمداً الأوسط.

وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي

■ خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدُّئِل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل سباها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا، ومن الشيعة من يدعي فيه الإمامة والعصمة، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا بواجبي العصمة، والله أعلم.

وقد كان لعلي أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضي الله عنه فمن أولاده رضي الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة ونفيسة.

قال ابن جرير: فجميع ولد على أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة أنثى.

قال الواقدي: وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن الثعلبية رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال ابن جرير [تاريخه: ١٥٧/٥]: حدثني ابن سنان القزاز حدثنا أبو عاصم حدثنا سُكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثني أبي خالد بن جابر قال: سمعت الحسن لما قتل علي قام خطيباً فقال: لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة نزل فيها القرآن، ورفع فيها عيسى ابن مريم، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه في السرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والله ماترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو سبع مئة أرصدها لخادم.

وهذا غريب جداً وفيه نكارة والله أعلم.

وهكذا رواه أبو يعلى [مسنده (٦٧٥٨)] عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به.

وقال الإمام أحمد [١٩٩/١] : حدثنا وكيع عن شريك عن أبي إسحاق عن هبيرة قال: خطبنا الحسن بن علي قال: «لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح الله له.

ورواه زيد العمى وشعيب بن خالد عن ابي إسحاق به وقال: ما ترك إلا سبعمائة كان أرصدها يشتري بها خادماً».

وقال الإمام أحمد [١٥٩/١]: حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي أن عليا قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألفا.

ورواه عن أسود عن شريك به وقال: «إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار» [المسند: ١٥٩/١]

باب ذكر شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فمن ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله ﷺ فإنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله ﷺ أبوه أخو أبيه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

قال الزبير بن بكار: وهي أول هاشمية ولدت هاشميا. وقد أسلمت وهاجرت، وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا نص عليه الإمام أحمد بن حنبل [فضائل الصحابة: ٩٢٩-٩٣١] هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس. وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وأنه المراد من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وقد أخطؤوا في ذلك خطأ كبيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى، فإنه تعالى قد ذكر بعد هذه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] فذكر بعدها ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر ولله الحمد.

وقد كان أبو طالب كثير المحبة لرسول الله ﷺ ولم يؤمن به إلى أن مات على الكفر كما ثبت ذلك في صحيح البخاري [٣٨٨٤] من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه في عرضه عليه الصلاة والسلام على عمه أبي طالب وهو في السياق أن يقول: لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: «أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنه» فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٣]

ونزلت﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[القصص: ٥٦] وقد تقدم هذا كله في أول المبعث ونبهنا على خطأ الرافضة في دعواهم أنه أسلم وافترائهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة.

وأما علي رضي الله عنه فإنه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور، ويقال: أنه أول من أسلم وقد روي في ذلك حديث عنه ولا

يصح، والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي.

وقد روى الترمذي [٣٧٢٨] وأبو يعلى من حديث أنس بن مالك قال: «بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء».

ورواه بعضهم عن مسلم الملائي عن حبة بن جوين عن علي - وحبة لا يساوي حبة-

وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن علي قال: «عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبده أحد».

وهذا لا يصح أبداً وهو كذب.

وروى سفيان الثوري وشعبة عن سلمة عن حبة عن علي قال: «أنا أول من أسلم».

وهذا لا يصح أيضا وحبة ضعيف.

وقال سويد بن سعيد حدثنا نوح بن قيس، ثنا سليمان بن عبد الله عن معاذة العدوية قالت: سمعت علي بن أبي طالب على منبر البصرة يقول: «أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم».

وهذا لا يصح قاله البخاري [التاريخ الكبير: ٤/٢٣].

وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة: «أيها الناس! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت».

قال الإمام أحمد [١/٣٧٣]: حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: «أول من صلى - وفي رواية من أسلم - مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي بن أبي طالب»

ورواه الترمذي [٣٧٣٤] من حديث شعبة عن أبي بلج، به.

وقد رُوي عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصاري أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أي وجه كان. وقد روي في أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شيء، وأجود ما في ذلك ما ذكرناه. على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في تاريخه بتطريق هذه الروايات، فمن أراد كشف ذلك فعليه به والله الموفق للصواب.

وقد روى الترمذي [٣٧٣٥] والنسائي [كبرى (٨١٣٧)] من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن طلحة بن يزيد عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم علي» قال الترمذي: حسن صحيح.

وصحب علي رسول الله ﷺ مدة مقامه بمكة، وكان عنده في المنزل وفي كفالته في حياة أبيه أبي طالب إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، تخلف عليّ بعده ليؤدي ما كان عند رسول الله ﷺ من ودائع الناس، فإنه كان يعرف في قومه بالأمين، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر علي بعد رسول الله ﷺ وصحب رسول الله ﷺ إلى أن توفي وهو راض عنه وحضر معه مشاهده كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه في مواطن الحرب كما بينا ذلك في السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» [سيرة ابن هشام: ٢/٥١٩، ٥٢٠] وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته. ولما رجع عليه الصلاة والسلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غديرخم خطب الناس هنالك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فقال في خطبته: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وفي بعض الروايات: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» والمحفوظ الأول.

وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن عليا لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع علي فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله ﷺ، فلما تفرغ رسول الله ﷺ من حجة الوداع أحب أن يبرئ ساحة علي مما نسب إليه من القول فيه وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في أيام بني بويه في حدود الأربعمائة كما ستنبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله. ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح السود على أبواب الدكاكين وتذر التبن والرماد، في الطُرق والأسواق وتدور النساء في سكك البلد يَنُحْنَ على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب في قتل الحسين، وسنبين ذلك كلّه إذا انتهينا إليه وكيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى.

وقد كان بعض بني أمية يعيب علياً في تسميته أبا تراب وهو اسم سماه به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين [خ: (٤٤١)، م(٢٤٠٩)] عن سهل بن سعد أن عليا غاضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاء رسول الله ﷺ فوجده نائما وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنه التراب ويقول: «اجلس أبا تراب، اجلس أبا تراب».

حديث المؤاخاة:

قال الحاكم: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد حدثنا الحسين بن جعفر القرشي حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي حدثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي أمامة قال: لما آخى رسول الله ﷺ بين الناس آخى بينه وبين علي. ثم قال الحاكم: لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام.

قلت: وفي صحة هذا الحديث نظر، وورد من طريق أنس وابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى وابن عباس ومحذوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وعلي نفسه نحو ذلك وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم. وقد جاء من غير وجه أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدي إلا كذاب» [فضائل الصحابة (٩٩٣)]

وقال الترمذي [٣٧٢٠]: حدثنا يوسف بن موسى القطان البغدادي حدثنا علي بن صالح بن حي عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» ثم قال: هذا حديث حسن غريب وفيه عن زيد بن أبي أوفى.

وقد شهد عليّ بدرا. وقد قال رسول الله ﷺ لعمر: «وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

[خ: (٣٩٨٣)، م(٢٤٠٤)].

وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله ﷺ الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة. قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس. قال: وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة.

وقال خيثمة بن سليمان الأطرابلسي الحافظ: حدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبي غرزة حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا ناصح بن عبد الله الحلمي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قالوا: يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: «ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا علي بن أبي طالب».

وهذا إسناد ضعيف. ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً.

وقال الحسن بن عرفة: حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى مناد في السماء يوم بدر: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» قال الحافظ بن عساكر: وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك.

وقال الزبير بن بكار: حدثني علي بن المغيرة عن معمر بن المثنى قال: كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب ففي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي.

للّـــه اي مُذَبَّـــب عـــن ... أعني ابنَ فاطمة المعمَّ المُخْوَلا
جادتْ يداكَ لهُ بعاجلِ طعنةٍ ... تركت طليحةَ للجبينِ مجدّلا
وشددتَ شدة باسلٍ فكشفتهم ... بالحق إذ يهوونَ أخولَ أخولا
وعللتَ سيفكَ بالدماءِ ولم تكن ... لتردهَ حران حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨] وقال رسول الله ﷺ «لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار».

وقد ثبت في الصحاح [خ: (٢٩٧٥)، م(٢٤٠٧)] وغيرها أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه» فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها حتى قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فلما أصبح أعطاها عليا ففتح الله على يديه، ورواه جماعة منهم مالك ويحيى بن سعيد ويعقوب بن عبد الرحمن وجرير بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وأخرجه مسلم [٢٤٠٥]. ورواه ابن أبي حازم عن سهل بن سعد أخرجاه في الصحيحين [خ:(٢٩٤٢)، م(٢٤٠٦)] وقال في حديثه: فدعا به رسول الله ﷺ وهو أرمد فبصق في عينيه فبرأ» ورواه إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ويزيد بن أبي عبيد عن مولاه سلمة أيضاً، وحديثه عنه في الصحيحين [خ: (٤٢٠٩)، م(٢٤٠٦)]

وقال محمد بن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار»، قال سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً وهو أرمد فتفل في عينية ثم قال: «خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك» قال سلمة: فخرج والله بها يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب، قال اليهودي: غُلِبتُم ومن أنزل التوراة على موسى قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاء مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذي جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ.

رواية بريدة بن الحصيب:

وقال الإمام أحمد [٣٥٣/٥]: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة حدثني بريدة بن الحصيب قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد عمر فخرج فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله ﷺ: «إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له»ـ قال: وبتنا طيبةً أنفسنا أن الفتح غداً ـ قال: فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا عليا وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له، قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها.

ورواه النسائي [كبرى (٨٤٠٢)] من حديث الحسين بن واقد به أطول منه.

ثم رواه أحمد [٣٥٨/٥] عن محمد بن جعفر وروح كلاهما عن عوف عن ميمون أبي عبد الله الكردي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به نحوه، وأخرجه النسائي [كبرى (٨٤٠٣، ٨٦٠٠)] عن بندار عن غندر به وفيه الشعر.

رواية عبد الله بن عمر:

ورواه هشيم عن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة. ورواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه: «قال علي: فما رمدت بعد يومئذ» ورواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سيأتي.

رواية ابن عباس:

وقال أبو يعلى: حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فقال: «أين علي؟» قالوا: يطحن، قال: وما أحد منهم يرضى أن يطحن، فأتي به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب.

وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل.

ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن

عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتمامه.

فقال الإمام أحمد [٣٣٠/١، ٣٣١] عن يحيى بن حماد: حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج حدثنا عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن يُخلونا هؤلاء؟ فقال: بل أقوم معكم - وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى - قال: وابتدؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أفٍ وتُفٍ، وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ: «لأبعثنَّ رجلا لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثا فأعطاه إياه فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب. قال: ثم بعث فلانا بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، ثم قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه». قال: وقال لبني عمه: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا قال: وعلي معه جالس فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة. قال: فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال: «أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟» فأبوا فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال: «أنت وليي في الدنيا والآخرة».

قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: وشرى على نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه.

قال: وكان المشركون يرومون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال: يانبي الله! فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال: وجعل علي يُرمى بالحجارة كما كان يُرمى رسول الله ﷺ وهو يتضوّر وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنك لئيم قد كان صاحبك نرميه فلا يتضوّر وأنت تتضوّر وقد استنكرنا ذلك، قال: وخرج - يعني رسول الله ﷺ بالناس في غزوة تبوك - فقال له علي: أخرج معك؟ فقال له النبي ﷺ: «لا» فبكى علي فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت ولي كل مؤمن بعدي» قال وسد أبواب المسجد غير باب علي قال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإن مولاه عليٌّ».

قال: وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم فهل حدثنا أنه سخط عليهم بعد؟.

قال: وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال: ائذن لي أن أضرب عُنقه - يعني حاطب بن أبي بلتعة - قال: «وكنتَ فاعلاً؟ وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

وقد روى الترمذي [٣٧٢٢] بعضه من طريق شعبة عن أبي بلج يحيى بن أبي سليم واستغربه. وأخرج النسائي [كبرى (٨٤٢٧، ٨٤٢٨)] بعضه أيضاً عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد به.

رواية عمران وقال البخاري في التاريخ: حدثنا عمر بن عبد الوهاب الرياحي حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ربعي عن عمران بن حصين. قال: قال رسول الله ﷺ: «لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فبعث إلى علي وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه الرايه فما رد وجهه حتى فتح الله عليه، وما اشتكاهما بعد».

ورواه أبوالقاسم البغوي عن إسحاق بن إبراهيم عن أبي موسى الهروي عن علي بن هاشم عن محمد بن علي عن منصور عن ربعي عن عمران فذكره.

وأخرجه النسائي [كبرى (٨١٥٠، ٨٤٠٧)] عن عباس العنبري عن عمر بن عبد الوهاب به.

رواية أبي سعيد في ذلك:

قال الإمام أحمد [١٦/٣]: حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المثنى قالا: حدثنا إسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ثم قال: «من يأخذها بحقها؟» فجاء بلال فقال: أنا فقال: «أمِطْ» ثم جاء رجل آخر فقال أنا فقال «أمِطْ» ثم قال النبي ﷺ: «والذي أكرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفر»، فجاء علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهما وقديدهما.

ورواه أبو يعلى [مسنده (١٣٤٦)] عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال في سياقه: فجاء الزبير فقال: أنا فقال: «أمِطْ» ثم جاء آخر فقال: «أمِطْ» وذكره تفرد به أحمد.

رواية علي بن أبي طالب في ذلك:

وقال الإمام أحمد [٩٩/١، ١٣٣]: حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أبي يسمر مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له: لو سألته فسأله فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله إني أرمد العين فتفل في عيني وقال: «اللهم أذهب عنه الحر والبرد» فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ، وقال: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار» فتشرف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيها. تفرد به أحمد.

وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال، زاد بعضُهم: والحكم بن عُتيبة، ورواه غير واحد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولا.

وقال أبو يعلى [مسنده (٥٩٣)]: حدثنا زهير حدثنا جرير عن مغيرة عن أم موسى قالت: سمعت عليا يقول: «ما رمدت ولا صدِّعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية.

رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك:

ثبت في الصحيحين [خ: (٣٧٠٦)، م(٢٤٠٤)] من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي.

قال أحمد [١٨٥/١] ومسلم [٢٤٠٤] والترمذي [٣٧٢٤]: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما

يمنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمّا ماذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول اللّه ﷺ فلا؛ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول اللّه ﷺ يقول- وخلّفه في بعض مغازيه - فقال له علي: يا رسول اللّه أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول اللّه ﷺ : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوّة بعدي؟» وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله». قال: فتطاولت لها قال «ادعوا لي عليا» فأتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح اللّه عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول اللّه ﷺ عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاء أهلي»: ثم قال الترمذي: حسن صحيح.

وقد رواه أحمد [١٧٩/١] مسلم [٢٤٠٤] والترمذي [٣٧٣١] والنسائي [كبرى (٨٤٣٠، ٨٤٣٣)] من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول اللّه ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقال الترمذي: ويستغرب من رواية سعيد عن سعد.

وقال الإمام أحمد [١٤٨/١] : حدثنا أحمد الزبيري حدثنا عبد اللّه بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد اللّه عن أبيه - يعني عبد اللّه بن عمر - عن سعد قال: لما خرج رسول اللّه ﷺ إلى تبوك خلف عليا فقال: أتخلفني؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟»

وهذا بإسناد جيد ولم يخرجوه.

وقال أحمدُ: حدثنا محمدُ بنُ جعفر، ثنا شعبةُ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، سمعتُ إبراهيمَ بنَ سعدٍ يُحدِّثُ عن سعدٍ، عن النبيِّ ﷺ [٦٨/٦ظ] أنه قال لعليٍّ: «أما تَرْضَى أن تكون منى بمنزلةِ هارونَ من موسى؟» أخرجاه مِن حديثِ محمدِ بن جعفرٍ به.

وقال أحمد [١٧٠/١] : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا الجُعَيد بن عبد الرحمن الجعفي عن عائشة بنت سعد عن أبيها: أن عليا خرج مع رسول اللّه ﷺ حتى جاء ثنية الوداع وعلي يبكي يقول: تخلفني مع الخوالف؟ فقال: «أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة؟».

وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه.

وقال الحسن بن عرفة العبدي: حدثنا محمد بن خازم أبو معاوية الضرير عن موسى بن مسلم الشيباني عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فأتاه سعد بن أبي وقاص فذكروا عليا فقال سعد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها. سمعته يقول «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعته يقول: «لأعطين الراية غداً رجلا يحب اللّه ورسوله»، وسمعته يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» إسناده حسن ولم يخرجوه.

وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا أحمد بن خالد الوهبي أبو سعيد حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي نجيح عن أبيه قال: لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك؛ قال: فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟! واللّه لأن يكون فيَّ إحدى خلا له الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزا تبوكا «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» لأحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله يفتح اللّه على يديه ليس بفرار» أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ما له أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم ثم نفض رداءه ثم خرج.

وقال أحمد [١٨٢/١]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول اللّه ﷺ علي بن أبي طالب فقال: يا رسول اللّه تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟» إسناده على شرطهما ولم يخرجاه.

وهكذا رواه أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب عن أبيه. ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه فاللّه أعلم. وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها.

قال الحافظ ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول اللّه ﷺ جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن عباس وعبد اللّه بن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد اللّه وجابر بن سمرة وأبو سعيد والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشي بن جناده ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفيل، وأم سلمة وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة.

وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والأنداد. رحمه رب العباد يوم التناد.

رواية عمر رضي اللّه عنه في ذلك:

قال أبو يعلى: حدثنا عبد اللّه بن عمر حدثنا عبد اللّه بن جعفر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم. قيل: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول اللّه ﷺ لا يحل لي فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر.

وقد روي عن عمر من غير وجه.

رواية ابن عمر رضي اللّه عنهما:

وقد رواه الإمام أحمد [٢٦/٢] عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال: «كنا نقول في زمان رسول اللّه ﷺ: رسول اللّه خير الناس، ثم خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثا لأن أكون أعطيتهن أحب إلي من حمر النعم. فذكر هذه الثلاث.

وقد روى أحمد [٣٣٨/٣] والترمذي [٣٧٣٠] من حديث عبد اللّه بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول اللّه ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟»

ورواه أحمد [٣/٣٢] من حديث عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

ورواه الطبراني [الأوسط (١٤٨٨)] من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً.

ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» قال سلمة: وسمعت مولى لبني موهبة يقول: سمعت ابن عباس يقول: قال النبي ﷺ . مثله.

تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما:

قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن أبيه سمع رجل علياً على منبر الكوفة يقول: «أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها، فقال: «هل عندك شيء؟» قلت: لا! قال: «فأين درعك الحطيمة التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟» قلت عندي، قال: «فأعطها» فأعطيتها فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال: «لا تحدثا شيئا حتى آتيكما»، قال: فأتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحشحشنا فقال: «مكانكما»، ثم دعا بقدح من ماء فدعا فيه ثم رشه عليَّ وعليها، فقلت: يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي؟ قال: «هي أحب إلي وأنت أعز علي منها».

وقد روى النسائي [كبرى (١٠٠٨٧، ١٠٠٨٨)] من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق، وفيه: أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار، وأنه دعا لهما بعدما صب عليهما الماء، فقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شملهما» - يعني الجماع.

وقال محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها: «أي بنية! إن ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين؟» فبكت ثم قالت: كأنك يا أبت إنما دخرتني لفقير قريش؟ فقال: «والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السماء»، فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله لي ورسوله. فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال: «يا علي اخطب لنفسك» فقال علي: الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله زوجني ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا، قالوا: ما تقول يا رسول الله؟ قال: «أشهدكم إني قد زوجته».

رواه ابن عساكر وهو منكر.

وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها لئلا يطول الكتاب بها. وقد أورد منها الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» مع ضعفها ووضعها طرفاً جيداً.

وروى وكيع عن أبي خالد عن الشعبي قال قال علي: «ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته وتعجن فاطمة على ناحيته».

وفي رواية مجالد عن الشعبي: ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي خادم عليها غيرها.

حديث آخر: قال أحمد [٤/٣٦٩]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد قال: فقال يوماً: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي» قال: فتكلم في ذلك أناسٌ فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئا ولا فتحته، ولكن أمرت بشيء فاتبعته».

وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره.

وقد تقدم مارواه أحمد والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه: سد الأبواب غير باب علي.

وكذا رواه شعبة عن أبي بلج عن ابن عباس.

ورواه سعد بن أبي وقاص: قال أحمدُ: ثنا حجاجٌ، ثنا فِطْرٌ، عن عبد الله بن شريك، عن عبدِ اللهِ بنِ الأَرْقَمِ الكِنانيِّ قال: خرجْنا إلى المدينة زمنَ الجملِ فلقينا سعدَ بن مالكٍ بها فقال: أمر رسولُ اللهِ ﷺ بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وتركِ بابِ عليٍّ. تفرَّدَ به أحمدُ.

طريقٌ أخرى عن سعدٍ: قال أبو يعلى [مسنده(٧٠٣)] حدثنا موسى بن محمد بن حيّان حدثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان حدثنا غسان بن بشر الكاهلي عن مسلم عن خيثمة عن سعد «أن رسول الله ﷺ سد أبواب الناس في المسجد وفتح باب علي فقال الناس في ذلك فقال: «ما أنا فتحته ولكن الله فتحه» وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري [٤٦٦] من أمره عليه الصلاة والسلام في مرضه الذي مات فيه بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق لأن نفي هذا في حقّ عليٍّ كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها، فجعل هذا رفقا بها، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلي بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه الصلاة والسلام وفيه إشارة إلى خلافته.

وقال الترمذي [٣٧٢٧]: حدثنا علي بن المنذر حدثنا ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصه عن عطية عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا يحل لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك» قال علي بن المنذر: قلت لضرار بن صرد: ما معنى هذا الحديث؟ قال: لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك. ثم قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد سمع محمد بن إسماعيل مني هذا الحديث فاستغربه.

وقد رواه ابن عساكر من طريق كثير النواء عن عطية عن أبي سعيد به.

ثم أورده من طريق أبي نعيم: حدثنا عبد الملك بن أبي غَنِيّة عن أبي الخطاب عمر الهَجَري عن محدوج عن جسرة بنت دجاجة أخبرتني أم سلمة قالت: خرج النبي ﷺ في بيته حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته: «إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وأزواجه وعلي وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم الأسماء أن تضلوا».

وهذا إسناد غريب وفيه ضعف، ثم ساقه من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً.

حديث آخر: قال الحاكم [المستدرك: ٣/١١٠] وغير واحد [مسند أحمد: ٥/٣٤٧] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب: قال غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقدمت على رسول الله ﷺ

فذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: «يابريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقلت: بلى يا رسول الله. فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وقال الإمام أحمد [٣٥٦/٥] : حدثنا ابن نمير، حدثنا الأجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال: «إذا التقيتما فعلي على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده»، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى عليٌ امرأة من السبي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فلما أتيت رسول الله ﷺ دفعت إليه الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثني مع رجل وأمرني أن أطيعه فبلّغت ما أرسلت به، فقال رسول الله ﷺ «لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي».

هذه اللفظة منكرة والأجلح شيعي ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها، وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم. والمحفوظ في هذا رواية أحمد [٣٥٨/٥، ٣٦١] عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنت وليُّه فعلي وليه».

ورواه أحمد [٣٥٠/٥] أيضاً والحسن بن عرفة، عن أبي معاوية، عن الأعمش به.

ورواه النسائي [كبرى (٨١٤٤، ٨٤٦٥)] عن أبي كريب عن أبي معاوية به.

وقال أحمد [٣٥٩/٥]: حدثنا روح عن علي بن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «بعث رسول الله ﷺ عليا إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر، فقال خالد لبريدة: ألا ترى ما يصنع هذا؟ قال: فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ أخبرته ما صنع علي، قال: ـ وكنت أبغض علياً ـ فقال: « يا بريدة أتبغض علياً؟» فقلت: نعم! قال: «لا تبغضه وأحبّه فإن له في الخمس أكثر من ذلك». وقد رواه البخاري في الصحيح [٤٣٥٠] عن بندار عن روح به مطولا.

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عبد الجليل قال: انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وابن بريدة فقال عبد الله بن بريدة: حدثني أبي بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً، قال: وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه عليّا، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل قال: فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً فأصبنا سبياً فكتب إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا من يخمسه، فبعث إلينا علياً قال: وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي ـ فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم ترو إلى الوصيفة التي كانت في السبي؟ فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم صارت في آل علي فوقعت بها، قال: وكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعثني؟ فبعثني مصدقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يديّ والكتاب قال: «أتبغض علياً؟» قال: قلت: نعم! قال: «فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة»، قال: فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي. قال عبد الله: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة.

تفرد به أحمد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجواب عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب.

وقد رواه الترمذي [١٧٠٤، ٣٧٢٥] عن عبد الله بن أبي زياد عن أبي الجواب الأحوص بن جواب به وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وقال الإمام أحمد [٤٣٧/٤]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سرية وأمر عليها علي بن أبي طالب فأحدث شيئا في سفره فتعاهد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران: وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله ﷺ فسلمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إن علياً فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا، فأعرضَ عنه، ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا، قال: فأقبل رسول الله صلى ا لله عليه وسلم على الرابع وقد تغير وجهه وقال: «دعوا عليّاً، دعوا علياً، إن عليًا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي».

وقد رواه الترمذي [٣٧١٢] والنسائي [كبرى (٨١٤٦)] عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسياق الترمذي مطول وفيه «أنه أصاب جارية من السبي» ثم قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان.

ورواه أبو يعلى الموصلي عن عبيد الله بن عمر القواريري والحسن بن عمر بن شقيق الحرمي والمعلى بن مهدي كلهم عن جعفر بن سليمان به.

وقال خيثمة بن سليمان: حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى، ثنا يوسف بن صهيب عن رُكين عن وهب بن حمزة قال: سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة، فرأيت منه جفوة فقلت: لئن رجعت فلقيت رسول الله ﷺ لأنالن منه، قال: فرجعت فلقيت رسول الله ﷺ فذكرت عليا فنلت منه، فقال لي رسول الله ﷺ: «لا تقولن هذا لعلي فإن علياً وليكم بعدي»

وقال أبو داود الطيالسي [مسنده (٢٧٥٢)]: عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن بن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت ولي كل مؤمن بعدي»

وقال الإمام أحمد [٨٦/٣]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ـ وكانت عند أبي سعيد الخدري ـ عن أبي سعيد قالت: اشتكى عليا الناس فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول: «أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله». أو «في سبيل الله».

تفرد به أحمد.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٩٨/٥، ٣٩٩]: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا أبو سهل بن زياد القطان حدثنا أبو إسحاق القاضي حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت فيمن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن

نركب منها ونريح إبلنا ـ وكنا قد رأينا في إبلنا خللا ـ فأبى علينا وقال: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين، قال: فلما فرغ علي وانصفق من اليمن راجعاً، أمر علينا إنسانا فأسرع هو فأدرك الحج، فلما قضى حجته قال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم». قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه ففعل، فلما جاء علي عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت ـ رأى أثر المراكب ـ فذم الذي أمره ولامه، فقلت: أما إن لله علي إن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق، قال: فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ فلما رآني وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته وقال: متى قدمت؟ قلت: قدمت البارحة، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ فدخل فقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد، قال: «ائذن له» فدخلت فحييت رسول الله ﷺ وحياني وسلّم عليّ وسألني عن نفسي وعن أهلي فأحفى المسألة فقلت: يا رسول الله لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، فابتدر رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ على فخذي ـ وكنت منه قريباً ـ وقال: «سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه أخشنُ في سبيل الله»، قال: فقلت في نفسي: ثكلتك أمك سعد بن مالك الا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري، لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية».

وقال يونس بن بكير. عن محمد بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن خاله عمرو بن شأس الأسلمي ـ وكان من أصحاب الحديبية ـ قال: كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي، فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد فلما رآني أنظر إلى عينيه نظر إلي حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال: أما إنه والله ياعمرو لقد آذيتني»، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ فقال: «من آذى عليا فقد آذاني»

وقد رواه الإمام أحمد [٤٨٣/٣] عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شأس فذكره.

وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن أبان عن الفضل.

وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبان بن صالح به ولفظه: «فقال رسول الله ﷺ : «من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله».

وروى عباد بن يعقوب الرواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجدة بن هبيرة عن عمرو بن شأس قال: قال رسول الله ﷺ: «ياعمرو إن من آذى علياً فقد آذاني».

وقال أبو يعلى: حدثنا محمود بن خداش حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا قنان بن عبد الله النهمي حدثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه فقال: «ما لكم وما لي؟ من آذى عليًا فقد آذاني».

حديث غدير خم:

قال الإمام أحمد [٣٧٠/٤]: حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا: حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس ـ قال أبو نعيم: فقام ناس كثير ـ فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له.

ورواه النسائي [كبرى (٨٤٦٤)] من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك.

وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم: أن علياً انتشد الناس: من سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقام ستة عشر رجلا فشهدوا بذلك وكنت فيهم.

وقال أبو يعلى [مسنده (٥٦٧)] وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه [١١٩/١]: حدثنا القواريري حدثنا يونس بن أرقم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّاً في الرحبة يناشد الناس: أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» لما قام فشهد قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم رواه عبد الله بن أحمد [١١٩/١] عن أحمد بن عمر الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نزار عن سماك بن عبيد بن الوليد العنسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره، قال: فقام اثنا عشر رجلا فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله».

وهكذا رواه أبو داود الطهوي ـ واسمه عيسى بن مسلم ـ عن عمرو بن عبد الله بن هند الجملي وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره بنحوه، قال الدارقطني: غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي.

قال الطبراني [الأوسط (٢٢٧٥)، والصغير: ٦٤/١] : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المديني سنة تسعين ومائتين. حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت عليّاً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله ﷺ من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول ما قال؟ فقام اثنا عشر رجلا منهم أبوهريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي عن الحسن بن علي بن عفان العامري عن عبد الله بن موسى عن فطر، عن أبي إسحاق، عن

عمرو ذي مُرٍّ وسعيد بن وهب وعن زيد بن يُثَيع قالوا: سمعنا عليا يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه، وانصر من نصره واخذل من خذله» قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث: يا أبا بكر أي أشياخ هم؟.

وكذلك رواه عبد الله بن أحمد [١١٨/١] عن علي بن حكيم الأودي عن شَريك عن أبي إسحاق فذكر نحوه.

وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا: سمعنا عليا برحبة الكوفة يقول: أنشد الله سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقام عدة من أصحاب رسول الله صلى ا لله عليه وسلم فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك.

وقال الإمام أحمد [فضائل الصحابة (١٠٢١)]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»

وقال أحمد [٤١٩/٥]: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة [المصنف: (١٢١٢٢)] : حدثنا شريك عن حنش عن رياح بن الحارث قال: بينا نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يامولاي فقال: من هذا؟ فقال أبو أيوب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»

وقال أحمد [٨٨/١]: حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا الربيع - يعني ابن أبي صالح الأسلمي - حدثني زياد بن أبي زياد الأسلمي سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال: أنشد الله رجلا مسلما سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال، فقام اثنا عشر رجلا بدرياً فشهدوا.

وقال أحمد [٨٤/١]: حدثنا ابن نمير حدثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحمن الكندي عن زاذان أبي عمر قال: سمعت عليّاً في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خم وهو يقول ماقال؟ فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وقال عبد الله بن أحمد [١٥٢/١]: حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا شبابة حدثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: فزاد الناس بعد: «اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وقد روي هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم.

وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سَريحة أو زيد بن أرقم - شعبة الشاك - قال قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

قال سعيد بن جبير: وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس.

رواه الترمذي [ت (٣٧١٣)] عن بندار عن غندر وقال: حسن غريب.

وقال الإمام أحمد [٣٧٢/٤]: حدثنا عفان، حدثنا أبوعوانة عن المغيرة، عن أبي عبيد عن ميمون بن أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له واد خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: فخطبنا وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سَمُر من الشمس فقال: «ألستم تعلمون - أو ألستم تشهدون - أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى! قال: «فمن كنت مولاه فإن عليا مولاه، اللّهم عاد من عاداه ووال من والاه».

وكذا رواه أحمد [٣٧٢/٤، ٣٧٣] عن غندر عن شعبة عن ميمون بن أبي عبد الله عن زيد بن أرقم.

وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعي وحبيب الإسكاف وعطية العوفي وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر بن واثلة.

وقد رواه معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: لما قفل رسول الله ﷺ من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال: «أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأنّ البعث بعد الموت حقّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟» قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: «اللّهم اشهد». ثم قال: «يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ثم قال: «أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون عليّ الحوض حوضٌ أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدْحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما؛ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

رواه ابن عساكر بطوله من طريق معروف كما ذكرنا.

وقال عبد الرزاق: أنا معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا غديرخم فبعث منادياً ينادي، فلما اجتمعنا قال: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «ألست أولى بكم من أمهاتكم؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «ألست أولى بكم من آبائكم؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «ألست؟ ألست؟ ألست؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن.

وكذا رواه ابن ماجه [١١٦] من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جُدعان.

ورواه أبو يعلى عن هُدبة بن خالد وإبراهيم بن الحجاج السامي عن حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي عن عدي بن ثابت

عن البراء به.

وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عن البراء به.

وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طرق عنه وأبي سعيد الخدري وحبشي بن جنادة وجرير بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبي هريرة، وله عنه طرق منها - وهي أغربها - الطريق الذي قال:

الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٢٩٠/٨]: حدثنا عبد الله بن علي بن محمد بن بشران أنا علي بن عمر الحافظ أنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال حدثنا علي بن سعيد الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غديرخم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست ولي المؤمنين؟» قالوا بلى يا رسول الله! قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣]. ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة.

قال الخطيب: اشتهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال: إنه تفرد به، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النّيريّ، عن علي بن سعيد الشامي.

قلت: وفيه نكارة من وجوه منها:

قوله نزل فيه ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣] وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضاً، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين [خ: (٤٥)، م(٣٠١٧)] عن عمر بن الخطاب وقد تقدم. وقد روي عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه الصلاة والسلام «من كنت مولاه» والأسانيد إليهم ضعيفة.

حديث الطير:

وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شيء من ذلك:

قال الترمذي [٣٧٢١]: حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السُّدي، عن أنس قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فجاء علي فأكل معه، ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه من حديث السُّدي إلا من هذا الوجه، قال: وقد روى من غير وجه عن أنس.

وقد رواه أبو يعلى [مسنده (٤٠٥٢)] عن الحسن بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به.

وقال أبو يعلى: حدثنا قطن بن بشير حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا عبد الله بن مثنى حدثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال: أهدي لرسول الله ﷺ حَجَل مشوي بخبزه وصنابه فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام» فقالت عائشة: اللّهم اجعله أبي، وقالت حفصة: اللّهم اجعله أبي، وقال أنس: وقلت: اللّهم اجعله سعد بن عبادة، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجتُ فإذا عليٌّ، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة. فانصرَفَ ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فإذا علي بالباب، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم عليٌّ فسمع رسول الله ﷺ صوته فقال: «انظر من هذا؟» فخرجت فإذا هو علي فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «ائذن له». فدخل عليٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم وإليَّ، اللّهم وإليَّ».

ورواه الحاكم في مستدركه [٣/١٣٠، ١٣١] عن أبي علي الحافظ عن محمد بن أحمد الصفار وحميد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبي غسان أحمد بن عياض عن أبي طَيبة عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فذكره.

وهذا إسناد غريب.

ثم قال الحاكم: هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم. وهذا فيه نظر، فإن أبا علاثة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه، وممن رواه عنه أبو القاسم الطبراني [الأوسط (٦٥٥٧)] ثم قال: تفرد به عن أبيه والله أعلم.

قال الحاكم: وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً.

قال شيخنا الحافظ الكبير أبوعبد الله الذهبي: وَصْلُهم بثقة يصح الإسناد إليه. ثم قال الحاكم: وصحت الرواية عن علي وأبي سعيد وسفينة.

قال شيخنا أبو عبد الله: لا والله ما صح شيء من ذلك.

ورواه الحاكم [٣/١٣٠، ١٣١] من طريق إبراهيم بن ثابت القصار - وهو مجهول - عن ثابت البناني عن أنس قال: دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس: اسكت عن سب علي. فذكر الحديث مطولا وهو منكر سنداً ومتناً، ثم لم يورد الحاكم في مستدركه غير هذين الحديثين.

وقد رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس. وهذا أجود من إسناد الحاكم.

ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك. فقال: أهدي لرسول الله ﷺ طير مشوي فقال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فذكر نحوه.

ورواه محمد بن مُصَفّى عن حفص بن عمر عن موسى بن مسعود عن الحسن عن أنس فذكره.

ورواه علي بن الحسن الشامي عن خليد بن دعلج عن قتادة عن أنس بنحوه.

ورواه أحمد بن يزيد الورتنيسي عن زهير عن عثمان الطويل عن أنس فذكره.

ورواه عبيد الله بن موسى عن سُكين بن عبد العزيز عن ميمون أبي خلف حدثني أنس بن مالك فذكره.

قال الدارقطني: هذا حديث غريب من حديث ميمون أبي خلف تفرد به سُكين بن عبد العزيز.

ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس.

ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض حدثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة

فسأله عن علي بن أبي طالب فقال: أهدي للنبي ﷺ طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال: «اللّهم ائتني بأحب الخلق إليك يأكل معي». فذكره.

وقال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٧١/٣]: أنا الحسن بن أبي بكر أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح حدثنا محمد بن القاسم النحوي أبو عبد اللّه حدثنا أبوعاصم عن أبي الهندي عن أنس فذكره.

ورواه الحكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره.

وقال أبو يعلى [مسنده: (٤٠٥٢)]: حدثنا الحسن بن حماد الوراق، حدثنا مسهر بن عبد الملك بن سلع - ثقة -، حدثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدي أن رسول اللّه ﷺ كان عنده طائر فقال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، فجاء أبو بكر فرده، ثم جاء عمر فرده ثم جاء عثمان فرده ثم جاء علي فأذن له.

وقال أبو العباس بن عقدة حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا يوسف بن عدي، حدثنا حماد بن المختار الكوفي حدثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال: أهدي لرسول اللّه ﷺ طائر فوضع بين يديه فقال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي» قال: فجاء علي فدق الباب فقلت: من ذا؟ فقال: أنا علي، فقلت: إن رسول اللّه ﷺ على حاجة. حتى فعل ذلك ثلاثا، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبي ﷺ : «ما حبسك؟» فقال: قد جئت ثلاث مرات فيحبسُني أنس، فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ذلك؟» قال قلت: كنت أحب أن يكون رجلا من قومي» وقد رواه الحاكم النيسابوري عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين الكسائي عن أبي توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن أنس فذكره، ثم قال الحاكم: لم نكتبه إلا بهذا الإسناد.

وساقه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٤٨/١٢] من حديث الحارث بن نبهان عن إسماعيل - رجل من أهل الكوفة - عن أنس بن مالك فذكره.

ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني عن النجم بن بشير، عن إسماعيل أبي سليمان أخي إسحاق بن سليمان الرازي عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس فذكره.

ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن علي السلمي عن أبي حذيفة العقيلي عن أنس فذكره.

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو هشام حدثنا ابن فضيل حدثنا مسلم الملائي عن أنس قال: أهدت أم أيمن إلى رسول اللّه ﷺ طيراً مشوياً فقال: «اللّهم ائتني بمن تحبه يأكل معي من هذا الطير»، قال أنس: فجاء علي فستأذن فقلت: هو على حاجته، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت: هو على حاجته فرجع، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي ﷺ صوته فقال: «ائذن له» فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل منه وحمد اللّه.

فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال.

وقال شيخنا أبو عبد اللّه الذهبي - في جزء جمعه في هذا الحديث بعدما أورد طرقا متعددة نحواً مما ذكرنا: ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبي عصام خالد بن عبيد ودينار أبي مكيس وزياد بن محمد الثقفي وزياد العبسي وزياد بن المنذر وسعد بن ميسرة البكري وسليمان التيمي وسليمان بن علي الأمير وسلمة بن وردان وصبّاح بن محارب وطلحة بن مصرف وأبي الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن أبي حفص الثقفي الضرير وعمر بن سليم البجلي وعمر بن يحيى الثقفي وعثمان الطويل وعلي بن أبي رافع وعيسى بن طهمان وعطية العوفي وعباد بن عبد الصمد وعمار الذهبي وعباس بن علي وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكلثوم بن جبر ومحمد بن علي الباقر والزهري ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفي ومحمد بن جحادة وميمون بن مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمي ومنصور بن عبد الحميد ومعلى بن أنس وميمون أبي خلف الحراني وقيل: أبو خالد ومطر أبي خالد ومعاوية بن عبد اللّه بن جعفر وموسى بن عبد اللّه الجهني ونافع مولى ابن عمر والنضر بن أنس بن مالك ويوسف بن إبراهيم ويونس بن خبّاب ويزيد بن سفيان ويزيد بن أبي حبيب وأبي المليح وأبي الحكم وأبي داود السبيعي وأبي حمزة الواسطي وأبي حذيفة العقيلي وإبراهيم بن هدبة. ثم قال بعد أن ذكر الجميع: الجميع بضعة وتسعون نفساً أقربها غرائب ضعيفة وأردؤها طرق مختلفة مفتعلة وغالبها طرق واهية.

وقد روي من حديث سفينة مولى رسول اللّه ﷺ فقال أبو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلي قالا: حدثنا القواريري حدثنا يونس بن أرقم حدثنا مطير بن أبي خالد عن ثابت البجلي عن سفينة مولى رسول اللّه ﷺ قال: أهدت امرأة من الأنصار طائرين بين رغيفين إلى النبي ﷺ ولم يكن في البيت غيري وغير أنس - فجاء رسول اللّه ﷺ فدعا بغدائه. فقلت: يا رسول اللّه قد أهدت لك امرأة من الأنصار هدية، فقدمت الطائرين إليه فقال رسول اللّه ﷺ: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك»، فجاء علي بن أبي طالب فضرب الباب ضرباً خفيفاً، فقلت: من هذا؟ قال: أبو الحسن، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول اللّه ﷺ : «من هذا؟» قلت: علي بن أبي طالب قال: «افتح له»، ففتحت له فأكل معه رسول اللّه ﷺ من الطيرين حتى فنيا.

وروي عن ابن عباس فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا حسين بن محمد حدثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن علي بن عبد اللّه بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس قال: أُتي النبي ﷺ بطائر فقال: «اللّهم ائتني برجل يحبه اللّه ورسوله» فجاء علي فقال: «اللّهم وإليّ».

وروي عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب: حدثنا عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن علي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال: أهدي لرسول اللّه ﷺ طير يقال له الحُبارَى فوضعت بين يديه- وكان أنس بن مالك يحجبه - فرفع النبي ﷺ يده إلى اللّه ثم قال: «اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير». قال: فجاء علي فاستأذن فقال له أنس: إن رسول اللّه -يعني- على حاجته، فرجع ثم أعاد رسول اللّه ﷺ الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله، فلما رآه رسول اللّه قال: «اللّهم وإليّ». فأكل معه فلما أكل رسول اللّه ﷺ وخرج علي قال أنس اتّبعتُ علياً فقلت: يا أبا الحسن استغفر لي فإن لي إليك ذنباً وإن عندي بشارة، فأخبرته بما كان من النبي ﷺ فحمد اللّه واستغفر لي ورضي عني أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه

ومن حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري أورده ابن عساكر من طريق عبد اللّه بن صالح كاتب الليث عن ابن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله.

وقد روي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم [المستدرك: ١٣١/٣] ولكن إسناده مظلم وفيه ضعف.

وروي من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضاً ومن حديث يعلى

بن مرة والإسناد إليه مظلم، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح بل طريقه مظلم.

وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب «التاريخ»، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً ومتنا للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم. وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه والله أعلم.

حديث آخر في فضل علي رضي الله عنه:

قال أبو بكر الشافعي: حدثنا بشر بن موسى الأسدي حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار في نخل لها يقال له الأسواف، ففرشت لرسول الله ﷺ تحت صَوْر لها مرشوش فقال رسول الله ﷺ: «الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة»، فجاءه أبو بكر، ثم قال: «الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة»، فجاء عمر، ثم قال: «الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة» قال: فلقد رأيته مطأطئا رأسه تحت الصَّوْر ثم يقول: «اللهم إن شئت جعلته علياً»، فجاء علي، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله ﷺ شاة وصنعتها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ما توضأ ولا توضأنا، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا

حديث آخر:

قال أبو يعلى [مسنده (٤٨٥٧)]: حدثنا الحسن بن حماد الكوفي حدثنا ابن أبي غَنِيّة عن أبيه عن الشيباني عن جميع بن عمير قال: دخلت مع أُمي على عائشة فسألتها عن علي فقالت: ما رأيت رجلا كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته.

وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عيمر به.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [٣٢٣/٦]: حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟ فقلت: معاذ الله ـ أو سبحان الله أو كلمة نحوها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبني».

وقد رواه أبو يعلى [مسنده (٧٠١٣)] عن أبي خيثمة عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بَجْلة من سُلَيم عن السدي عن أبي عبد الله الجَدَلي قال: قالت لي أم سلمة أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم على المنابر؟ قال: قلت وأنى ذلك؟ قالت: أليس يسب علي ومن أحبه؟ فأشهد أن رسول الله ﷺ كان يحبه.

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة.

وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك». ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها.

حديث آخر:

قال عبد الرزاق: أنا الثوري عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش قال: سمعت عليا يقول: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إلي: «إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

ورواه أحمد [٨٤/١] عن ابن نُمير ووكيع عن الأعمش.

وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الخُرَيبي وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورِّع ويحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش به.

وأخرجه مسلم في صحيحه [٧٨] عن وكيع وأبي معاوية، عن الأعمش به. ورواه حسان بن حسان عن شعبة عن عدي بن ثابت عن زِرّ عن علي فذكره. وقد روي من غير وجه عن علي. وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢٩٢/٦]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبي نصر حدثني مساور الحميري عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق».

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح.

وروى ابن عقدة عن الحسن بن علي بن بزيع حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى الجزار عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض عليا فهو كاذب ليس بمؤمن» وهذا بهذا الإسناد مختلق لا يثبت والله أعلم.

وقال الحسن بن عرفة: حدثني سعيد بن محمد الوراق عن علي بن الحزوَّر سمعت أبا مريم الثقفي سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: «طوبى لمن أحبك وصَدَق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك».

وقد روي في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها.

وقال غير واحد عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى علي فقال: «أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيب الله ومن أبغضك فقد أبغضني وبغيضك بغيض الله، والويل لمن أبغضك من بعدي» [فضائل الصحابة (١٠٩٢)، المستدرك: ١٢٨/٣].

وروى غير واحد أيضاً عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك من عيسى ابن مريم مثلا أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به» قال علي: ألا وإنه يهلك في اثنان محب مطرٍ يُقرِّظني بما ليس في. ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم.

لفظ عبد الله بن أحمد [زوائد المسند: ١٦٠/١].

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا علي بن

مسهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عبابة عن علي قال: أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لكِ وهذا لي.

قال يعقوب: وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله، وعبابة أقل منه ليس حديثه بشيء. وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا الحديث فقال له الأعمش: إذا نسيت فذكروني. ويقال: إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم في تصديقهم ذلك.

قلت: وما يتوهمه بعض العوام - بل هو مشهور بين كثير منهم - أن علياً هو الساقي على الحوض فليس له أصل ولم يجئ من طريق مرضي يعتمد عليه، والذي ثبت أن رسول الله ﷺ هو الذي يسقي الناس.

وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتي يوم القيامة راكباً إلا أربعة: رسول الله ﷺ على البراق، وصالح على ناقته، وحمزة على العضباء، وعلي على ناقة من نوق الجنة رافعاً صوته بالتهليل، وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلي يقول أحدهم: خذ بعلي، أعطني بعلي، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شيء من هذه الوجوه، وهو من وضع الرافضة ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت، ومن حلف بغير الله فقد أشرك.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [٨٣/١، ٨٤]: حدثني يحيى عن شعبة حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا وجع وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان آجلاً فارفعني، وإن كان بلاء فصبرني. قال: «ما قلت؟» فأعدت عليه فضربني برجله وقال: «ما قلت؟» فأعدت عليه فقال: «اللهم عافه» أو «اشفه» فما اشتكيت ذلك الوجع بعد.

حديث آخر:

قال محمد بن مسلم بن وارة: حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا أبو عمر الأزدي عن أبي راشد الحُبْراني عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب».

وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده.

حديث رد الشمس له حتى صلى العصر:

ضعيف لا يصح، قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيده وألفاظه كما تقدم فأغنى عن إعادته.

حديث آخر:

قال أبوعيسى الترمذي [٣٧٢٦]: حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال: «دعا رسول الله ﷺ عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ ما انتجيته ولكن الله انتجاه» ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله: «ولكن الله انتجاه» أن الله أمرني أن انتجي معه.

حديث آخر:

قال الترمذي [٣٧٣٧]: حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد حدثنا أبو عاصم عن أبي الجراح عن جابر بن صبح حدثتني أمي أم شراحيل حدثتني أم عطية قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم علي قالت: فسمعت رسول الله ﷺ رافعاً يديه يقول: «اللهم لا تمتني حتى تريني عليا» ثم قال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [١٨٩/١]: حدثنا علي بن عاصم قال: حصين أخبرنا عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال: لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال: فأقام خطباء يقعون في علي، قال: وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: فغضب فقام وأخذ بيدي وتبعته فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة! وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة، ولو شهدت على العاشر لم أثم، قال: قلت: وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «اثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» قال: قلت: من هم؟ فقال: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك. قال: قلت: ومن العاشر؟ قال: قال أنا.

وينبغي أن يكتب ها هنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبي عبد الله الجدلي: أليس رسول الله ﷺ فيكم على المنابر؟ الحديث رواه أحمد أيضاً.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [١٦٤/٤]: حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قالا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة السلولي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي».

ثم رواه أحمد [١٦٤/٤، ١٦٥] عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل.

حديث آخر:

قال أحمد [٣/١]: حدثنا وكيع قال: قال إسرائيل: قال أبو إسحاق عن زيد بن يثيع عن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعثه بـ«براءة» إلى أهل مكة «لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله». قال: فسار بها ثلاثا ثم قال لعلي: «الحقه وردَّ علي أبا بكر وبلِّغها أنت»، قال: فلما قدم أبو بكر على رسول الله ﷺ

بكى وقال: يا رسول الله حدث فيَّ شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتي».

وقال عبد الله بن أحمد [١٥١/١ مطولاً]: حدثني محمد بن سليمان لوين حدثنا محمد بن جابر عن سماك عن حبشي عن علي قال: لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي: «أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم»، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: «لا ولكن جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك».

وقد رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه. وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فإن الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع وكان علي هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منىً في يوم النحر وأيام التشريق ينادون بـ«براءة»؟ وقد قررنا ذلك في حجة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة.

حديث آخر:

روي من حديث أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة».

وفي حديث عن عائشة: «ذكر علي عبادة». ولكن لا يصح شيء منها فإنه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعي.

حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع:

قال الطبراني: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سَلْم الرازي حدثنا محمد بن يحيى بن ضريس العبدي حدثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم وإذا سائل فقال: «يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟» فقال: لا! إلا هاذاك الراكع - لعلي - أعطاني خاتمه.

وقال الحافظ ابن عساكر: أنا خالي أبو المعالي القاضي أنا أبو الحسن الخلعي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الرملي حدثنا القاضي جُملةُ بن محمد حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال: تصدق علي بخاتمة وهو راكع فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ والذينَ آمَنوا الذينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ وهُم رَاكِعُونَ﴾.

وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ولم ينزل في علي شيء من القرآن بخصوصيته وكل ما يوردونه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: ٨] وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي لا يصح شيء منها.

وأما قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] فثبت في الصحيح [خ: (٤٧٤٣، ٤٧٤٤)، م(٣٠٣٣)] أنه نزل في علي وحمزة وعبيدة من المؤمنين، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين.

وما روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل في أحد من الناس ما نزل في علي.

وفي رواية عنه أنه قال: نزل فيه ثلاثمائة آية. فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا. ولا يصحُّ أيضاً ما قالوا فيه أنه قال: ما نزلت آية فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلاَّ وعليٌّ بن أبي طالب رأسُها. كل ذلك لا يصح، وإنما هذا من غلو الرافضة.

حديث آخر

قال أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن بكار أبو الوليد حدثنا عبد الله بن المثنى الأنصاري عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل عليٌّ فسلم ثم وقف فنظر مكاناً يجلس فيه فنظر رسول الله ﷺ إلى وجوه أصحابه أيهم يوسع له - وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ جالسا - فتزحزح أبو بكر عن مجلسه وقال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر فرأينا السرور في وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل على أبي بكر فقال: «يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذَوو الفضل».

فأما الحديث الوارد عن علي وحذيفة مرفوعا «عليٌّ خير البشر، من أبى فقد كفر». فهو موضوع من الطريقين معاً قبح الله من وضعه واختلقه.

حديث آخر قال أبوعيسى الترمذي [٣٧٢٣]: حدثنا إسماعيل بن موسى بن عمر الرومي حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن علي قال: قال رسو ل الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» ثم قال: هذا الحديث غريب قال: وروى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس.

قلت: رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة عن الصنابحي عن علي مرفوعا: «انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة».

وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدي [الكامل: ١٩٢/١، ١٩٣] من طريق احمد بن سلمة أبي عمرو الجرجاني حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها» ثم قال ابن عدي: وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي عن أبي معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء. هكذا قال رحمه الله.

وقد روى احمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين أنه قال: أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا الحديث قديماً ثم كف عنه.

قال: وكان أبو الصلت رجلاً موسراً يكرم المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث.

وساقه ابن عساكر بإسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعا. ومن طريق أخرى عن جابر.

قال ابن عدي [الكامل: ١٩٥/١]: وهو موضوع أيضاً.

وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصح في هذا الباب شيء.

حديث آخر: يقرب مما قبله:

قال ابن عدي [الكامل: ١٤٢١/٤]: حدثنا أحمد بن حمدون النيسابوري حدثنا ابن بنت أبي أسامة - هو جعفر بن هذيل - حدثنا ضرار بن صرد حدثنا يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش عن عباية عن ابن عباس عن

النبي ﷺ قال: «علي عَيْبةُ علمي»

حديث آخر في معنى ما تقدم

قال ابن عدي: حدثنا أبو يعلى حدثنا كامل بن طلحة حدثنا ابن لهيعة حدثنا حُيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «ادعوا لي أخي» فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال: «ادعوا لي أخي» فدعوا له عمر فأعرض عنه ثم قال «ادعوا لي أخي» فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: «ادعوا لي أخي» فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال: علمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب.

قال ابن عدي: هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فإنه شديد الإفراط في التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف والله أعلم.

حديث آخر:

قال ابن عساكر: أنبأنا أبو عليٍّ المقرئ، أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد الغطريفي حدثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة حدثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي حدثنا أحمد بن عمران بن سلمة - وكان ثقة عدلا مرضياً - حدثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علي فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطي علي تسعة والناس جزءاً واحدا»

وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على سفيان الثوري بإسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه.

حديث آخر:

قال أبو يعلى [مسنده (٤٠١)] : حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي. قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء قال: فضرب في صدري وقال: «إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد.

وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول: علي أقضانا وأبيّ أقرؤنا للقرآن. وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها [طبقات سعد: ٣٣٩/٢].

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٣٠٠/٦]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت: والذي أحلف به إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ عندنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: «جاء علي؟» مراراً - وأظنه كان بعثه في حاجة - قالت: فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكبَّ عليه علي فجعل يسارُّه ويناجيه ثم قبض من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهدا.

وهكذا رواه عبد الله بن أحمد [المسند ٣٠٠/٦] وأبو يعلى [مسنده (٦٩٣٤)] عن أبي بكر بن أبي شيبة به.

حديث آخر في معناه:

قال أبو يعلى [مسنده (٤٨٦٥)]: حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا أبو بكر بن عياش عن صدقة بن سعيد عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا: يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي، قالت: أي شيء تسألن؟ عن رجل وضع يده من رسول الله ﷺ موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه، واختلفوا في دفنه فقال: إن أحب الأماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه ﷺ؟ قالتا: فلم خرجت عليه؟ قالت: أمر قُضي لوددت أني أفديه بما على الأرض» وهذا منكر جداً وفي الصحيح [خ(٣١٠٠)، م(٢٤٤٣)] ما يرد هذا والله أعلم.

حديث آخر قال الإمام أحمد [١٠٨/١، ١٠٩]: حدثنا أسود بن عامر حدثني عبد الحميد بن أبي جعفر - يعني الفراء - عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن علي قال: قيل: يا رسول الله من نؤمِّر بعدك؟ قال: «إن تؤمِّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليّاً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم».

وقد روى هذا الحديث من طريق عبدالرزاق عن النعمان بن أبي شيبة وعن يحيى بن العلاء عن الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة عن النبي ﷺ بنحوه [المستدرك: ١٤٢/٣].

ورواه أبو الصلت الهروي عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثوري عن شريك عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة به.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: أنا أبو عبد الله محمد بن علي الآدمي بمكة حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني أنا عبد الرزاق بن همام عن أبيه عن ابن ميناء عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ ليلة وفد الجن قال: فتنفس فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «نعيت إليّ نفسي» قلت: فاستخلف. قال: «من؟» قلت: أبا بكر قال: فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال «نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود»، قلت: فاستخلف قال: «من؟» قلت: عمر قال: فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال: فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود». قلت: فاستخلف قال: «من؟» قلت: علي بن أبي طالب قال: «أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين»

قال ابن عساكر: همام وميناء مجهولان.

حديث آخر:

قال أبو يعلى [مسنده (٥٥٠)]: حدثنا أبو موسى - يعني محمد بن المثنى - حدثنا سهيل بن حماد أبو عتّاب الدلال حدثنا مختار بن نافع التيمي حدثنا أبو حيان التيمي عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّاً تركه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار».

وقد ورد عن أبي سعيد وأم سلمة أن الحق مع علي رضي الله عنه. وفي كل منهما نظر والله أعلم.

حديث آخر

قال أبو يعلى [مسنده (١٠٨٦)]: حدثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: «لا» فقال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: «لا! ولكن خاصف النعل» - وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه.

ورواه البيهقي [الدلائل: ٤٣٦/٦] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن

عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش به.

ورواه الإمام أحمد [٨٢/٣] عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به.

ورواه البيهقي [الدلائل: ٤٣٥/٦] أيضاً من حديث أبي نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد به.

ورواه فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد.

وروى من حديث علي نفسه [ت (٣٧١٥)]. وقد قدمنا هذا الحديث في موضعه في قتال علي أهل البغي والخوارج ولله الحمد. وقدمنا أيضاً حديث علي للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك: إنك تقاتلني وأنت ظالم. فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه في وادي السباع [الدلائل للبيهقي: ٤١٥/٦]. وقدمنا صبره وصرامته وشجاعته في يوم الجمل وصفين، وبسالته وفضله في يوم النهروان، وما ورد في فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف [مسند أبي يعلى (٥١٩)].

فصل: في ذكر شيء من سيرته العادلة وطريقته الفاضلة ومواعظه وقضاياه الفاصلة وخطبه الكاملة وحكمه التي هي إلى القلوب واصلة

قال عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس! والله الذي لا إله إلا هو ما رزأتُ من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه - وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب -. فقال: أهداها إلي الدهقان، ثم أتى بيت المال فقال: خذوا وأنشأ يقول:

أفلح من كانت له قوصرّة ... يأكلُ منها كلَّ يوم تمرة

وفي رواية: مره: وفي رواية:

طوبى لمن كانت له قوصرّة.

وقال حرملة عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن عبد الله بن زُرَير الغافقي قال: دخلنا مع علي يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة فقلنا: أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والإوز، فإن الله قد أكثر الخير فقال: يا ابن زُرَير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها الناس»

وقال الإمام أحمد [٧٨/١]: حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بني هاشم قالا: حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن زُرير أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب - قال حسن: يوم الأضحى -: فقرب إلينا خزيرة فقلت: أصلحك الله لو قرّبت إلينا من هذا البط؟ - يعني الوَزّ - فإن الله قد أكثر الخير، قال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس»

وقال أبو عبيد: حدثنا عباد بن العوام عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال وأنت تفعل بنفسك هذا؟! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئا، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي - أو قال: من المدينة.

وقال أبو نعيم: سمعت سفيان الثوري يقول: ما بنى علي لبنةً على لبنةٍ ولا قصبة على قصبةٍ، وإن كان ليؤتى بمحبوبه من المدينة في جراب.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان أبو حيّان عن مجمع بن سمعان التيمي قال: خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق فقال: من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها إزاراً ما بعته.

وقال الزبير بن بكار: حدثني سفيان عن جعفر - قال: أظنه عن أبيه - أن عليّاً كان إذا لبس قميصاً مد يده في كمه فما فضل من الكم عن الأصابع قطعه وقال: ليس للكم فضل عن الأصابع.

وقال أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال: اشترى علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كمه من موضع الرسغين، وقال: الحمد لله الذي هذا من رياشه.

وروى الإمام أحمد في الزهد عن عباد بن العوام عن هلال بن خبّاب عن مولى لأبي عُصَيفير قال: رأيت علياً خرج فأتى رجلا من أصحاب الكرابيس فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصاً فلبسه فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال: ما أرى إلا قدراً حسنا، بكم هو؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق.

وقال محمد بن سعد: أنا الفضل بن دكين أنا الحسن بن جرموز عن أبيه قال: رأيت عليا وهو يخرج من القصر وعليه قِطْريتان؛ إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تَنْفُخوا اللحم.

وقال عبد الله بن المبارك في الزهد [٧٥٦]: أنا رجل حدثني صالح بن مِيْنَم حدثنا يزيد بن وهب الجهني قال: خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان متزر بأحدهما مرتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانباً، قد رقّع رداءه بخرقة فمر به أعرابي فقال: أيها الإنسان البس من هذه الثياب فإنك ميت أو مقتول. فقال: أيها الأعرابي إنما البس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو، وخيراً لي في صلاتي، وسنة للمؤمن.

وقال عبد بن حميد: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا المختار بن نافع عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لك، وخذ عن رأسك إن كنت مسلما. فمشيت خلفه وهو بين يَدَيَّ مؤتزر بإزار مرتد برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد. فقلت: أجل أنا رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهي يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة.

ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فرده موالي فأبى أن يقبله، فقال له علي: خذ تمرك واعطها درهمها، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فصبت تمره وأعطاها درهمها. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين، قال: ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم. ثم مرّ مجتازاً بأصحاب التمر

فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يرب كسبكم.

ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال: لا يباع في سوقنا طافو. ثم أتى دار فرات - وهي سوق الكرابيس - فأتى شيخاً فقال: يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشتر منه شيئا، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئا، فأتى غلاماً حدثا فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم. وكمه ما بين الرسغين إلى الكفين. يقول في لبسه: الحمد للّه الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي. فقيل له: يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول اللّه ﷺ؟ فقال: لا! بل شيء سمعته من رسول اللّه ﷺ يقوله عند الكسوة. فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له: يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهمين؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال: امسك هذا الدرهم. فقال: ما شأن هذا الدرهم؟ فقال: كان قميصاً ثُمْنَ درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذ رضاه.

وقال عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح يخاصمه، قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال: يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني وقد قال رسول اللّه ﷺ: «إذا كتتم وإياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه، وصغّروا بهم كما صغّر اللّه بهم من غير أن تطغوا» ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، مالي بينة. فقضى بها شريح للنصراني، قال: فأخذها النصراني ومشى خطىً ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع واللّه درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق. فقال: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج مع عليّ يوم النهروان.

وقال سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة: جاء جعدة بن هبيرة إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟ قال: فلهزه علي وقال: إن هذا شيء لو كان لي فعلت، ولكن إنما ذا شيء للّه.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثني جدي حدثنا علي بن هاشم عن صالح بياع الأكسية عن جدته قالت: رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك؟ فقال: أبو العيال أحق بحمله.

وعن أبي هاشم عن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع وبالبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس.

وعن عبادة بن زياد عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى علياً قد ركب حماراً ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا.

وقال يحيى بن معين عن علي بن الجعد عن الحسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب.

وقال هشام بن حسان: بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال: يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: فأحرت وجتا الحسن وقال: رحم اللّه علياً، إن علياً كان سهماً للّه صائباً في أعدائه، وكان في مَحَلّةِ العلم أشرفها وأقربها من رسول اللّه ﷺ، وكان ربّاني هذه الأمة، لم يكن لمال اللّه بالسروقة، ولا في أمر اللّه بالنؤومة، أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه، فكان منه في رياض مونقة، وأعلام بينة، ذاك علي بن أبي طالب يا لكع.

وقال هشيم عن سيار عن عمار. قال: حدث رجل علي بن أبي طالب بحديث فكذبه فما قام حتى عمي.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني شريح بن يونس حدثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم عن عمار الحضرمي عن زاذان أبي عمر أن رجلا حدث علياً بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع! فدعا فما برح حتى عمي.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خلف بن سالم حدثنا محمد بن بشر عن أبي مكين قال: مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في محل حي من مراد، قال: ترى هذه الدار؟ قلت: نعم! قال: فإن علياً مر عليها وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا اللّه أن لا يكمل بناؤها، قال: فما وضعت عليها لبنة، قال: فكنت أَمُرُّ عليها لا تشبه الدور.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد اللّه بن يونس بن بكير الشيباني عن أبيه عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري عن أبي بشير الشيباني. قال: شهدت الجمل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً وقدماً نادرة من يومئذ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال: فحدثني الحكم بن عُتيبة أن علياً دعا يوم الجمل فقال: اللّهم خذ أيديهم وأقدامهم.

ومن كلامه الحسن رضي اللّه عنه:

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد أنا عمرو بن شمر حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أراكة يقول: صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: واللّه لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صُفْراً شُعثا غُبْراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى، قد باتوا للّه سجداً وقياماً يتلون كتاب اللّه يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا اللّه مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تُبلّ ثيابهم، واللّه لكأن القوم باتوا غافلين. ثم نهض فما رئي بعد ذلك مفترا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو اللّه الفاسق.

وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم عن علي بن أبي طالب أنه قال: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل نُومَةٍ مُنْبَتٌ الداء، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالمُعْجَل المذاييع البُذُر. ثم قال: ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من

أبناء الدنيا، ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ألا إن لله عباداً كمَن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، ربنا ربنا، يطلبون فكاك رقابهم. وأما النهار فعلماء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بالقوم من مرض، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم.

وعن الأصبغ بن نباتة قال: صعد علي ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم،وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاء النجاء، والوحاء الوحاء، وراءكم طالب حثيث القبر فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة، ألا وإن وراء ذلك يوماً يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وماؤها صديد، وخازنها ملك ليس لله فيه رحمه.

قال: ثم بكى وبكى المسلمون حوله، ثم قال: ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم.

ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد حدثني من سمع علياً فذكر نحوه.

وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم قال: خطب علي فقال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيّب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حار به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، وذللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم.

أيها الناس: أحسنوا في أعمالكم تحفظوا في عقبكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه. إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

وفي رواية: فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة.

وعن عاصم بن ضمرة قال: ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببَيْنها، ونادت بفراقها، وشبّهت بشرورها السرور، وببلائها إليه ترغيباً وترهيباً، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه متى خدعتك الدنيا أو متى استذمّت إليك؟ أبمصارع آبائك في البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم مرضت بيديك، وعللت بكفيك، تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء لا يغني عنك دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك.

وقال سفيان الثوري والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري. قال: جاء رجل إلى علي فأطراه ـ وكان يبغض علياً ـ فقال له: لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك.

وروى ابن عساكر أن رجلا قال لعلي: ثبتك الله قال: على صدرك.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر قال: قال علي: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره غَفيرة فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم مالم يغش دناءة يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت، وتُغري به لئام الناس، كالياسر الفالج ينتظر أول فوزة من قداحه توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام.

قال سفيان: ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي؟ وقال الثوري عن زبيد اليامي عن مهاجر العامري قال: كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه: أما بعد فلا تطولن حجابك على رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة الضيق. وقلة علم بالأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علمَ ما احتجبوا دونه، فيضعف عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليس على القول سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب، فإنما أنت أحد الرجلين، إما امرؤ سَخَتْ نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من حق واجب أن تعطيه؟ أو خلق كريم تسدّد به؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من خيرك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليك من شكاية مظلمة أو طلب إنصاف، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله.

وقال المدائني: كتب علي إلى بعض عماله: رويداً فكأن قد بلغت المدى، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي المغتر بالحسرة، ويتمنى المضيع التوبة، والظالم الرجعة.

وقال هشيم: أخبرنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة.

ورواه هشام بن عمار عن إبراهيم بن أعين عن عمر بن أبي زائدة عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي فذكره.

وقال أبو بكر بن دريد قال: وأخبرنا عن دماذ عن أبي عبيدة قال: كتب معاوية إلى علي: يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة، وكان أبي سيداً في

الجاهلية، وصرت ملكا في الإسلام، وأنا صهر رسول الله ﷺ، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي. فقال علي: أبالفضائل يفخر علي ابن آكلة الأكباد؟ ثم قال: اكتب يا غلام

محمدٌ النبيُّ أخي وصهري ... وحمزةُ سيدُ الشهداء عمي
وجعفرٌ الذي يمسي ويضحي ... يطيرُ معَ الملائكةِ ابنُ أمي
وبنتُ محمدٍ سكني وعرسي ... مسوطٌ لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدٍ ولداي منها ... فأيكُم لهُ سهم كسهمي
سبقتكمُ إلى الاسلام طراً ... صغيراً ما بلغتُ أوانَ حُلمي

قال: فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب.

وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية.

وقال الزبير بن بكار وغيره: حدثني بكر بن حارثة عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله قال: سمعت علياً ينشد ورسول الله ﷺ يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نَسَبي ... معهُ ربيتُ وسبطاه هما ولدي
جدي وجدُّ رسولِ اللهِ منفرد ... وفاطم زوجتي لا قولَ ذي فندِ
صدقتهُ وجميعُ الناس في بُهَم ... منَ الضلالةِ والإشراكِ والنكدِ
فالحمدُ للّه شكراً لا شريك له ... البَرِّ بالعبدِ والباقي بلا أمدِ

قال: فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «صدقت يا علي».

وهذا بهذا الإسناد منكر والشعر فيه ركاكة، وبكر هذا لا يقبل منه تفرده بهذا السند والمتن والله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي: حدثنا يزيد بن هارون عن نوح بن قيس عن سلامة الكندي عن الأصبغ بن نباتة عن علي أنه جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك. فقال علي: اكتب على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة، فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلتَ حسنَ ثنائي نلت مكرمة ... ولستَ أبغي بما قد قلتُهُ بدلا
إن الثناءَ ليحيي ذكرَ صاحبه ... كالغيثِ يحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهد الدهر في خيرٍ تواقعهُ ... فكل عبدٍ سيجزى بالذي عملا

فقال علي: عليّ بالدنانير. فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار؟ قال: نعم! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم» وهذه منزلة هذا الرجل عندي.

وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط حدثني أبي إسحاقُ بن إبراهيم بن نُبيط عن أبيه عن جده قال: قال علي بن أبي طالب:

إذا اشتملت على الناس القلوبُ ... وضاقَ بما بهِ الصدرُ الرحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضر وجهاً ... ولا أغنى بحيلتهِ الأريبُ
أتاكَ على قنوطٍ منكَ غوث ... يجيء القريبُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهت ... فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ

ومما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب: -

ألا فاصبرْ على الحدثِ الجليلِ ... وداوِ جوىً بالصبرِ الجميلِ
ولا تجزع فإن أعسرتَ يوماً ... فقد أيسرتَ في الدهرِ الطويلِ
ولا تظننْ بربكَ ظنَّ سوءٍ ... فإنَّ اللّه أولى بالجميلِ
فإنَّ العسرَ يتبعهُ يسار ... وقولُ اللّهِ أصدقُ كل قيلِ
فلو أنَّ العقولَ تجرُّ رزقاً ... لكانَ الرزقُ عند ذوي العقولِ
فكم من مؤمنٍ قد جاعَ يوماً ... سيُروى من رحيقِ السلسبيلِ

فمن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجيع المؤمن مع نفاسته، ويشبع الكلب مع خساسته، والكافر يأكل ويشرب، ويلبس ويتمتع، والمؤمن يجوع ويعرى، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين.

ومما أنشده علي بن جعفر الوراق لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

أجدِ الثيابَ إذا اكتسيتَ فإنها ... زينُ الرجالِ بها تعزُّ وتكرمُ
ودعِ التواضعَ في الثيابِ تخوُّفاً ... فاللّه يعلمُ ما تجنُّ وتكتمُ
فرثاثُ ثوبكَ لا يزيدكَ زلفةً ... عندَ الإلهِ وأنتَ عبد مجرمُ
وبهاءُ ثوبكَ لا يضرُّكَ بعدَ أن ... تخشى الإلهَ وتتقي ما يحرمُ

وهذا كما جاء في الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [م:(٢٥٦٤)(٣٣)(٣٤)، مسند أحمد: ٢/٢٨٥، ٥٣٩].

وقال الثوري: ليس الزهد في الدنيا بلبس العباء ولا بأكل الخشن، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد: كان مكتوبا على سيف علي:

للناسِ حرص على الدنيا وتدبيرُ ... وصفوها لك ممزوجٌ بتكديرِ
وإنْ أتوا طاعةً للّه ربهمُ ... فالعقلُ منهم عن الطاعاتِ مأسورُ
لم يرزقوها بعقل عندَ ما قسمتْ ... لكنهمْ رُزقوها بالمقاديرِ
كم منْ أديبٍ لبيبٍ لا تساعدهُ ... وماتقٍ نالَ دنياهُ بتقصيرِ
لو كانَ عنْ قوةٍ أو عنْ مغالبةٍ ... طار البُزاةُ بارزاقِ العصافيرِ

وقال الأصمعي: حدثنا سلمة بن بلال عن مجالد عن الشعبي قال قال علي ابن أبي طالب لرجل كره له صحبة رجل:

فلا يصحب أخا الجهـ ... ـل وإياكَ وإياهُ
فكمْ من جاهل أردى ... حليماً حين آخاه
يقاسُ المرءُ بالمر ... ء وإذا ما هو ماشاهُ
وللشيء على الشيـ ... ـء مقاييسٌ وأشباه
وللقلبِ على القلـ ... ـبِ دليل حين يلقاه

وعن عمرو بن العلاء عن أبيه قال: وقف علي على قبر فاطمة فأنشأ يقول:

ذكرتُ أبا أروى فبتُّ كأنني ... بردُ الهمومِ الماضياتِ وكيلُ
لكل اجتماعٍ من خليلين فرقة ... وكلُّ الذي قبلَ الممات قليلُ
وإن افتقادي واحداً بعدَ واحدٍ ... دليلٌ على أن لا يدومُ خليلُ
سيعرضُ عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدثُ بعدي للخليلِ خليلُ
إذا انقطعتْ يوماً من العيشِ مدتي ... فإن عناءَ الباكياتِ قليلُ

وأنشد بعضهم لعلي رضي الله عنه:

حقيقٌ بالتواضعِ من يموت ... ويكفي المرءَ من دنياهُ قوتُ
فما للمرءِ يصبح ذا هموم ... وحرصٍ ليس تدركهُ النعوتُ
صنيعُ مليكنا حسنٌ جميلٌ ... وما أرزاقهُ عنا تفوتُ
فيما هذا سترحلُ عن قليلٍ ... إلى قومٍ كلامهمُ السكوتُ

وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه مقنع لمن أراده ولله الحمد والمنه.

وقال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني أنه قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق.

غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد

قال ابن أبي خيثمة: حدثنا أحمد بن منصور بن سيار حدثنا عبد الرازق قال: قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد فقلت له: ما شأنك؟ قال: عجبت من أهل الكوفة كان الكوفة إنما بنيت على حب علي، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري، قال: فقلت لمعمر: ورأيته؟ - كأني أعظمت ذاك - فقال معمر: وما ذاك؟ لو أن رجلا قال: علي أفضل عندي منهما ما عنّفته إذا ذكر فضلهما ولو أن رجلا قال: عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عنفته.

قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خالين فاشتهاها أبو سفيان وضحك وقال: لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد، ولكنه أفضى إلى معمر بما لم يفض إلينا، وكنت أقول لسفيان: يا أبا عبد الله أرأيت إن فضلنا عليا على أبي بكر وعمر ما تقول في ذلك؟ فيسكت ساعة ثم يقول: أخشى أن يكون ذلك طعناً على أبي بكر وعمر ولكننا نقف.

قال عبد الرزاق: وأخذنا ابن التيمي - يعني معتمراً - فقال: سمعت أبي يقول: فَضّل علي بن أبي طالب أصحاب رسول الله ﷺ بمائة منقبة وشاركهم في مناقبهم، وعثمان أحب إلي منه.

هكذا رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده عن ابن أبي خيثمة به. وهذا الكلام فيه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فإن المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان فأما على الشيخين فلا، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غبي، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة؟ بل قد قال غير واحد من العلماء - كأيوب والدارقطني - من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي حدثنا إبراهيم بن سعيد عن شعبة عن أبي عون - محمد بن عبيد الله الثقفي - عن أبي صالح الحنفي قال: رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى إني لأرى ورقه يتقعقع قال: ثم قال: اللّهم إنهم منعوني ما فيه فأعطني ما فيه، ثم قال: اللّهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبيعتي وخلقي وأخلاق لم تكن تعرف لي، اللّهم فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللّهم أمث قلوبهم مَيْثَ الملح في الماء. قال إبراهيم: - يعني أهل الكوفة -.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الرحمن بن صالح حدثنا عمرو بن هاشم الجَنْبي عن أبي جَنَاب عن أبي عون الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي. قال: قال لي الحسن بن علي: قال لي علي: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت: يارسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ قال: ادع عليهم فقلت: اللّهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني. فخرج فضربه الرجل.

الأود: العوج، واللدد: الخصومة - وقد قدمنا الحديث الوارد بالأخبار بمقتله وأنه تخضّب لحيته من قرن رأسه، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله.

وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يحرسونه كل ليلة عشرة - يبيتون في المسجد بالسلاح - فرآهم علي فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا: نحرسك، فقال: من أهل السماء؟ ثم قال: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وإن عليّ من الله جنة حصينة. وفي رواية: وإن الأجل جُنة حصينة، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال: اتقه اتقه، فإذا جاء القدر خلّى عنه، وفي رواية: ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خلّيا عنه، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وكان علي يدخل المسجد كل ليله فيصلي فيه، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلق تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الإوز في وجهه فسكتوهن عنه فقال: ذروهن فإنهن نوائح. فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل. فقال الناس: يا أمير المؤمنين ألا نقتل مراداً كلها؟ فقال: لا ولكن احبسوه وأحسنوا إساره، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص. وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول: ما لي ولصلاة الغداة، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة، وقتل أبي أمير المؤمنين صلاة الغداة، رضي الله عنها.

وقيل لعلي: ألا تستخلف؟ فقال: لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله ﷺ فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ.

فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق.

وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته، فقال: أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت.

وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان.

ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله، وصلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه أربعاً، وقيل أكثر من ذلك. ودفن علي بدار الخلافة بالكوفة وقيل: تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة، بمحذاء باب الوراقين وقيل: بظاهر الكوفة، وقيل: بالكناسة، وقيل: دفن بالثُّوَيّة وقيل

بحائط جامع الكوفة.

وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين: نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية إلى المدينة، فدفنه بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وقال عيسى بن دأب: بل لما أرادوا أن يحملوه إلى المدينه ليدفنوه بها جعلوه في صندوق على بعير، فلما مروا به ببلاد طيء أضلوا البعير فأخذت طيء ذلك البعير بما عليه يحسبونه مالاً، فلما وجدوا بالصندوق ميتاً دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن.

والمشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك بن عمران أن خالد بن عبد الله القسري - نائب بني أمية في زمان هشام بن عبد الملك لما كان أميراً على العراق هدم دوراً لبنيها داراً وجد قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحيه فإذا هو علي بن أبي طالب، فأراد أن يحرقه بالنار فقيل له: أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله، فلفه في قباطي ودفنه هناك. قالوا: فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها. كما ذكره ابن عساكر.

ثم إن الحسن بن علي أستحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن، فأحضر الناس النفط والبواري ليحرقوه، فقال لهم أولاد علي: دعونا نشتفي منه، فقطعت يداه ورجلاه فلم يجزع ولا فتر عن الذكر، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى آخرها، وإن عينيه لتسيلان على خديه. ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع عند ذلك جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك فقال: إني أخاف أن أمكث في الدنيا فواقا لا أذكر الله فيه. فقتل عند ذلك وحرق بالنار، قبحه الله.

قال محمد بن سعد [الطبقات الكبرى: ٤٠/٣]: كان ابن ملجم رجلا أسمر حسن الوجه أبلج، شعره مع شحمة أذنه، في جبهته أثر السجود.

قال العلماء: ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه، قالوا: لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً والله أعلم.

وكان طعن علي رضي الله عنه يوم الجمعه السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف فقيل مات من يومه وقيل يوم الأحد التاسع عشر منه.

قال الفلاس: وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين عن تسع أو سبع أو ثمان وخمسين سنة، وقيل: عن ثلاث وستين سنة وهو المشهور، قاله محمد بن الحنفية، وأبو جعفر الباقر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو بكر بن عياش.

وقال بعضهم: عن ثلاث أو أربع وستين سنة، وعن أبي جعفر الباقر خمس وستين سنة.

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام وقيل ستة أيام وقيل: وأربعة عشرة يوماً وقيل: أربع سنين وثمانيه أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، رضي الله عنه.

وقال جرير عن مغيرة قال: لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة في يوم صائف، جلس وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه واليوم تبكي عليه، فقال: ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره.

وذكر ابن أبي الدنيا - في كتاب مكائد الشيطان [كتاب الهواتف ص١٧٦] - أن رجلا من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه فأخرجه من منزله، فخرج الغلام لايدري أين يذهب، فجلس وراء الباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ فإذا هو بهرٍ أسود بري، وقد جاء إلى الباب الذي لهم فنادى: يا سويد، يا سويد، فخرج إليه الهر الذي في منزلهم فقال له البري: ويحك! افتح فقال: لا أستطيع، فقال: ويحك انتني بشيء أتبلغ به فإني جائع وتعبان، هذا أوان مجيئي من الكوفة، وقد حدث الليلة حدث عظيم، قتل علي بن أبي طالب قال: فقال له الهرُّ الأهلي: والله إنه ليس ها هنا شيء إلا وقد ذكروا اسم الله عليه، غير سفود كانوا يشوون عليه اللحم،فقال: ائتني به، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف، وذلك بمرأى من الغلام ومسمع، فقام إلى الباب فطرقه فخرج إليه أبوه فقال: من؟ فقال له: افتح، فقال: ويحك ما لك؟ فقال: افتح، ففتح فقص عليه خبر ما رأى، فقال له: ويحك أمنام هذا؟ قال: لا والله، قال: ويحك! أفأصابك جنون بعدي؟ قال: لا والله: ولكن الأمر كما وصفت لك، فاذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنده يداً بما قلت لك. فذهب الرجل فاستأذن على معاوية فأخبره الخبر على ما ذكر له ولده. فأرّخوا ذلك عندهم قبل مجيء البرد، ولما جاءت البرد وجدوا ما أخبروهم به مطابقا لما كان أخبر به أبو الغلام. هذا ملخص ما ذكره.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا علي بن الجعد حدثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن بن علي: إن هذه الشيعة يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله.

ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم عن الحسن بن علي بنحوه.

فصل نذكر فيه كلمات زيادة على ما نص عليه المؤلف

[زيادة من الناسخ]

عن سلمة بن كهيل، عن مجاهد، قال: إنما شيعة علي العلماء الحكماء الذبل الشفاه الأبرار الأخيار الزهاد الذين يعرفون بأثر العبادة.

وقال علي بن الحسين: شيعتنا الذبل الشفاه، والإمام منا من دعا إلى طاعة الله.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العباس بن بكار الضبي، حدثنا عبد الواحد بن أبي عمر السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح قال:

دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له: صف لي علياً قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذ لا بد من وصفي له، كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير العبرة طويل الفكر يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه. وكنا مع قربنا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين. لا يطيع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت

نجومه يتمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت؟ أو إلي تشوقت؟ هيهات هيهات غري غيري، قد بتتك ثلاثاً فعمرك قصير ومجلك حقير وخطرك كبير. آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

قال: فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذلك كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وَجْدُك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج.

وقال علي: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال.

وقال علي: إن الله لم يرض من أهل القرآن بالادهان والسكوت والله يعصى.

وروى الثوري عن عمرو بن قيس قال: قيل لعلي أمير المؤمنين: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي بي المؤمن.

وعن زياد بن مليح أن علياً أتي بشيء من خبيص، فوضعه بين أيديهم، فجعلوا يأكلون ولا يأكل، فقال: إن الإسلام ليس ببكر ضال ولكن قريشاً رأت هذا العيش فتناحرت عليه.

وقد كان لعلي ﷺ ظبية - أي جراب جلد غزال - يكون فيه سويق ليشربه بالماء وقت القائلة هو طعامه لا يزيد عليه، وكان يختم عليه لئلا يختلط بغيره.

وعاتبه رجل في لبوسه فقال له: ما لك وللبوسي؟ إن لبوسي أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وعن عبد الله بن شريك، عن جده، عن علي أنه أتي بالفالوذج فوضع بين يديه، فقال: إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتد.

وعن مجمع التيمي قال: كان علي يقسم مال بيت المال ويكنسه ويصلي فيه، يتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

وقال الإمام: حدثنا وهب بن سعيد، حدثنا محمد بن قيس، عن علي بن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب أنه جاءه ابن النباح، فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال: الله أكبر. فقام متوكئاً على ابن النباح حتى قام على بيت المال فقال:

هذا جناي وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح علي بأشياع الكوفة. فنودي في الناس، فأعطاهم جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين.

وقال الطبراني: حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدثنا سهل بن شعيب، عن أبي علي الصقيل، عن عبد الأعلى عن نوف البكالي قال: رأيت علي بن أبي طالب خرج ليلة فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابه فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً. قرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام يا نوف إن الله عز وجل أوحى إلى عيسى أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأيد من الآثام نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي عنده مظلمة، يا نوف لا تكن شاعراً ولا عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا عشاراً فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل فقال: يا لها ساعة لا يدعو فيها عبد ربه إلا استجاب له فيها إلا أن يكون عريفاً أو شرطياً أو جابياً أو عشاراً أو صاحب عربطة، وهو الطنبور، أو صاحب كوبة، وهو الطبل، أو صاحب الشاة، وهو الشطرنج.

وروى عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن علي قال: كونوا ينابيع العلم، معادن الحكمة، مصابيح الليل، خلقان الثياب، جدد القلوب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض، وتذكرون عند ربكم.

وروي نحو ذلك عن ابن مسعود.

وقال عاصم بن ضمرة عن علي قال: ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ويرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

وقال أبو بكر بن خزيمة: حدثنا علي بن حجر، حدثنا يوسف بن زياد عن يوسف بن أبي المتيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يقبل.

وعن عبد خير عن علي قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات ويعمل في الدرجات. ولا يقبل عملا مع التقوى وكيف يقل ما يقبل.

وروي نحو هذا عن أبي الدرداء.

وروى ثابت بن أبي صفية أبي الزعراء قال: قال علي: احفظوا عني خمساً لو ركبتم الإبل في طلبهن لما أصبتموهن ولأنضيتم الإبل قبل أن تدركوهن. لا يرجونَّ عبد إلا ربه، ولا يخف إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ولا إيمان لمن لا صبر له.

خلافة الحسن بن علي ﷺ

قد ذكرنا أن علياً رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له: استخلف يا أمير المؤمنين فقال: لا ولكن أدعكم كما تركتكم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ.

فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن - لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم - ودفن كما ذكرنا بدار الإمارة على الصحيح من أقوال الناس، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان ذلك يوم مات علي، وكان موته يوم ضرب على قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وقيل: إنما مات بعد الطعنة بيومين، وقيل: مات في العشر الأخير

من رمضان، ومن يومئذ ولي الحسن ابنه.

وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مقاتل، قد بايعوا علياً علي الموت فلما مات عليٌّ ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان، وولى عبيد الله بن عباس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعا عظيما لم يسمع بمثله، فأمرّ الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفا بين يديه، وسار هو بالجيوش في إثره قاصداً بلاد الشام، ليقاتل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدَّم المقدِّمة بين يديه فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل. فثار الناس فانتهب بعضُهم بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطا كان جالساً عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الحسن بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: وما ذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي فتفيده وتبعث به إلى معاوية فقال له عمه: قبَّحك الله وقبح ما جئت به، أأغدر بابن بنت رسول الله ﷺ ؟!.

ولّما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية- وكان قد ركب في أهل الشام فنزل مسكن- يراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم، وأن يكون خراج دارابجرد له، وأن لا يسب علي وهو يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاويه ويحقن الدماء بين المسلمين فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله، وقد لام الحسين أخاه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سنذكر دليله قريباً.

ثم بعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، لمعاوية فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك، وخرج عن طاعتهما جميعاً، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريبة كما سنذكره.

ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما سنذكره إن شاء الله. وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنه أربعين - المغيرة بن شعبة.

وزعم ابن جرير [تاريخه: ١٦٠/٥، ١٦١] فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أن المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية أنه قد ولاه الحج عامئذ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان، وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحج، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الإمرة.

وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل، والله أعلم؛ فإن الصحابة أجل قدراً من هذا، ولكن هذه نزعة شيعية.

قال ابن جرير [تاريخه: ١٦١/٥]: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بإيلياء - يعني لما مات علي - قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمانعوا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله ﷺ، وسيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم.

والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طرق عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا» [مسند أحمد: ٢٢٠/٥، ٢٢١، د(٤٦٤٦)، ت(٢٢٢٦)، س كبرى (٨١٥٥)] وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً. وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد. وهذا المدح قد ذكرناه فيما تقدَّم وسنورده في حديث أبي بكرة الثقفي أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال: «أيها الناس إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخاري [٣٦٢٩].

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية

قال ابن جرير [تاريخه: ١٦٢/٥، ١٦٣]: فيها سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان. ثم روى عن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم: إنكم سامعون مطيعون مسالمون من سالمت محاربون من حاربت. فارتاب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب. فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشوه فازداد لهم بغضاً وازداد منهم ذعراً، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه وكتب إلى معاوية يسأله ويراسله في الصلح بينه وبينه على ما يختاران.

وقال البخاري في كتاب الصلح [٢٧٠٤]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن أبي موسى. قال: سمعت الحسن يقول: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان الله خير الرجلين -: إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بضيعتهم؟ من لي بنسائهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر- قال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه. قال الحسن: